

فتح الحبيب

في

نفسه القهار

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العلوي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - وتوفي سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

إعتق به

تحقيقاً وضبطاً وتصحيحاً

نور الدين ظاير

إصدار

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية



فتح الحجرتين

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر
الطبعة الأولى / ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

قامت بعمليات النسخ والتصحيح الإلكتروني والإخراج الفني والطباعة

دار النواذر
لصاحبها وميرها العام
توكل الدين طالب

سوريا - دمشق - ص.ب : ٣٤٣٠٦

لبنان - بيروت - ص.ب : ١٤/٥١٨٠

هاتف : (٢٢٢٧٠٠) ١١ ٩٦٣ - فاكس : ١١ ٢٢٢٧٠١١ ٩٦٣ -

www.daralnawader.com

تِمَّةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٠١].

﴿وَكَيْفَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ.

﴿تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ القرآن.

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ محمد ﷺ! المعنى: ومن أين لكم الكفر والحال أن القرآن والرسول حاضران لديكم!

﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ يمتنع به ويلتجئ إليه.

﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق واضح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ بأن يطاع فلا يعصى،

نزلت لما تفاخر الأنصار وأخذوا السلاح ليقتتلوا، فلما نزلت، شق ذلك عليهم، فقالوا: «يا رسول الله! ومن يقوى على هذا؟»، فأنزل الله ﴿فَاتَّقُوا

اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿التغابن: ١٦﴾، فنسخت هذه الآية، قال مقاتل: ليس في آل عمران منسوخ غيرها^(١). قرأ الكسائي: (تَقَاتِهِ) بالإمالة.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: تمسكوا بدينه.

﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ كما اختلفت اليهود والنصارى. قرأ البزري عن ابن كثير: (وَلَا تَفَرَّقُوا) بتشديد التاء^(٢).

كان بين الأنصار الأوس والخزرج عداوة بسبب قتلى، فتناولت العداوة والحرب بينهم مئة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله عز وجل ذلك^(٣) بالإسلام، فبدل ذلك بالألفة والمحبة بسبب اتباعهم للنبي ﷺ وانتقاله إليهم، فنزل منه عليهم:

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/٤)، و«تفسير البغوي» (١/٣٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٢٧٨).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/٣١٥)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/٨٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٥٦).

(٣) «ذلك» ساقطة من «ت».

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١) أي : إنعامه عليكم أيها الأنصار .

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ قبل الإسلام .

﴿فَأَلَّفَ﴾ أي : جمع .

﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام .

﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فصرتم .

﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ أي : برحمته .

﴿إِخْوَانًا﴾ جمع أخ في الدين والولاية .

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا﴾ طرف .

﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ما بينكم وبين وقوعكم فيها إلا أن تموتوا كفاراً .

﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ الله .

﴿مِنْهَا﴾ بالإيمان .

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة ثباتكم على الهدى .

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٠٤) .

[١٠٤] ثم جاء بلام الأمر تأكيداً فقال : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

الْخَيْرِ﴾ أي : تكونوا أمة (من) صلة ، ليس للتبويض ، و(الخير) : الإسلام .

﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/٣٩٣) .

المخصوصون بكمال الفلاح، قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^[١٠٥].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ هم اليهود والنصارى.
 ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ذكر هنا أراد الجمع.
 ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعيد للذين تفرقوا، وتهديد على التشبيه بهم.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^[١٠٦].

﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف؛ أي: في يوم.
 ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة سروراً ونوراً.
 ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: وجوه الكافرين خزيًا ودُحوراً.
 ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم توبيخاً:
 ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ربهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالله.

(١) رواه مسلم (٤٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصُتَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١٠٧].

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصُتَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم أهل الطاعة.

﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: جنته.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٠٨].

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بأن

يأخذ بغيرِ جُرمٍ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [١٠٩].

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيُجازي

كلًّا بعمله. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبٌ:

(تَرْجِعُ) بنصبِ التاء وكسر الجيم^(١)، وقرأ أبو عمرو (يُرِيدُ ظُلْمًا) بإدغام الدال في الظاء^(٢).

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٨).

(٢) انظر: «الإنقان» للسيوطي، النوع الحادي والثلاثون، في الإدغام والإظهار

والإخفاء والإقلاب.

مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ .

[١١٠] ولما قال اليهودُ للمسلمين: نحن أفضلُ منكم، وديننا خيرُ مما تدعوننا إليه، أنزل الله: ﴿كُنْتُمْ﴾ ^(١) أي: أنتم. ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ^(٢).

﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: ما أخرج الله للناس أمةً خيراً من أمة محمد ﷺ. ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ الْإِيمَانُ﴾. ﴿خَيْرَ أَلْهَمَ﴾ من كفرهم. ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ^(١١١) .

[١١١] روي أن رؤوس اليهود عمدوا إلى مَنْ آمَنَ منهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فأذَوْهُمْ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ ^(٣) أيها المؤمنون هؤلاء اليهود.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (٤٠٢/١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢٩٣/٢).

(٢) في «ن»: «ظهرت».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (٤٠٥/١).

﴿إِلَّا أَذَى﴾^١ باللسان؛ كالسبِّ والوعيد.
 ﴿وَأِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذَى﴾^٢ مُنْهَازِينَ.
 ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ بل تكون لكم النصرة عليهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَ
 يَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾^١ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا﴾^٢ حَيْثُمَا وَجَدُوا.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ أي: عهد ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بأن يُسَلِّمُوا.

﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ من المؤمنين ببذل جزية أو أمان، يعني: إلا أن^(١)
 يعتصموا بحبل فيما آمنوا.

﴿وَبَاءُ﴾^(٢) رَجَعُوا ﴿يَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾^٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ ﴿الكفر والقتل﴾.
 ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فَإِنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الصَّغَائِرِ يُفْضِي إِلَى
 الكبائر، والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنِ
 آتَاهُمْ سُلَيْمٌ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^١ ﴿١١٣﴾.

(١) «يعني إلا أن» ساقطة من «ت».

(٢) من قوله: «يا محمد حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ (١/٤٨٣)، الآية (٨١)
 إلى قوله ﴿وَبَاءُ﴾ سقط من «ش» بمقدار (٤) لوحات من النسخة الخطية.

[١١٣] ولما أسلمَ عبدُ الله بنُ سلام وأصحابه، قال اليهود: ما آمنَ بمحمدٍ^(١) إلا شِراؤنا، ولولا ذلك، ما تركوا دينَ آبائهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾^(٢) أي: ليسَ أهلُ الكتابِ مستوينَ، بل منهم مؤمنون، ومنهم فاسقون، ثم ابتداءً مستأنفاً مبيناً لقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ فقال: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة.

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلُّون؛ لأنَّ التلاوة لا تكونُ في السجود.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١١٤).

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وورش: (يُؤْمِنُونَ) و(يَأْمُرُونَ) بغير همز^(٣).

﴿بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ والمعروف: ما عرفه العقل أو^(٤) الشرع بالحسن، والمنكر: ما أنكره أحدهما لقبه.

﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ متى دُعوا إلى خير، أجابوا. قرأ الدوري عن

(١) في «ن» و«ت»: «لمحمد».

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٣٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٦)، و«العجائب» لابن حجر (٢/ ٧٣٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٦).

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي، النوع الثالث والثلاثون، في تخفيف الهمز.

(٤) في «ت»: «و».

الكسائي (يُسَارِعُونَ) و(سَارِعُوا) و(تُسَارِعُ) بالإمالة حيث وقع^(١).
 ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من صَلَحَتْ أحوالهم عند الله.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(١١٥).
 [١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ قرأ حمزة، والكسائي،
 وحفص، وخلف: (يَفْعَلُوا) (يُكْفَرُوهُ) بالغيب فيهما إخباراً عن الأمة القائمة،
 والباقون: بالخطاب، لقوله: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأبو عمرو
 يرى القراءتين^(٢)، ومعنى الآية: فلن تعدموا ثوابه، بل يُشكركم لكم.
 ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
 وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١١٦).
 [١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾
 أي: لا تدفع أموالهم بالفدية ولا أولادهم بالنصرة.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
 (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٩).
 (٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)،
 و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٤)، و«الغيث»
 للصفاسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٧)، و«التيسير» للداني
 (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم
 القراءات القرآنية» (٢/ ٥٩).

﴿ شَيْئًا ﴾ من عذابِ الله .

﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها ، وجعلهم أصحاب النار ؛ كصاحب الرجل لا يفارقه .

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧) .

[١١٧] ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ﴾ أي : الكفار .

﴿ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ على عداوة رسول الله ﷺ .

﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ بردٌ شديدٌ .

﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ ﴾ أي : زرع .

﴿ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالكفر .

﴿ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ فلم ينتفعوا به ، المعنى : نفقاتهم هالكة كالذي تهلكه الريح .

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ بذلك .

﴿ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفر .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١١٨) .

[١١٨] قال ابن عباس: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوَاصِلُونَ الْيَهُودَ؛ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصَّدَاقَةِ»، وقال مجاهد: كَانَ قَوْمٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُصَافُونَ الْمُنَافِقِينَ، فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾^(١) أي: أولياء، وبطانة الرجل: خاصته، مأخوذ من بطانة الثوب.

﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ من غير ملتكم.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لَا يَقْصُرُونَ فِي إِفْسَادِ أَمْرِكُمْ.

﴿وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ يَوَدُّوْنَ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ أي: البغض، معناه: ظهرت أمارَةُ العداوة.

﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بِالشَّتْمِ وَالْوَقِيعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ مِنَ الْبَغْضِ لَكُمْ وَعِدَاوَتِكُمْ.

﴿أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مَا بَيَّنَّ لَكُمْ.

﴿هَآأَنْتُمْ أَوَّلَآءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١١٩).

[١١٩] ثم أردف النهي بالتوبيخ على مُصَافَاةِ الْخَادِعِينَ، فقال: ﴿هَآأَنْتُمْ﴾ تقدّم اختلافُ الْقُرَّاءِ فِي هَذَا الْحَرْفِ.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/٦١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص ٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/٤٠٨-٤٠٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٢٩٩).

﴿أُولَئِكَ﴾ المراد: أنتم أيها المؤمنون.

﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ أي: اليهود الذين نهيتكم عن مُبَاطَنَتِهِمْ لما بينكم من القرابة والمصاهرة.

﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ هم عداوة لمخالفة الدين.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بجميع الكتب، وهم لا يؤمنون بكتابكم.

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا فَكَانَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ.

﴿عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع.

﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ لما يرون من ائتلافكم، ويعبر عن شدة الغيظ بعض الأنامل، وإن لم يكن ثمَّ عَصَ، والغَيْظُ: هو أشدُّ الغَضَبِ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران^(١) دم قلبه.

﴿قُلْ مُوتُوا﴾ أي: ابقوا إلى الممات.

﴿يَغِيظُكُمْ﴾ ولو أراد الحال، لماتوا من ساعتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فيجازيهم عليه.

﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

[١٢٠] ﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمْ﴾ أي: تصيبكم أيها المؤمنون.

(١) في «ت»: «يكن» بدل قوله «ثوران».

﴿ حَسَنَةٌ ﴾ نُصْرَةٌ وَغَنِيمَةٌ وَمَا يَحْسُنُ بِهِ ^(١) حَالُكُمْ .

﴿ نَسَوْنَهُمْ ﴾ تَحْزَنُهُمْ .

﴿ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ ﴾ الإِصَابَةُ بِمَعْنَى الْمَسِّ .

﴿ سَيِّئَةٌ ﴾ جَذْبٌ وَهَزِيمَةٌ .

﴿ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ تَلْخِصُ الْآيَاتُ : اجْتَنِبُوا مُصَافَاةَ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ .

﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا ﴾ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَمَشَاقِّ الدِّينِ .

﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ اللَّهَ فِي مُحَارِمِهِ .

﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ قَرَأْ نَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَيَعْقُوبُ : بِكَسْرِ الضَّادِ خَفِيفَةً

مِنْ ضَارَةٍ يَضُرُّهُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ : بَضْمِ الضَّادِ وَرَفْعِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا، مِنْ ضَرَّةٍ يَضُرُّهُ ^(٢) . الْمَعْنَى : فَلَيْسَ يَضُرُّكُمْ .

﴿ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ فَيَجَازِيهِمْ، وَهَذِهِ بَشَارَةٌ

بِالنَّصْرِ مَعَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى .

(١) «به» ساقطة من «ن» و«ت» .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٦١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٧١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص : ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص : ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٦١) .

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢١).

[١٢١] ولما نزل المشركون بأحد يوم الأربعاء ليأخذوا بثأرهم في يوم بدر، وكانوا ثلاثة آلاف رجل، وسمع رسول الله ﷺ بنزولهم، استشار أصحابه في الخروج إلى قتالهم، فأشار بعض الصحابة بالخروج، وأشار بعضهم بترك الخروج، وكان المشركون قد أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس، وصلى رسول الله ﷺ الجمعة بأصحابه، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار، فصلّى عليه ﷺ، ثم خرج إليهم في ألف رجل، أو تسع مئة وخمسين، ونزل بالشعب من أحد يوم السبت لنصف شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل يقوم أصحابه، إن رأى صدراً خارجاً قال: «تَأَخَّرَ»، أو متأخراً قال: «تَقَدَّمَ»، وكان نزوله في عُدوة الوادي، وجعل ظهره عسكره إلى أحد، وأمر على الرُّمّة عبد الله بن جُبَيْر، وقال: «انضَحُوهُمْ عَنَّا بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَنَا مِنْ وَرَائِنَا»، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ^(١) أَي: واذكرْ إِذْ غَدَوْتَ.

﴿مِنْ﴾ بين.

﴿أَهْلِكَ﴾ من المدينة.

﴿تُبَوِّئُ﴾ أَي: تُنْزِلُ.

﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا﴾ مواطن يقفون فيها.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٤١٠)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزليعي (١/٢١٨).

﴿لِقَاتِ﴾ يُقَالُ: بَوَّأْتُ الْقَوْمَ: إِذَا وَطَّنْتَهُمْ.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ مَا تَقُولُ وَيُقَالُ لَكَ، وَقْتَ الْمَشَاوِرَةِ وَغَيْرِهِ.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢).

[١٢٢] ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ هُمَا بَنُو سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ، وَكَانَا جَنَاحِي الْعَسْكَرِ.

﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أَنْ تَجْبُنَا وَتَضْعُفَا؛ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَرْزَةَ السَّلُولِيَّ الْمُنَافِقَ انْخَزَلَ^(١) بَثْلُ النَّاسِ، فَهَمَّتِ الطَّائِفَتَانِ بِالرَّجُوعِ مَعَهُ، فَثَبَّتَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ نَاصِرُهُمَا وَمَتَوَلَّى أَمْرِهِمَا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَمَرَ فِي ضَمْنِهِ التَّغْلِيظَ^(٢) لِلْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ مَا فَعَلَهُ بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلَمَةَ مِنَ الْمَسِيرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣).

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَنَزَلَتْ الْآيَةُ تَذْكِيراً لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِالنَّصْرِ^(٣) فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ لثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهَجْرَةِ.

(١) فِي «ن»: «تَحْرُكٌ».

(٢) فِي «ت»: «التَّغْلِيظُ».

(٣) فِي «ن»: «بِالنَّصْرِ».

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل، وليس المراد الذل والهوان؛ لأنهم كانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، وكان عدوهم ما بين التسع مئة إلى الألف، فنصرهم الله مع قلة عددهم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ أمرهم بالتقوى، ورجأهم في الإنعام الذي يوجب الشكر.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ [١٢٤].

[١٢٤] ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ أي: اذكر إذ تقول.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بيدر.

﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ﴾ الإمداد: إعانة الجيش بالجيش.

﴿بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ قرأ ابن عامر: (مُزْلِينَ) بالتشديد على التكثير؛ لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ لقوله: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّهُ تَرَوُّهَا﴾^(١) [التوبة: ٢٦]

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٦٣).

وأبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف يُدغمون الذال في التاء من (إذ تقول)، والباقون يُظهرونها^(١).

قال ابن عباس: «لَمْ يُقَاتِلِ^(٢) الملائكة في المعركة إلا يوم بدر، وفيما سواه يشهدون القتال ولا يُقاتلون، إنما يكونون عدداً ومدداً»^(٣) وبُشِّروا بالملائكة قبل نزولهم تسكيناً لجأشهم^(٤)، ثم قال:

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(١٢٥).

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا﴾ للمشركين.

﴿وَتَتَّقُوا﴾ مخالفة نبيكم.

﴿وَيَأْتُوكُم﴾ المشركون.

﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: من ساعتهم هذه.

﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ لم يزد خمسة آلاف غير الثلاثة المذكورة، بل معها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: بكسر الواو؛ أي: مُعَلِّمين، من العلامة؛ أي: سَوَّموا خيلهم،

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦١/٢).

(٢) في «ن»: «تقاتل».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧٧/٤).

(٤) في «ن»: «لحالهم».

وقرأ الباقر: بفتح الواو^(١)؛ أي: سَوَّموا أنفسَهُمْ، قال عليه السلام لأصحابه يوم بدر: «تَسَوَّموا»^(٢)؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمتْ بِالصُّوفِ^(٣) الْأَبْيَضِ فِي قَلَانِسِهِمْ وَمَغَافِرِهِمْ، ونزلت الملائكة على خيلِ بُلُقٍ، عليهم عَمَائِمُ بِيضٌ قد أرسلوها بين أكتافِهِمْ، إِلَّا جَبْرِيلَ؛ فإنه كَانَ بِعِمَامَةٍ صَفراءَ على مِثَالِ عِمَامَةِ الرَّبْرِ بْنِ الْعَوَّامِ^(٤).

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١٢٦).

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الوعد والمدد.

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ أي: بشارة.

﴿لَكُمْ﴾ لتستبشروا بها.

﴿وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ﴾ لتسكن بالمدد، فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (٣٥٦-٣٥٥/١)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٤١٤/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٤/٢).

(٢) في «ت»: «تقوموا».

(٣) في «ت»: «بالصفوف».

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٤/٧)، و«تفسير الطبري» (٨٢-٨٣/٤).

﴿وَمَا اتَّصَرُّ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ فاستعينوا به، وتوكلوا عليه؛
لأن العزَّ (١) والحكم له.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (١٢٧).

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي: يهلك جماعة.

﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وأسر سبعون.

﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾ أصل الكَتَبَ: الإذلالُ والصرفُ عن الشيء. المعنى:
يذلُّهم ويهزِمهم.

﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ لم يظفروا بمراذهم.

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ كَسَرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أَحَدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ،
فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا
رُبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٢).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨).

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيسلموا.

(١) في «ش»: «العزم».

(٢) رواه مسلم (١٧٩١)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، عن أنس بن
مالك - رضي الله عنه -.

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إن لم يُسَلِّمُوا معطوفان على : ﴿لَيَقْطَعَ﴾ أي : ليقطع أو يكبت أو يتوب أو يعذب .

﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فيكون : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه . المعنى : ليس بيدك من التوبة والعقوبة شيء ، إن عليك إلا البلاغ ، وإنما ذلك بيد الله .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٩) .

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بعباده^(١) ، فلا تبادروا إلى الدعاء عليهم .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) .

[١٣٠] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ إشارة إلى تكرار التضعيف عاماً بعد عام . قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، ويعقوب : (مُضَاعَفَةً) بالتشديد مع حذف الألف في جميع القرآن ، وقرأ الباقون : بالإثبات والتخفيف^(٢) ، والمراد به^(٣) : ما كانوا يفعلونه عند حلول

(١) في «ظ» : «لعباده» .

(٢) انظر : «تفسير القرطبي» (٢٠٢/٤) ، و«الغيث» للصفاطسي (ص : ١٨٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص : ١٧٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٦٥) .

(٣) «به» ساقطة من «ن» .

أَجَلِ الدِّينِ مِنْ زِيَادَةِ الْمَالِ وَتَأْخِيرِ الطَّلَبِ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الرِّبَا وَأَحْكَامِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَ﴿أَضْعَافًا﴾ نَصَبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي أَمْرِ الرِّبَا فَلَا تَأْكُلُوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

[١٣١] ثُمَّ خَوَّفَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هَذِهِ أَخَوْفُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، حَيْثُ تَوَعَّدَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَمْ يَتَّقُوا بِعِقَابِ الْكَافِرِينَ.

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لَكِي تُرْحَمُوا، فَقَرَنَ تَعَالَى طَاعَةَ رَسُولِهِ بِطَاعَتِهِ، وَاسْمَهُ بِاسْمِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التَّغَابُنُ: ٨]، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بِوَاوِ الْعَطْفِ الْمُشْرَكَةِ، وَلَا يَجُوزُ جَمْعُ هَذَا الْكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ﷺ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»^(١) فَأَرْشَدَهُم ﷺ إِلَى الْأَدَبِ فِي تَقْدِيمِ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ، وَاخْتَارَهَا بِ(ثُمَّ) الَّتِي هِيَ لِلنَّسَقِ وَالتَّرَاخِي، بِخِلَافِ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ لِلإِشْرَاقِ، وَمِثْلُهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: أَنَّ خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٨٠)، كِتَابُ: الْأَدَبِ، بَابُ: لَا يَقَالُ: خَبِثَتْ نَفْسِي، وَالنِّسَائِيُّ فِي «الْسِّنَنِ الْكَبْرَى» (١٠٨٢١)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٨٤/٥)، وَغَيْرُهُمْ عَنْ حَذِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

[فقال: مَنْ يطع اللهَ ورسوله فقد رشدَ، وَمَنْ يعصهما فقد غوى، فقال له النبي ﷺ: (١) «بِشَسْ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ، قُمْ، أَوْ قَالَ: اذْهَبْ» (٢) كره منه الجمعَ بين الاسمين بحرف الكناية؛ لما فيه من التسوية، فالواو العاطفة لمطلق الجمع بالاتفاق، والفاء العاطفة للترتيب والتعقيب، وثُمَّ للتشريك وللترتيب بمُهْلَةٍ بالاتفاق.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣].

[١٣٣] ﴿ وَسَارِعُوا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (سَارِعُوا) بلا واو (٣)؛ أي: بادروا.

﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي: إلى الأعمال التي تُوجِبُ المغفرةَ.

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴾ أي: سَعَتُهَا.

﴿ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ وخصَّ العرضُ بالذكر؛ لأنه يكون غالباً أقلَّ من الطول. المعنى: بادروا إلى ما يوجبُ لكم المغفرةَ ودخولَ جَنَّةٍ في غايةِ السَّعةِ. ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بَقِيَتْ لَهُمْ.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه مسلم (٨٧٠)، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه -.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الكشف» لمكي (٣٥٦/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٤١٧/١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٦/٢).

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤).

[١٣٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة، قال ﷺ: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ» (١).

﴿وَالْكُظُمِينَ﴾ الحاسبين.

﴿الْغَيْظِ﴾ عند امتلاء نفوسهم به.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ الَّذِينَ يَظْلُمُونَهُمْ.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَاذْنُوبُكَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥).

[١٣٥] ونزل فيمن أذنب ذنباً وطلب التوبة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ يعني قبيحة خارجة عما أذن الله فيه.

(١) رواه الترمذي (١٩٦١)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في السخاء، وقال:

غريب، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤٠٣/٣)، عن أبي هريرة

- رضي الله عنه -.

﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما دون الزنا؛ كالقُبلة واللمس والنظر.

﴿ذَكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا وعيده.

﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ أي: وما يغفر الذنوب.

﴿إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ أي: يُقيموا.

﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ ولكن تابوا وأنابوا.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنها معصية، وأنَّ الله يغفر الذنوب^(١).

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(١٣٦).

[١٣٦] ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، خبره^(٢):

﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أي: ونعم ثواب المطيعين ما أُعدَّ لهم.

قال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطَّهَّورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ»^(٣)، قال ثابت البناني: لما نزلت هذه الآية، بكى إبليس^(٤).

(١) في «ظ»: «الذنب».

(٢) «خبره» ساقطة من «ن».

(٣) رواه أبو داود (١٥٢١)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار، والترمذي

(٤٠٦)، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة عند التوبة، وقال: حسن، عن

علي - رضي الله عنه -.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/٤٢٣).

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [١٣٧]

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ أي: مضت شرائع وطرائق، وسنة الإنسان: الشيء الذي يعمل به، والخطاب للمؤمنين. والمعنى: قد مضت وسلفت مني فممن قبلكم من الأمم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيه أجلي الذي أجلته لإهلاكهم إياهم.

﴿ فَسِيرُوا ﴾ تقديره: إن شككتهم، فسيروا.

﴿ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ﴾ أي: آخر أمر ﴿ الْمُكْذِبِينَ ﴾ منهم، وهذا في حرب أهل أحد، يقول: فإنما أمهلهم فأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلت في نصرته النبي وأوليائه، وإهلاك أعدائه.

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٨]

﴿ هَذَا ﴾ أي: القرآن.

﴿ بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ عامة.

﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة.

﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصة.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣٩]

﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ لا تضعفوا عن قتال عدوكم.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم من قتلٍ وجرحٍ بأحد، وكان قد قُتل يومئذٍ من المهاجرين خمسة، منهم: حمزةُ بنُ عبدِ المطلب، ومُصعبُ بنُ عُمَيْرٍ، وسبعونَ رجلاً من الأنصار ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ شأنًا في الآخرة بدخول الجنة، وفي الدنيا بأن تكون الغلبة لكم.

﴿إِنْ﴾ يعني: إذ.

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لأنكم مؤمنون.

﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ﴾ أي: جُرحٌ يومٍ أحدٍ.

﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ أي: الكافرين ببدرٍ.

﴿فَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ فقتل المسلمون من المشركين ببدرٍ سبعين، وأسروا سبعين، وقتل المشركون من المسلمين بأحد خمساً وسبعين، وجرحوا سبعين. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف: (فَرْحٌ) بضم القاف حيث وقع، والباقون: بالفتح، وهما لغتان معناهما واحد^(١).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (٣٥٦/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٤٢٤/٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٢)، =

﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُذَاوِلَهَا﴾ أي: نجعلها دُولةً.

﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ المؤمنين والكافرين، فمرة لهم، ومرة عليهم.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ علماً يتعلّق به الجزاء، وهو أن يظهر منهم الفعل، فيجازون عليه.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ بأن يُكرّمهم بالشهادة.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يُضمرون خلاف ما يُظهرون.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٤١﴾.

[١٤١] ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ التّمييز: تخلص الشيء من عيب فيه، المعنى: يُطهّر المؤمنين من الذنوب.

﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ يُفنيهم، المعنى: إن قتلوكم، فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم، فهو محقّهم واستئصالهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ (أَمْ) هي بمعنى الإضراب عن الكلام الأول والترك له، وفيها لازم معنى الاستفهام، و(حَسِبْتُمْ) معناه:

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٦/٢).

ظننتم، وهذه الآية وما بعدها تقرعُ وعتبَ لطوائف المؤمنين الذين وقعت منهم الهنات^(١) في يومٍ أحدٍ.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾ أي: ولم يعلم.

﴿اللَّهُ الَّذِينَ جَهِدُوا مِنْكُمْ﴾ والقراءة بكسر الميم في قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾ الله لا لقاء الساكنين.

﴿وَيَعْلَمُ الْقَصِيرِينَ﴾ في الشدائد، ونصبُ (يَعْلَمُ) بإضمارِ أَنْ، و(الواو) بمعنى الجمع؛ كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾.

[١٤٣] ثم خاطب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أي:

الشهادة؛ لما علمتم من فضل الشهداء بدر. قرأ البزئي بخلاف عنه: (كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ) بتشديد التاء بعد الميم حالة الوصل^(٢).

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ وذلك أن قوماً من المسلمين تمنوا يوماً كيوم بدر ليقَاتِلُوا وَيُسْتَشْهَدُوا، فأراهم الله يومٍ أحدٍ.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: رأيتم سببه.

﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ عياناً أسبابه.

(١) في «ن»: و«الهنات».

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)،

و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٦٨/٢).

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
 اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [١٤٤]

[١٤٤] رُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشُّعْبِ مِنْ أَحَدِ بَسْجِ مِثَّةِ
 رَجُلٍ، وَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَوَاتٍ عَلَى الرِّجَالَةِ، وَقَالَ: «أَقِيمُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ،
 وَانْصَحُوا عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، وَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ حَتَّى أُرْسَلَ
 إِلَيْكُمْ، فَلَا نَزَالَ غَالِبِينَ مَا ثَبْتُمْ مَكَانَكُمْ»، فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى مِيمَنَتِهِمْ
 خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى مِيسَرَتِهِمْ، فَقَاتَلُوا حَتَّى حَمَيْتِ
 الْحَرْبُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِيفًا وَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ؟»، فَأَخَذَهُ
 أَبُو دُجَانَةَ، فَأَعْلَمَ بِعِمَامَةِ حَمْرَاءَ، فَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا لَمِشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ»، فَفَلَقَ بِهِ هَامَ
 الْمُشْرِكِينَ، فَحَمَلَ ﷺ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَهَزَمَهُمْ، فَتَرَكَ الرَّمَاةَ
 مَرْكَزَهُمْ، وَجَاؤُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ لِأَجْلِ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا رَأَى خَالِدٌ ظُهُورَ
 الْمُسْلِمِينَ مَنكُشَةً، صَاحَ فِي خَيْلِهِ، وَحَمَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهَزَمَهُمْ،
 وَرَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَمِيَّةَ الْحَارِثِيُّ النَّبِيَّ ﷺ بِحَجَرٍ، فَكَسَرَ أَنْفَهُ وَرَبَاعِيَّتَهُ،
 وَشَجَّهَ فَأَثْقَلَهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَحَمَلَ ابْنُ قَمِيَّةَ لِيَقْتُلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَبَّ
 عَنْهُ مَصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ صَاحِبُ الرَّايَةِ يَوْمَئِذٍ، فَقَتَلَهُ ابْنُ قَمِيَّةَ وَهُوَ يُرَى أَنَّهُ قَتَلَ
 النَّبِيَّ ﷺ، وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، قَالُوا: كَانَ إِبْلِيسَ،
 وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَصَابَ فِيهِمُ الْعَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلَاءٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
 وَمَثَلَتْ هَنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبُهَا بِالْقَتْلِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَجَدَعْنَ الْأَذَانَ
 وَالْأَنْوَفَ، وَبَقَرَتْ هَنْدٌ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا كَتَهَا، وَصَعِدَ

زوجها أبو سفيان الجبل، وصرخ بأعلى صوته: الحرب سجال، يوم يوم بدر، اعل هبل؛ أي: أظهر دينك، فأجابه المسلمون: الله أعلى وأجل، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فأجابه المسلمون: الله مولانا ولا مولى لكم، ثم نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال النبي ﷺ لواحد: «قل هو بيننا وبينكم»، ثم التمس رسول الله ﷺ عمه حمزة، فوجده وقد بقر بطنه، وجذع أنفه وأذناه، فقال: «لئن أظهرني الله عليهم، لأمثلن بثلاثين منهم». ثم أمر رسول الله ﷺ حمزة بردة، ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة، فصلّى عليه وعليهم ثنتين وسبعين صلاة، وهذا دليل لأبي حنيفة؛ فإنه يرى الصلاة على الشهيد خلافاً للشافعي ومالك وأحمد، ثم أمر بحمزة فدفن، واحتمل ناس من المسلمين إلى المدينة، فدفنوا بها، ثم نهاهم رسول الله ﷺ وقال: «ادفنوهم حيث صرعو»، وأصيبت عين قتادة، فردّها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينه.

ولما صرخ الصارخ بقتل النبي ﷺ، قال بعض المسلمين: ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين: لو كان نبياً لما قُتل، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: «يا قوم! إن كان^(١) محمد قُتل، فإن ربّ محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعترض إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاؤوا به»، ثم شدّ سيفه فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

(١) «كان» سقط من «ت».

وعن بعض المهاجرين أنه مرَّ بأنصاريَّ يتشخَّطُ^(١) بدمه، فقال:
يا فلانُ! شعرتَ أن محمداً قد قُتل؟ فقال: إن كان محمداً قُتل فقد بَلَغَ،
قاتلوا على دينكم.

ولما انهزم أصحابه جعلَ ﷺ يدعوهم «إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، إِلَى عِبَادِ اللَّهِ»^(٢)
حَتَّى انحازت إليه طائفةٌ من أصحابه، فلأمهم على هَرَبِهِمْ، فقالوا:
يا رسول الله! فدينناك بآبائنا وأمهاتنا، أتنا خبر قتلِكَ، فرُعبت قلوبنا، فولَّينا
مدبرين، فنزلَ توبيخاً:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَاتٍ لَوْ لَمْ يَأْتِ بِآيَاتٍ لَخَالَفَ عَلَيْكُمُ الْمُنَافِقُونَ وَلَا يَلْبِسُ الْفُجَّارُ الْبِرَّ وَلَا يَلْبِسُ الْبِرَّ الْفُجَّارَ﴾^(٣) معناه: المستغرق لجميع المحامد، وهو الذي كثر
حمدُ الحامدين له مرةً بعد أخرى، ويقال^(٤) حَمْدٌ فهو محمَّدٌ، فتسميته ﷺ
بهذا الاسم لما اشتملَ عليه من مُسمَّاه، وهو الحمدُ، فإنه ﷺ محمودٌ
عند الله، وعند ملائكته، وعند إخوانه من المرسلين، وعند أهل الأرض
كلَّهم، وإن كفر به بعضهم، فإنَّ ما فيه من صفات الكمال محمودٌ عند كلِّ
عاقِل، ومحمَّدٌ هو المحمودُ حمداً متكرراً كما تقدم، وأحمدُ هو الذي
حمدُهُ لربه أفضلُ من حمد الحامدين غيره، وهو الذي يحمده أهل الدنيا
وأهل الآخرة، وأهل السماء والأرض، فلكثرة خصائله المحمودَةِ التي
تفوتُ عددَ العادِّين سُمِّيَ^(٥) باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيلَ
والزيادةَ في القدر والصفة، فدلَّ أحدُ الاسمين وهو محمَّدٌ على كونه

(١) في «ن»: «يتشخط».

(٢) «إلى عباد الله» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١١١/٤)، و«تفسير البغوي» (٤٢٦/١).

(٤) في «ت» و«ن»: «وقال».

(٥) في «ت»: «تسمى».

محموداً، ودل الاسمُ الثاني وهو أحمدُ على كونه أحمدُ الحامدين لربِّه،
وأن الحمدَ الذي يستحقه أفضلُ مما يستحقه غيره، وقد أكرمه الله سبحانه
بهذين الاسمين المشتقين من اسمه جل وعلا، وفيه يقول حسانُ بنُ ثابتٍ
رضي الله عنه :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ بِرْهَانِهِ وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وأما نسبه الشريف، فهو محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب بنِ
هاشم بنِ عبدِ مناف بنِ قُصَيِّ بنِ كلاب بنِ مُرَّة بنِ كعب بنِ فِهْر بنِ
مالِك بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِيَّاس بنِ مُضَرَ بنِ نِزَار بنِ
مَعَدَّ بنِ عَدْنَانَ بنِ آد بنِ أدد بنِ اليَسَع بنِ الهَمَيْسَع بنِ سَلَامَانَ بنِ نَبْتِ بنِ
حمل بنِ قَيْدَار بنِ إِسْمَاعِيل بنِ إِبْرَاهِيمَ الخليلِ عليهما السلامُ بنِ تَارِح وهو
أَزْرُ بنِ نَاحور بنِ ساروع بنِ رعون بنِ فالغ بنِ عابر بنِ شالِح بنِ قَيْنَانَ بنِ
أَرْفَخْشَد بنِ سام بنِ نوحٍ عليهما السلام بنِ لامخ ويقال لامك بنِ
متوشلح بنِ حنوخ وهو إدريسُ عليه السلام بنِ يارد بنِ مهلائيل بنِ قينان بنِ
أنوش بنِ شيث بنِ آدم عليه السلام .

﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي : مضت .

﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ لأن الرسول يموت كما مات الرسل قبله .

﴿أَفَايْنَ مَاتَ أَوْ قَتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾ أي : رجعتم .

﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ كافرين؟! إنكاراً لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن
الدين؛ لخلوه بموتٍ أو قتلٍ بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم

متمسكاً به . المعنى : إن محمداً مضى قبله رسلٌ ، وبقي أتباعهم متمسكين بدينهم لم يرتدوا بعدهم ، وإن محمداً يمضي ، فتمسكوا بدينه بعده ولا ترتدوا .

﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ فیرتدَّ عن دینه .

﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ بارتدادہ ، وإنما یضرُّ نفسه .

﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ على نعمة الإسلام بالثبات عليه ؛ كأنسٍ ونحوه .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ۝١٤٥﴾ .

[١٤٥] ثم شجعهم وأعلمهم أن لا موت إلا بمشيئته ، فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي : بقضائه ﴿ كَتَبَ ﴾ أي : كتب الله الموت كتاباً .

﴿ مُوَجَّلًا ﴾ معلوماً ، لا يتقدم ولا يتأخر ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ﴾ بطاعته .

﴿ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ أي : جزاء عمله من الدنيا .

﴿ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ما قُسم له ، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ ﴾ بطاعته .

﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ جزاء عمله . قيل : أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا .

﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ المطيعين . قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (يُرِدُّ ثَوَابَ) بإظهار الدال عند الثاء فيهما، والباقون: بالإدغام^(١) .

قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٢) .

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) .

[١٤٦] ﴿وَكَايْنٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: بألفٍ ممدودة^(٣) بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وأبو جعفرٍ يُسهِّلُ الهمزة، والباقون: بهمزة مفتوحة بعد الكاف، وبعدها ياء مكسورة مشددة، ووقف أبو عمرو، ويعقوبُ (وَكَايْنٍ) بغيرِ نونٍ حيثُ وقعَ، ووقف الباقرُ (وَكَايْنٍ)، وهي كافُ

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٦٩) .

(٢) رواه البخاري (١)، كتاب: الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى

رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧)، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما

الأعمال بالنية»، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

(٣) في «ت»: «ممدود» .

التشبيه ضُمَّتْ إِلَى أَيِّ الاسْتِفْهَامِ^(١)، فَصَارَ الْمَعْنَى: وَكَمْ.

﴿مَنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ أَي: جَمُوعٌ.

﴿كَثِيرٌ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَيَعْقُوبُ: (قَتَلَ) بَضَمَ الْقَافَ وَكَسَرَ التَّاءَ؛ أَي: قَتَلَ الرِّبِّيُّونَ دُونَ النَّبِيِّ، قَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ: مَا قَتَلَ نَبِيٌّ قَطُّ فِي قِتَالٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: (قَاتَلَ) بَفَتْحِ الْقَافِ وَالتَّاءِ وَالْأَلِفِ بَيْنَهُمَا؛ أَي: قَاتَلَ كَانَتْ مَعَهُ رِبِّيُّونَ^(٢).

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ أَي: جَبَنُوا.

﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ عَنِ الْجِهَادِ.

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ خَضَعُوا لِلْعَدُوِّ هُمْ.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُمْ مَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ نَصْرِهِ وَتَنْعِيمِهِ.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦٣/٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الكشف» لمكي (٣٥٨-٣٥٧/١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/٤٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٧٠-٧١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الكشف» لمكي (٣٦٠-٣٥٩/١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/٤٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧١).

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا
وَتَبَتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٤٧].

[١٤٧] ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ ﴾ بنصب اللام خبر (كان)، واسمها:

﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ أي: الصغائر.

﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ أي: الكبائر.

﴿ وَتَبَتْ أَقْدَامُنَا ﴾ كيلا تزول ﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

﴿ فَجَاءَتْهُمْ أَلَلُّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٤٨].

[١٤٨] ﴿ فَجَاءَتْهُمْ أَلَلُّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ النصرَة والغنيمة.

﴿ وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ الأجر والجنة.

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وخصَّ ثواب الآخرة بالحسن إشعاراً بفضله،
وأنه المعتدُّ به عنده.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ
عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [١٤٩].

[١٤٩] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني:

المنافقين في قولهم عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم، وادخلوا في
دينهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي يُرْجِعُوكُمْ إلى أول أمرِكُم الشرك بالله .
 ﴿فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ﴾ أي : مَغْبُونِينَ .

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ .
 [١٥٠] ثم قال : ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصرُكُمْ وحافظُكُمْ على دينِكُم .

﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فاستعينوا به .

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ .

[١٥١] وكان المشركون قد ارتحلوا من أحد متوجِّهين نحو مكة، ثم عزموا على الرجوع واستئصال المسلمين، ففُذِفَ الرُّعْبُ في قلوبهم، فلم يرجعوا، فنزل : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي : الخوف .
 قرأ أبو جعفر، وابنُ عامر، والكسائي، ويعقوبُ : بضم العين، والباقون : بسكونها، وهما لغتان مثلُ القدس^(١) .

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٧٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٧٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/٤٣٢)، و«التيسير» للداني (ص : ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦-٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» =

﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ أي: بسبب إشراكهم.

﴿يَا اللَّهُ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً.

﴿وَمَا وَهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: مقام الكافرين.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٢] ولما رجع رسول الله ﷺ من أحد، قال المسلمون: كيف أصبنا وقد وعدنا بالنصر؟ فنزل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾^(١) بالنصر لكم؛ لأن النصر كان أولاً للمسلمين. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَلَقَدْ صَدَقَكُم) بإدغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار^(٢).

﴿إِذْ تَحُسُونَهُمْ﴾ تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

= للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٣٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٥).

﴿يَا ذُنَيْظَ﴾ بإرادته؛ فإنهم قتلوا من المشركين اثنين وعشرين رجلاً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ﴾ جَبْتُمْ، وضعف رأيكم بترك الرِّمَّةِ مركزهم لطلب الغنيمة.

﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: اختلفتم في أمر النبي ﷺ للرِّمَّةِ بالمقام في سفح الجبل، فقال بعضهم: نذهب، فقد نُصر أصحابنا، وقال بعضهم: نمثلُ أمر النبي ﷺ، ولا نبرحُ مكاننا.

﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ النبي ﷺ بترك المركز.

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ﴾ الله.

﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ من الظفر والغنيمة.

﴿مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الرِّمَّةُ الذين تركوا المركز وطلبوا الغنيمة.

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم مَن ثَبَتَ من الرِّمَّةِ في المركز عبدُ الله بنُ جُبَيْرٍ وأصحابه.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ أي: ردَّكم.

﴿عَنْهُمْ﴾ بالهزيمة.

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ لِيَمْتَحِنَكُمْ.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فلم تُستأصَلوا على فعلكم.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا بَغْمٍ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [١٥٣].

[١٥٣] ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تصعدون
هاربين، والإصعاد: السير في مستوى الأرض.

﴿ وَلَا تَكُونُوا ﴾ أي: لا تعرجون ولا تقيمون.

﴿ عَلَى أَحَدٍ ﴾ لا يلتفت بعض إلى بعض.

﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ أي: خلفكم يقول: «إِلَيَّ
عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، مَنْ يَكُرْ فَلَهُ الْجَنَّةُ».

﴿ فَأَتْبِكُمْ ﴾ جازاكم.

﴿ غَمًّا ﴾ إذ هزمتم.

﴿ بَغْمٍ ﴾ بسبب غم أذقتموه النبي ﷺ حين عصيتموه.

﴿ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الفتح والغنيمه.

﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من القتل والجراح وذلل الانهزام وما نيل من

نبيكم.

﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ توعّد.

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي
صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ .

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر المسلمين .

﴿مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أي : أَمْنًا ﴿نُعَاسًا يَّعَشَّى﴾ أي : النعاس .

﴿طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف (تُعَشَّى) بالتاء ردًّا إلى الـ (أَمَنَةً) ، والباقون : بالياء ردًّا إلى (النعاس) (١) .

قال ابن عباس : «أَمَنَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِنِعَاسٍ يَغْشَاهُمْ ، إِنَّمَا يَنْعَسُ مَنْ يَأْمَنُ» (٢) والخائف لا ينام ، فأراد الله تمييز المؤمنين من المنافقين ، فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أَمِنُوا ، ولم يوقع على المنافقين ، فَبَقُوا في الخوف .

﴿وَطَائِفَةٌ﴾ مبتدأ ، خبره :

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون ، لم يكن لهم هَمٌّ بِأَحَدٍ سِوَى أَنْفُسِهِمْ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ .

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الظَّنِّ﴾ .

(١) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٧٦) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢١٧) ،

و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١١٤) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٠) ، و«الغيث»

للصفاقسي (ص : ١٨٤) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٤) ، و«التيسير» للداني

(ص : ٩١) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢) ، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٨٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧) .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤٠) .

﴿الْحَقِّ ظَنٌّ﴾ أي: ظناً مثل ظنٍّ ﴿الْجَهْلِيَّةِ﴾ والذي ظنوه أن محمداً قُتل، أو أن الله لا ينصره.

﴿يَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ.

﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: من أمرِ النصرَةِ.

﴿مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوبُ: (كُلُّهُ) برفع اللام على الابتداء وخبره في (الله)، والباقون: بالنصب على البدل^(١).

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ وذلك أن المنافقين قالوا بينهم مساريين: لو كان لنا عقولٌ وتركنا، ما خرجنا مع محمدٍ، ولا قُتل رؤساؤنا، فقال تعالى لنبيه ﷺ تكذيباً لهم:

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم. المعنى: لو قعدتم في بيوتكم، وفيكم من علم الله أنه يُقتل، لخرج الشخصُ المعلوم إلى مصرعه فقتل؛ لأن معلوم الله كائنٌ حتماً.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾ أي: ليختبر.

﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ﴾ يُخرج ويُظهر.

﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب من خيرٍ وشرٍّ، وقد اجتمع حروف المعجم كلها التسعة والعشرون في هذه الآية من

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٧).

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ وكذا في سورة الفتح في قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة، وليس في القرآن آيتان كلُّ آية حوت حروف المعجم غيرهما، مَنْ دعا الله بهما، استجيب له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٥٥].

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ يا معشر المسلمين؛ أي: انهزموا.

﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمعُ المسلمين وجمعُ المشركين يومَ أحد، وكان قد انهزم أكثرُ المسلمين، ولم يبقَ مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلاً ستة من المهاجرين، وهم أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة، وعبدُ الرحمن بنُ عوف، وسعدُ بنُ أبي وقاص.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ طلبَ زلتهم بأن سَوَّلَ لهم تركَ المركز، ومخالفةَ النبي ﷺ.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ بسببِ بعضِ ذنوبٍ كانت منهم، ثم بعدَ توبيخهم لطفَ بهم وطيبَ قلوبهم فقال:

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعجلُ على العُصاة؛ لأنه لا يخافُ الفتور.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ

حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ .

[١٥٦] ثم حَذَّرَهُم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

يعني: المنافقين عبدَ الله بنِ أبيِّ وأصحابه.

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الاعتقاد.

﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لتجارةٍ أو غيرها.

﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ أي: غزاةً جمع غازٍ.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تشبهوا بالكافرين بالنطق

واعتقاد القول.

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول والظنَّ منهم.

﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في الدنيا.

﴿وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد للمؤمنين على أن

يماثلوهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف: (يَعْمَلُونَ) بالغيب

على أنه وعيد للكفار، والباقون: بالخطاب^(١).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص:

٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦١)،

و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/٤٣٦)،

و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٢/٧٩).

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١٥٧].

[١٥٧] ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ في العاقبة.

﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الغنائم. قرأ حفص عن عاصم: (يَجْمَعُونَ) بالغيب؛ يعني: خير مما يجمع الناس، وقرأ الباقون: بالخطاب^(١)؛ لقوله: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ ﴾.

﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [١٥٨].

[١٥٨] ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ في العاقبة، فيجازيكم. قرأ نافع وحمزة، والكسائي، وخلف: (مُتُّم) و(مُتَّنَا) و(مُتُّ) حيث وقع بكسر الميم، وافقهم في غير هذه السورة حفص، وقرأ الباقون: بالضم، فمن قرأ بالضم من مات يموت، وبالكسر من مات يما^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٠).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٧٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٢-٣٦١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٠).

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَظَنَّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۖ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَاَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَاَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ۚ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [١٥٩].

[١٥٩] ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ ﴾ أي : فبرحمة .

﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ و (ما) صلة ؛ كقوله : ﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيثَقَهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] .

﴿ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ ﴾ سَهَّلْتَ أَخْلَاقَكَ حِينَ خَالَفُواكَ .

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ جَافِيًّا .

﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ قَاسِيَهُ .

﴿ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لَنَفَرُوا وَتَفَرَّقُوا عَنْكَ .

﴿ فَأَعَفُّ عَنْهُمْ ﴾ تَجَاوَزُ عَنْ فِعْلِهِمْ بِأَحَدٍ .

﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ﴾ أَشْفَعُ حَتَّى أَشْفَعَكَ .

﴿ وَشَاوَرَهُمْ ﴾ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ .

﴿ فِي الْأَمْرِ ﴾ أي : أَمْرِ الْحَرْبِ ؛ أي : خُذْ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الرَّأْيِ فِيمَا عَرَضَ لَكَ فِيمَا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ وَحْيٌ .

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ عَلَى فِعْلِ بَعْدِ الْمَشَاوَرَةِ ، وَالْعَزْمُ : هُوَ عَقْدُ الْمَرْءِ عَلَى شَيْءٍ يَرِيدُ كَوْنَهُ .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ لَا عَلَى مَشَاوَرَتِهِمْ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فَيَنْصُرُهُمْ .

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠).

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ يُعْنِكُمْ كيوم بدر.

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كيوم أحد، والخِذلانُ: القعودُ عن النصر.

﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ بعد خذلانه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وحده.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فليخصوه بالتوكل.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرَوْحُ^(١) بِطَانًا»^(٢).

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦١).

[١٦١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي: يخون. وقرأ نافع، وابنُ عامر، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (يَغُلَّ) بضم الياء

(١) في «ن»: «وتعود».

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، كتاب: الزهد، باب: التوكل واليقين، والإمام أحمد في «المسند» (٣٠/١).

وفتح الغين^(١)؛ يعني: يُخَانَ. نزلت في قَسَمِ الغنِيمَةِ أو سترِ شيءٍ منها.

روي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وأبا بكرٍ، وعمرَ رضي الله عنهما حرقوا متاعَ الغالِّ، وضربوه^(٢)، واستدل الإمام أحمدُ بذلك، فقال في الغالِّ، وهو الذي يكتُم ما أخذه من الغنِيمَةِ، فلا يَطْلُعُ الإمامُ عليه، ولا يضعُه مع الغنِيمَةِ: يجبُ حرقُ رَحْلِهِ كُلِّهِ، إلا السلاحَ والمصحفَ والحيوانَ ونفقته، ويُعَزَّرُ، ويؤخذ ما غلَّ للمغنم، ولا يُحرَمُ سهمه من الغنِيمَةِ، وخالفه الثلاثة في ذلك، وقالوا: يعزَّرُ فقط، ولا يُحرَمُ سهمه.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ أي: بإثمه.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لأنه عادل.

﴿أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١٦٢).

[١٦٢] ﴿أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ قرأ أبو بكرٍ: (رُضْوَان) بضم


(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٧٩-١٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٣-٣٦٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/٤٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨١).

(٢) رواه أبو داود (٢٧١٥)، كتاب: الجهاد، باب: في عقوبة الغال، والحاكم في «المستدرک» (٢٥٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/١٠٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

الراء^(١)، والآية توقیفٌ على تباين المنزلتين، وافتراقِ الحاليتين.

﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ متحملاً له .


﴿ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴾ .

﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾  .

[١٦٣] ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ ﴾ أي : هم ذوو درجات .

﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ المعنى : المثابون والمعاقبون متفاوتون في المنازل والجزاء يوم القيامة .

﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيهم .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾  .

[١٦٤] ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ عربياً
مثلهم ؛ ليفهموا عنه ، وليشرفوا به .

﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ظاهر .

(١) انظر : «البحر المحيط» لأبي حيان ، في تفسير الآية الثانية من سورة المائدة .

﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْصِيْبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥).

[١٦٥] ثم أدخل همزة الاستفهام على الواو العاطفة الجملة بعدها على محذوف، فقال: ﴿أَوَلَمَّا﴾ وتقديره: أفعلتم كذا، وقلتم حين ﴿أَصَبْتُمْ مُمْصِيْبَةً﴾ بأحد بقتل سبعين منكم.

﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم.
﴿قُلْتُمْ﴾ تعجباً.

﴿أَنَّى هَذَا﴾ أي: كيف خذلنا ونحن مؤمنون.

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: الخذلان.

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لمخالفتكم النبي ﷺ، وترك المركز.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النصر ومنعه.

﴿وَمَا أَصَبَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذِنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٦).

[١٦٦] ﴿وَمَا﴾ مبتدأ؛ أي: والذي.

﴿أَصَبَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأحد، خبره ﴿فَيَاذِنِ اللَّهُ﴾ أي: بعلمه.

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنِتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ يَا فَوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١٦٧).

[١٦٧] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ المعنى: إن ما أصابهم كان بعلم الله، وليُظهرَ إيمانَ المؤمنين بثبوتهم على ما أصابهم، وليُظهرَ نفاقَ المنافقين بقلَّةِ صبرهم.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الذين نافقوا، وهم عبدُ الله بنُ أبيّ وحلفاؤه حين انخزلوا عن أحد.

﴿تَعَالَوْا فَنَكِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعداءه.

﴿أَوْ أَدْعَوْا﴾ عن حرمكم وأهليكم إن لم يكن لله.

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ﴾ فأظهر تعالى كذبهم بقوله:

﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ﴾ لأنهم قبل ذلك لم يُظهرُ منهم ما يدلُّ على كفرهم، فلما انخزلوا، ظهر.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يُضمرون خلافَ ما يُظهرون من كلمة الإيمان.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ قرأ السوسيُّ عن أبي عمرو: (أَعْلَمَ بِمَا) بإسكان الميم عند الباء، وتقدم ذكرُ ذلك.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ يعني: ابنُ أبيّ وأصحابه قالوا ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في النسب، لا في الدين، وهم شهداءُ أحد.

﴿وَقَعِدُوا﴾ أي: وقد قعدوا عن القتال.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وانصرفوا عن محمد.

﴿مَا قُتِلُوا﴾ قرأ هشام: (قُتِلُوا) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف^(١).

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَادَرُّوْا﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمَوْتَ﴾

برأيكم وحيلكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الحذر يُنجي من القدر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ﴾ ١٦٩.

[١٦٩] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ نزلت في شهداء بدر،

وقيل: في شهداء أحد: حمزة وأصحابه. قرأ هشام عن ابن عامر بخلاف

عنه (يَحْسَبَنَّ) بالغيب وفتح السين؛ أي: لا يحسبن النبي، وقرأ الباقر:

بالخطاب وكسر السين^(٢)، والمراد به النبي ﷺ، وقرأ ابن عامر (قتلوا)

بتشديد التاء^(٣).

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/٣٦٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٥)،

و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/٨٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للديمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٤)،

و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/٤٤٧)، و«التيسير» =

﴿بَلْ هُمْ﴾

﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة، وعنه ﷺ: «أَنَّ أَزْوَاجَهُمْ كَطَيْرٍ خَضِرٍ أَوْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ أَيْنَ شَاءَتْ»^(١).

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١٧٠).

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من الشهادة والكرامة والفضيلة على غيرهم؛ لأنهم أحياء مقربون.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ إخوانهم الذين بقوا بعدهم ولم يقتلوا.

﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المعنى: يفرحون يوم القيامة بسلامة إخوانهم الذين بقوا بعدهم حيث وصلوا إليهم آمنين.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٧١).

= للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٣).

(١) رواه الترمذي (٣٠١١)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة آل عمران، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٠١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، عن ابن مسعود - رضي الله عنه -.

[١٧١] ثم كرّر تأكيداً ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ قرأ الكسائي: (وإنَّ الله) بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الباقر: بالفتح عطفاً على ﴿بِنِعْمَةٍ﴾^(١) أي: يستبشرون بنعمة، وبأن الله ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ﷺ: «لَا يَجِدُ الشَّهِيدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ»^(٢).

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١٧٢).

[١٧٢] ولما انصرف أبو سفيان نحو مكة بأصحابه، ندموا حيث لم يَسْتَأْصِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وأصحابه، فأرادوا العودة لذلك، فأحبَّ النبي ﷺ أن يُرِيَ من نفسه جَلداً وقوةً، فانتدب أصحابه الذين كانوا معه في القتال للخروج في طلب أبي سفيان، فخرج ﷺ بمن معه حتى بلغ حمراء الأسد على ثمانية أميالٍ من المدينة، فَجَبَّ أبو سفيان عن العود، فقال لِنُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الأشجعيّ، أو لركبٍ مرَّ به: إذا رأيتم محمداً وأصحابه، فأخبروهم

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٤-٣٦٥)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/٤٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٣).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٢٤٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/١٦٤)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

أنا قد أجمعنا على الكرة عليهم ، فأخبروهم فقالوا :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فنزل :

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ^(١) أي : أجابوهما .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ أي : نالهم الجرح . وتقدم اختلافُ القراء في فتح القاف وضمها .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ بطاعتهم لله ورسوله .

﴿ مِنْهُمْ وَاتَّقُوا ﴾ المعاصي .

﴿ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ و(من) في ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ﴾ للتبيين ، مثلها في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً ﴾ [الفتح: ٢٩] ؛ لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلُّهم واتقوا ، لا بعضهم .

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(١٧٣) .

[١٧٣] ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ نعيمُ الأشجعي ، أو الركب :

﴿ إِنَّ النَّاسَ ﴾ أبا سفيان وأصحابه .

﴿ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ ليستأصلوكم .

﴿ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمُ ﴾ القول ﴿ إِيْمَانًا ﴾ يقيناً وقوة ؛ بأن أخلصوا النية ، وعزموا على الجهاد .

﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ كافينا .

(١) انظر : « تفسير الطبري » (٤/ ١٧٩) ، و « أسباب النزول » للواحدي (ص : ٧٣) .

﴿وَنِعَمَ الْوَكِيلُ﴾ أي: الموكول إليه.

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧٤).

[١٧٤] وروى أن أبا سفيان كان واعد النبي ﷺ أن يلقاه ببدر الصغرى، وكانت موضع سوقٍ لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كلِّ عام ثمانية أيام، فلما كان العامُ القابل، جَبُنَ أبو سفيان عن الذهاب إلى بدر، وذهب ﷺ بأصحابه، ومعهم تجاراتٌ، فكسبوا في^(١) تجاراتهم، ولم يلقوا عدواً.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا من بدر^(٢).

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامةٍ وربح.

﴿لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ شيء يسوؤهم.

﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ طاعة الله ورسوله.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ أعطاهم ثواب الغزو، ورضي عنهم.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥).

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي: القائل لكم:

(١) «في» ساقطة من «ن».

(٢) «من بدر» ساقطة من «ن».

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ ترهيباً، فـ(ذلكم) مبتدأ، خبره:

﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم بأوليائه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي: الشيطان وأوليائه.

﴿وَخَافُونَ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (وَخَافُونِي) بإثبات الياء حالة الوصل، ويعقوب يُثبتها في الحالين^(١).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدِّقين؛ لأن الإيمان يقتضي أن يقدم خوف الله على غيره.

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦).

[١٧٦] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ قرأ نافع: بضم الياء وكسر الزاي من (أحزنه) في جميع القرآن، إلا قوله في الأنبياء: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الآية: ١٠٣]، وأبو جعفر ضده، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي من حزنه يَحْزَنُهُ^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٦/٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/٤٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١-٩٢)، و«النشر في القراءات =

﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً بمظاهرة المشركين، والمراد: كفار قريش. المعنى: لا تحزن لخوف يلحقك بسبب المظاهرة عليك.

﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ أي: دينه.

﴿شَيْئًا﴾ بمسارعتهم إلى الكفر.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيباً.

﴿فِي﴾ ثواب.

﴿الْآخِرَةِ﴾ فلذلك خذلهم، وجعل وبال كفرهم راجعاً عليهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع الحرمان من الثواب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧).

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾ استبدلوا.

﴿الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ وإنما يضرُّون أنفسهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تكرير للتأكيد.

= العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص:

١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٦).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨).

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ قرأ حمزة هذا والذي بعده: بالخطاب وفتح السين، وقرأ الباقون: بالغيب وكسر السين، فمن قرأ بالغيب تقديره: ولا يحسبن الكفار، ومن قرأ الخطاب؛ يعني: ولا تحسبن يا محمد^(١).

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ﴾ أي: نُمهلهم ونُخلّهم مع إرادتهم.

﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ والإملاء: الإمهال والتأخير.

﴿إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ﴾ نُمهلهم.

﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت في مشركي مكة.

قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»^(٢).

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/٤٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٣٠)، كتاب: الزهد، باب: (٢٢)، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٠)، والحاكم في «المستدرک» (١٢٥٦)، عن أبي بكر - رضي الله عنه -.

فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾.

[١٧٩] ولما قال المشركون: يا محمد! تزعم أن من خالفك فهو في النار، والله عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة، والله عنه راضٍ، فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن^(١) لا يؤمن بك^(٢)، أنزل الله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾^(٣) أيها المشركون من الكفر والنفاق.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: يبين المنافق من الطيب؛ أي: المؤمن، فبان المنافق يوم أحد بتخلفهم عن الغزو. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (يُمِيزُ) بضم الياء الأولى وتشديد الثانية للمبالغة؛ من مِيزَ يُمِيزُ، وقرأ الباقر: بالفتح والتخفيف؛ من مازَ يَمِيزُ، وهما لغتان^(٤)، وأصل المِيز: الفصل بين المتشابهات.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ لأنه لا يعلم الغيب أحدٌ غيره.
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيُطْلِعُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْبِهِ.
﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بأن تصدقوهم.

(١) في «ت»: «وبمن».

(٢) «بك» ساقطة من «ن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/٤٥٣).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/٤٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٨).

﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لَا يَقْدِرُ ^(١) قَدْرُهُ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ^(١٨٠).

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ﴾ يعني: البخل.

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ والقراءة بالخطاب للنبي ﷺ؛ أي: لا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون هو خيراً.

﴿بَلْ هُوَ﴾ يعني: البخل.

﴿شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: المال الذي منعوا زكاته؛ بأن يجعل حَيَّةً تَطَوَّقُ في عنق مانعها.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ تنهشه من قرنه إلى قدمه.

﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه الدائم الباقي بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم، فيموتون ويرثهم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيهم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، وقرأ الباقون: بالخطاب على الالتفات ^(٢)، وهو أبلغ في الوعيد.

(١) في جميع النسخ «يقادر» والمثبت هو الصواب.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٠)، =

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١٨١).

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ نزلت لما قال اليهود عند سماعهم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ يَسْتَقْرِضُ مِنَّا، ونحن أغنياء، والذي قال هذه المقالة من اليهود فنحاص بن عازوراء. قرأ ابن كثير، وأبوجعفر، وقالون عن نافع، وعاصم، ويعقوب: (لَقَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام^(١).

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ من الكذب في اللوح المحفوظ، فيجازيهم عليه. ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: النار وهو معنى المحرق. قرأ حمزة: (سَيَكْتُبُ) بالياء وضمها وفتح التاء، (وَقَتْلَهُمْ): برفع اللام، (وَيَقُولُ): بالياء، وقرأ الباقر: (سَنَكْتُبُ) بالنون وفتحها وضم التاء، (وَقَتْلَهُمْ): بالنصب، (وَنَقُولُ): بالنون^(٢).

= و«الكشف» لمكي (١/٣٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/٤٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٨٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٩)، =

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿١٨٢﴾ .

[١٨٢] فإذا ألقوا في النار، يقال لهم: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: النازل بكم من

العذاب.

﴿ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ لأنه عادل لا يعاقب

غير المسيء، ويثيب المحسن.

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا
بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ
فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٨٣﴾ .

[١٨٣] ﴿ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ يعني: وسمع الله قول الذين قالوا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ أمرنا في كتبنا.

﴿ أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ ﴾ أي: لا نصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله.

﴿ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ فيكون دليلاً على صدقه، والقربان كل ما يتقرب به إلى الله، وكان إذا قرب قرباناً إن قبل، جاءت نارٌ بيضاء فأحرقتة، وإن لم يقبل، بقي مكانه، وسبب نزولها أن كعب بن الأشرف وأصحابه أتوا النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد! تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا،

= و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٧)، و«التيسير»

للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)،

و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٢/ ٨٩-٩٠).

وأنزل عليك كتاباً، وإن الله قد عهدَ إلينا في التوراة ألاَّ نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به، صدّقناك، فأنزل الله الآية^(١).

قال السُّدِّيُّ: قيل لبني إسرائيل: من جاءكم يزعمُ أنه نبيٌّ، فلا تصدقوه حتى يأتیکم بقربان تأكله النار، إلا محمداً وعيسى، فإذا أتيا، فأمنوا بهما؛ فإنهما لا يأتیان بقربان، قال الله تعالى إقامةً للحجة عليهم:

﴿قُلْ يَا مُحَمَّد: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ الْيَهُود.

﴿رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي﴾ كَيْحَيِّ وَزَكَرِيَّا.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ﴾ فَقَتَلْتُمُوهُمْ.

﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أَي: قَتَلْتُمْ أَسْلَافَكُمْ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ معناه: تكذيبهم مع علمهم بصدقك؛ كقتل آبائهم الأنبياء مع إتيانهم بالقربان^(٢).

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ١٨٤.

[١٨٤] ثم قال تعالى لنبیه ﷺ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ أَي: الصحف، جمعُ زبور؛ كرسول.

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٨٣١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٤).

(٢) في «ن»: «القربان». وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٥٨)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٠٩).

﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الواضح. قرأ هشام عن ابن عامر: (وبالزُّبُرِ
وبِالْكِتَابِ) بزيادة (باء) ^(١) بعد الواو فيهما، وافقه ابنُ ذكوان في
(وبالزُّبُرِ) ^(٢). المعنى: إن كذبوك، فقد كذبوا الأنبياء قبلك مع قيام
المعجز، وهذا تسليّة له ﷺ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ
الْعُورِ﴾ ^(١٨٥).

[١٨٥] ثم بَشَّرَ المؤمنين، وحذَّرَ الكافرين بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ﴾ المعنى: إن النفوس تزهُقُ بملاسةٍ أيسرٍ جزءٍ من الموت.

﴿وإِنَّمَا تُوفَّقُ أُجُورَكُمْ﴾ أي: جزاء أعمالكم.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أبعد.

﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ظَفِرَ بالنجاة، وأصلُ الفوز: الظَّفَرُ

(١) في «ت»: «ما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٠)، و«الغيث»
للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٨)، و«التيسير» للداني
(ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٢).

بالخير مع حصول السلامة. قرأ أبو عمرو (وَزُحِرَ عَنْ) بإدغام الحاء في العين، ولم يدغمها فيها في غير ذلك^(١).

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل. المعنى: الانتفاع بالدنيا يسيراً، ثم يزول عن قريب.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

[١٨٦] ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ لتختبرن (اللام) للتأكيد، وفيه معنى القسم، و(النون) لتوكيد القسم.

﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالجوائح.

﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالموت والقتل ومفارقة الأهل.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مشركي العرب.

﴿أَذًى كَثِيراً﴾ طعناً في دينكم، وسباً كسب ابن الأشرف لكم ولنبيكم، وتشبيهاً بنسائكم.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتقوى.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٢/٢).

﴿ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ أي: من خير الأمور التي يُعزَمُ عليها، ويُبالغُ في طلبها، والعزم: قصدُ الإمضاء.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧).

[١٨٧] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو بكرٍ عن عاصم: بالغيب فيهما؛ لقوله:

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: طرحوه وضيعوه، وقرأ الباقون: بالخطاب؛ أي: وقلنا لهم (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) ^(١).

﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا.

﴿فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ يختارون لأنفسهم. قال قتادة: هذا ميثاقُ أخذه الله تعالى على أهل العلم، من عَلِمَ شيئاً، فَلْيُعَلِّمُهُ، وإياكم وكنتم العلم، قال ﷺ: «مَنْ سِئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكْتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» ^(٢).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧١)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/٤٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩٣-٩٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم، والترمذي =

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [١٨٨].

[١٨٨] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ﴾ أي: بما فعلوا. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن عامر: بالغيب؛ أي: لا يحسبن الفارحون فرحهم منجياً لهم من العذاب، وقرأ الكوفيون، ويعقوب: بالخطاب؛ أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين^(١).

﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ نزلت في المنافقين الذين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو، تخلّفوا عنه، فإذا رجع، حلفوا له، واعتذروا إليه، وأحبوا أن يُحمدوا بما^(٢) لم يفعلوا^(٣).

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالغيب وضمّ الباء [خبراً عن

= (٢٦٤٩)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، وقال: حسن، وابن ماجه (٢٦٦)، في المقدمة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .
 (١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٦-١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٦٧-٣٦٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٩٤/٢).

(٢) في «ت»: «لما».

(٣) رواه البخاري (٤٢٩١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ﴾، ومسلم (٢٧٧٧)، في أول كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

الفارحين؛ أي: فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الباقون: بالخطاب وفتح الباء، [١] أي: فلا تحسبنهم يا محمد^(٢).

﴿بِمَفَازَةٍ﴾ أي: بمنجاة.

﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم وتدليسهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٨٩].

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على

عقابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١٩٠].

[١٩٠] ثم أوماً الله تعالى إلى الاعتبار بعجيب الصنع وكمال القدرة وتنزيه الخالق بما روي أن النبي ﷺ كان يقول إذا قام من الليل بعد^(٣) أن يتسوك ثم ينظر إلى السماء: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (١/٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٩٥).

(٣) «بعد» سقط من «ن».

وَالنَّهَارِ لَا يَتَّيْتُ^(١) لدلالات على القدرة العظيمة.

﴿لَاُولَى الْأَلْبَبِ﴾ ذوي العقول.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١٩).

[١٩١] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: مضطجعين. تلخيصه: يذيمون ذكره؛ لأن الإنسان غالباً يكون على هذه الأحوال.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يذكرونه متفكرين.

﴿فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب؛ استدلالاً على القدرة العظيمة والحكمة الباهرة، والفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشية، ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ أي: الخلق ﴿بَطْلًا﴾ أي: عبثاً.

﴿سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قرأ أبو عمرو: (النَّارِ) بالإمالة، ويدغم الراء في الراء التي بعدها.

(١) رواه البخاري (٥٩٥٧)، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه من الليل، ومسلم (٧٦٣)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [١٩٢]

[١٩٢] ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ ﴾ دخول تخليد.

﴿ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ أهنته وفضحته.

﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ تخلصهم منها.

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [١٩٣]

[١٩٣] ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾ أي: محمداً ﷺ.

﴿ يُنَادِي لِلْإِيمَنِ ﴾ لأنه لا شيء أعظم من النداء للإيمان.

﴿ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ

الْأَبْرَارِ ﴾ اقبض نفوسنا واحشرنا في جملة النبيين والصالحين. قرأ

أبو عمرو، والكسائي، وخلف: (الأبرار) بالإمالة، ورواه ورش من طريق

الأزرق بينَ بينَ، واختلِفَ فيه عن حمزة، وابن ذكوان^(١).

﴿ رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [١٩٤]

[١٩٤] ﴿ رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا ﴾ دعاء بمعنى الخبر. تلخيصه: اغفر لنا

جميع ذنوبنا لتؤثمتنا ما وعدتنا.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٩٦).

﴿عَلَى﴾ السَّنةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ .

﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ وَلَا تُهِنَّا .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بِإِثَابَةِ الْمُؤْمِنِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَتَكْرِيرُ رَبَّنَا ﴿مَبَالِغَةً فِي التَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ ، وَمَوْذِنٌ بِالْإِجَابَةِ .

وعن جعفر الصادق : «مَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَقَالَ : رَبَّنَا خَمْسَ مَرَّاتٍ ، أَنْجَاهُ اللَّهُ مِمَّا يَخَافُ ، وَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ» (١) .

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِثَ بِعَضِّكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْكَيْدَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥) .

[١٩٥] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ أَي : بَأْنِي ﴿لَا أُضِيعُ﴾ لَا أَهْمِلُ .

﴿عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ .

﴿مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِثَ﴾ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : «يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي أَسْمَعُ اللَّهَ يَذْكُرُ الرِّجَالَ فِي الْهَجْرَةِ ، وَلَا يَذْكُرُ النِّسَاءَ» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (٢) .

﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ فِي النَّصْرَةِ وَالْمُؤَالَاةِ .

(١) قَالَ الْمَنَاوِي فِي «الْفَتْحِ السَّمَاوِيِّ» (١/٤٤٥) : لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٢٣) ، كِتَابُ : التَّفْسِيرِ ، بَابُ : وَمِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ ، وَالطَّبْرِيُّ فِي

«تَفْسِيرِهِ» (٤/٢١٥) ، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٦٩٥٨) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ

الْكَبِيرِ» (٢٣/٢٩٤) ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣١٧٤) .

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي: ديني وطاعتي، والمراد: المهاجرون؛ لأنهم أُوذوا في الله، وأُخرجوا من مكة.

﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ أي: قاتلوا العدو، ثم قُتلوا. قرأ ابن كثير، وابن عامر: (وَقُتِلُوا) بالتشديد؛ أي: قُطِّعُوا في المعركة، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف بتقديم (قُتِلُوا)؛ أي: قُتِلَ بعضهم، وقاتل مَنْ بقي، وقرأ الباقون بالوجه الذي تقدّم تفسيره أولاً^(١).

﴿لَا كُفِرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُخِّلَتْ لَهُمْ جَنَّتٌ بَحْرِيٌّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: لأثيبتهم ثواباً.

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ على الطاعة.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾.

[١٩٦] ولما قال بعض المؤمنين: إن أعداء الله في التجارات والخير، ونحن في الشدة، نزل خطاباً للنبي ﷺ، والمراد غيره: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ قرأ رسٌ عن يعقوب: بتخفيف النون^(٢).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٧-١٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢-١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٩٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٢٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٩٩).

﴿ تَقْلُبُ ﴾ أي: تنقل.

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴾ بالتجاراتِ ووجوه المكاسب.

﴿ مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (١٩٧).

[١٩٧] ﴿ مَتَعٌ ﴾ أي: فتقلبهم متاعٌ ﴿ قَلِيلٌ ﴾ وبلغتْ يسيرةً في الدنيا.

﴿ ثُمَّ مَا لَهُمْ ﴾ مصيرهم.

﴿ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ الفراش.

﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٨).

[١٩٨] ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لَكِنَّ) بتشديد النون،

والباقون: بتخفيفها^(١).

﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا ﴾ جزاء وثواباً.

﴿ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ من متاع الدنيا.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٢٣٩)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٩٩).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ .

[١٩٩] ونزل في مؤمني أهل الكتاب ؛ كعبد الله بن سلام : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي : القرآن .

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي : التوراة .

﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾ أي : متواضعين له .

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ﴾ المكتوبة في التوراة من نعت النبي ﷺ .

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا خوفاً على الرئاسة كغيرهم من اليهود .

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يحتاج إلى كتب يد ولا وعي صدر .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ .

[٢٠٠] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ على دينكم فلا تتركوه لشدة ولا رخاء .

﴿وَصَابِرُوا﴾ غالبا الكفار بالصبر .

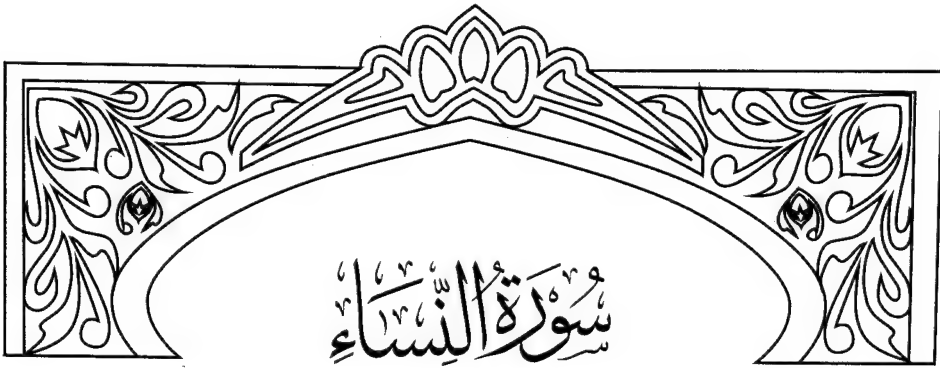
﴿وَرَابِطُوا﴾ اثبتوا في الثغور رابطين خيولكم ، وأصل الرِّبْط : الشَّدُّ ، ويستعمل لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه ، وإن لم يكن ثمَّ خيلٌ .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَرَجُّ في حق البشر ، قال ﷺ :

«رَبَّاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(١)، واللّٰه أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٧٣٥)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، ومسلم (١٨٨١)، كتاب: الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -، وهذا لفظ البخاري.



مدنية، وأيّها^(١) مئة وسبعون وست آيات، وحروفها ستة عشر ألفاً، وثلاثون حرفاً، وكلمتها ثلاثة آلاف وتسع مئة وخمسة وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطابٌ لجميع بني آدم (يا) حرفُ نداء و(أيُّ) منادى مفرد، و(ها) تنبيه، و(الناس) نعتٌ لأيُّ، والناسُ والمؤمنون ونحوهما تعمُّ العبيدَ عندَ أحمدَ وأصحابه وأكثرِ أتباع الأئمة.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ والربُّ: المالكُ.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم. قرأ أبو عمرو: (خَلَقَكُمْ) بإدغام القاف في الكاف، ولم يدغم من المتقاربين في كلمة إلا القاف في الكاف التي تكون في ضمير الجمع المذكَّرين إذا تحرك ما قبل القاف لا غير،

(١) في «ت»: «وآياتها».

وذلك نحو قوله: (خَلَقَكُمْ) و(رَزَقَكُمْ) و(وَأَثَقَكُمْ) وشبهه، وأظهر ما عداه مما قبل القاف فيه ساكنٌ، ومما ليس بعد الكاف فيه ميمٌ؛ نحو قوله تعالى: (مِثَاقَكُمْ) و(بِوَرِيقِكُمْ) و(خَلَقَكَ) و(نَزَّزُكَ) وشبهه^(١).

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: وخلق منه أمكم حواءَ من ضِلَعٍ من أضلاعِهِ اليسرى.

﴿وَبَثَّ﴾ نشرَ وأظهر.

﴿مِنْهُمْ رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أي: نشرَ من تلك النفسِ والزوجِ المخلوقةِ منها بنينَ وبناتٍ كثيرةً^(٢).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: تتساءلون: تقسمون. قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَسْأَلُونَ) بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ القرباب، قراءةُ العامة: بالنصب؛ أي: واتقوا الأرحامَ أنْ تقطعوها، وقرأ حمزةٌ: بالخفض، أي: به وبالأرحامِ، والأولى أفصح^(٣).

(١) انظر قراءة أبي عمرو في: «إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٢).

(٢) من قوله: «لا يفلح قوم شجبوا...» (ص: ٢٣) من هذا الجزء، إلى هنا ساقط من «ش»، بمقدار عشر لوحات من النسخ الخطية الأخرى.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٨٩-٣٩٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، =

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حفيظاً مطلعاً.

﴿وَأَتُوا آلَيْنَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

[٢] ونزل في رجل من غطفان كان معه مالٌ كثيرٌ لابنٍ أخٍ له يتيم، فلما بلغ، طلب المال، فمنعه عمُّه.

﴿وَأَتُوا آلَيْنَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١) سلّموها إليهم إذا بلغوا، واليتامى: جمعُ يتيم، وهو الذي مات أبوه؛ من اليتيم، وهو الانفراد.

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ﴾ أي: الحرام.

﴿بِالطَّيِّبِ﴾ بالحلّال؛ لأنهم كانوا يأخذون الجيد من مالِ اليتيم، وهو خبيثٌ في حقِّهم، ويضعون مكانه الرديء من أموالهم، وهو طيّبٌ لهم.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: معها.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: الأكل.

﴿كَانَ حُوبًا﴾ إثماً.

﴿كَبِيرًا﴾ فلما سمعها العمُّ، قال: «أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذُ بالله من الحُوبِ الكبير»، فدفع إليه ماله.

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدِّمياطي (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٢).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/٤٧١).

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ ۖ أَلَّا تَعْلَمُوا﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ يا أولياء اليتامى .

﴿أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ أي : لا تعدلوا .

﴿فِي الْيَنْبَىٰ﴾ إذا نكحتموهن .

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ أي : ما حلَّ لكم غيرهنَّ . قرأ حمزة (طاب) بالإمالة^(١) .

﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ الغرائب .

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ﴾ أي : تزوجوا إن شئتم مثنى ، وإن شئتم ثلاث ، وإن شئتم رباع ، أنتم مُخَيَّرُونَ في ذلك ، وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة إذا كان حُرّاً ، وأما العبدُ ، فلا يجوز له أن يجمع بين أكثر من زوجتين عند الثلاثة ، وقال مالكٌ : هو كالحرِّ في جواز جمع الأربع إليه ، وكانت الزيادة على الأربع من خصائص النبي ﷺ ، لا يشاركه أحدٌ من الأمة فيه ، روي أن قيسَ بن الحارث كان تحتَه ثمان نسوة ، فلما نزلت هذه الآية ، قال له رسول الله ﷺ : «طَلَّقْ أَرْبَعًا ، وَأَمْسِكْ أَرْبَعًا» ، قال :

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ١٨٨) ، و«تفسير القرطبي» (٥/١٥) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/١٦٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٨٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٠٦) .

فجعلتُ أقولُ للمرأة التي لم تلدْ مني: يا فلانة! أدبري، وللتي قد ولدت: يا فلانة! أقبلي^(١).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بينَ هذه الأعداد.

﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدةً. قرأ أبو جعفر (فَوَاحِدَةً) بالرفع خبرٌ مبتدأ؛ أي: فالمُفَنِّعِ واحدةً، وقرأ الباقر: بالنصب على المعنى الأول^(٢).

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من السراي؛ لأنه لا يلزمُ فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر.

﴿ذَلِكَ أَذَقَ﴾ أقربُ.

﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَّرِيًّا ﴿٤﴾.

[٤] ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ﴾ أي: مهورهنَّ، جمعُ صَدُقَةٍ.

﴿نِحْلَةً﴾ عَطِيَّةٌ عن طيبِ نفسٍ.

﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ أي: من المال؛ لأن الصدقاتِ مالٌ.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٩/١٨)، والدارقطني في «سننه»

(٣/٢٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرى». (١٨٣/٧).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٩٢/١)، و«تفسير البغوي» (٤٧٤/١)،

و«الكشاف» للزمخشري (٢٤٥/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١٠٧/٢).

﴿نَفْسًا﴾ نصبٌ تمييز؛ أي: إذا وهبْكُمْ شيئاً عن طيب نفس.

﴿فَكُلُوهُ هَيَّيًّا﴾ طيباً.

﴿مَرَّتِيًّا﴾ سائغاً لا يُنْغِصُهُ شيء. قرأ أبو جعفر (هَيَّيًّا مَرَّتِيًّا) بتشديد الياء

منهما من غير همز، والباقون: بهمزهما^(١).

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

[٥] ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ أي: المبذرين من الرجال والنساء والصبيان.

﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ أي: قوامَ عيشكم. قرأ أبو عمرو،
وقالون، والبرقي: (السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) بإسقاطِ الهمزة الأولى بلا عِوَضٍ منها،
ويهمزون الثانية، وقرأ ورش، وقنبل، وأبو جعفر، ورؤيس: بتسهيل
الثانية، فيجعلونها بين الهمزة والألف، ويفتحونها شبه مدة^(٢)، وقرأ
الباقون، وهم عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابنُ عامر، وروح:

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤٧٥-٤٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان
(٣/١٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٠٨/٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٩٦/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩٠)
و«الكشف» لمكي (٣٧٦/١)، و«تفسير البغوي» (٤٧٦/١)، و«التيسير» للداني
(ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٩/٢).

بتحقيق الهمزتين ، واختلفوا في قوله : (قِيَامًا) ، فقرأ نافعٌ وابنُ عامر : (قِيَمًا)
بغير ألف ، والباقون : بالألف .

﴿ وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ أي : أطعموهم واكسوهم منها لمن يجبُ
عليكم رزقه ومؤنته .

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوفًا ﴾ عِدَّةٌ جَمِيلَةٌ تَطِيبُ بِهَا نَفْسُهُمْ .

﴿ وَأَبْلُوا آلِيَنَنِي حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن
كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
حَسِيبًا ﴾

[٦] ونزل في ثابت بن رفاعه ، وفي عمه ، وذلك أن رفاعه تُوُفِّيَ وترك
ابنه ثابتاً وهو صغيرٌ ، فجاء عمه إلى رسول الله ﷺ ، وقال : إن ابن أخي يتيمٌ
في حجرِي ، فما يحلُّ لي من ماله ، وما أدفعُ إليه ؟ فأنزل الله عز وجل :
﴿ وَأَبْلُوا ﴾ ^(١) أي : اختبروا .

﴿ آلِيَنَنِي ﴾ في عقولهم وتصرفاتهم في أموالهم .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ أي : صاروا أهلاً أن يَنْكِحُوا أو يُنْكَحُوا ، ويحصلُ
البلوغُ عندَ أبي حنيفةٍ في حقِّ الغلامِ بالاحتلامِ والإحبالِ والإنزالِ إذا
وطىء ، أو إكمالِ ثمانِي عشرة سنةً ، وفي حقِّ الجاريةِ بالحَيْضِ والاحتلامِ

(١) انظر : «تفسير الطبري» (٤/٢٥٩) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص : ٨٠) .

والحمل، أو إكمال سبع عشرة سنة، وعند مالك حدُّ البلوغ في حَقَّهما الاحتلام والإنبات والانتهاء من السنِّ إلى ما يُعلم بالعادة بلوغ مَنْ انتهى إلى مثله، ولم يحدِّ مالك فيه حداً، ويزيد الإناث بالحيض والحمل، وعند الشافعي وأحمد حدُّه في حَقَّهما الاحتلام، أو إكمال خمس عشرة سنة، وتزيد الجارية بالحيض والحمل، وأما نبات الشعر، فعند الشافعي يقتضي الحكم ببلوغ الكافر دون المسلم، وعند أحمد يقتضي البلوغ مطلقاً.

﴿ فَإِنَّ أَنْتُمْ ﴾ أي: أبصرتم.

﴿ مِّنْهُمْ رُّشْدًا ﴾ هداية إلى مصالحهم، والرشد: الصلاح في المال فقط عند الثلاثة، وعند الشافعي إصلاح الدين والمال.

﴿ فَأَذْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ من غير تأخير عن حدِّ البلوغ.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا ﴾ أيها الأوصياء.

﴿ إِسْرَافًا ﴾ بغير حق.

﴿ وَيَدَارًا ﴾ إسراعاً.

﴿ أَنْ يَكْبُرُوا ﴾ أي: لا تبادروا بالتفريط في إنفاقها قبل أن يكبروا حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بيّن حال الأوصياء فقال:

﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ أي: يطلب العفة من نفسه، ويمتنع عن أكلها، والعفة: الامتناع مما لا يحل.

﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا ﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم، وهو يحفظه.

﴿ فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يأخذ قدر أجرته إذا عمل.

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ أمر إرشاد ليس بواجب فيشهد
لتزول عنه التهمة.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ كافياً.

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ
الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾.

[٧] وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان، فتوفي أوس بن
ثابت الأنصاري، وترك امرأته أم كحّة وثلاث بنات، فأخذ سويد وعرفجة
ابنا عمّه ووصيّاه جميع تركته، فنزل:

﴿ لِلرِّجَالِ ﴾^(١) أي: الذكر من أولاد الميت.

﴿ نَصِيبٌ ﴾ حظّ.

﴿ وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ هم المتوارثون من ذوي القربات دون
غيرهم.

﴿ وَلِلنِّسَاءِ ﴾ أي: الوارثات منهنّ.

﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ ﴾ أي: من المال.

﴿ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ حظاً مقطوعاً بوجوب تسليمه إليهم.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨١).

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ يعني : قسمة الميراث .

﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ للميتِ مِمَّنْ لَا يَرِثُ .

﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي : فأرضخوا لهم من المال قبل القسمة ، وحكمُ هذه الآية منسوخٌ .

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ تقدّم تفسيره قريباً .

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ثم حضّ على الشَّفَقَةِ على الأيتام فقال :

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي : بعدهم .

﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أي : أولاداً صغاراً . قرأ حمزة : (ضِعَافاً) بالإمالة ، بخلاف عن خلاد^(١) .

﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الفقر ، أمرٌ للحاضرين المريضَ عند الإيصاء .

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمرهم الميت .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٢٧) ، و«الكشف» لمكي (١/ ١٧٤-٣٧٧) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٨٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٨٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١١) .

﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ عَدْلًا؛ بَأْن يَأْمُرُهُ بِالتَّصَدُّقِ بِدُونِ الثَّلَاثِ، وَيَتْرَكَ
الْبَاقِي لَوْلَدِهِ، وَيَرْفُقُ بِالْيَتِيمِ كَمَا يَرْفُقُ بَوْلَدِهِ. تَلْخِيصُهُ: يَفْعَلُ بِالْمَيِّتِ كَمَا
يَحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ لَوْ كَانَ هُوَ الْمَيِّتَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

[١٠] ونزل في الأوصياء الذين يأكلون ما لم يُبَحَّ لهم من مال اليتيم،
وهي تتناول كلَّ أكلٍ من أولياء السوء وقضائِهِ، وإن لم يكن وصيًا^(١):
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ بغير حقٍّ.
﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملءَ بطونهم.

﴿نَارًا﴾ ما يجرُّ إلى النار، ويؤوِّل إليها.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ: بضم الياء؛ أي:
(يَدْخُلُونَ نَارًا) مُسْعَرَةً، وقرأ الباقر: بالفتح من صِلِي النَّارَ يَصْلَاهَا: إِذَا
حَلَّهَا وَقَاسَاهَا^(٢).

(١) في «ن»: «ولياء».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٩٨/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص:
١٩١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:
١٢٠)، و«الكشف» لمكي (٣٧٨/١)، و«تفسير البغوي» (٤٨٣/١)، و«الغيث»
للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات
العشر» لابن الجزري (٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)،
و«معجم القراءات القرآنية» (١١٢/٢).

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمِثْلِ ثُلُثٌ إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْمِثْلِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ .

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي : يأمركم ، ويعهد إليكم في شأن أولادكم إذا مِتُّم .

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ إذا اجتمع مع الإناث بالاتفاق ، وإلا فالذكر عصبه منفرداً بالاتفاق ، وفُضِّلَ الذكر على الأنثى في الميراث بجعل حظه مثلي حَظِّ الأنثى ؛ لأن الذكر في مِظَنَّةِ الحاجة أكثر من الأنثى ، فإن كل واحد منهما في العادة يتزوج ، ويكون له الولد ، فالذكر يجب عليه نفقة امرأته وأولاده ، والمرأة يُنْفِقُ عليها زوجها ، ولا يلزمها نفقة أولادها ، وقد فضل الله الذكر على الأنثى في الميراث على وفق ذلك .

﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي : المتروكات .

﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ أي : جماعة .

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميث بالاتفاق .

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ الوارثة .

﴿وَاحِدَةً﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر (وَاحِدَةً) بالرفع على معنى : إن وقعت

واحدة، وقرأ الباقر: بالنصب على خبر كان^(١) ﴿فَلَهَا الْيَصْفُ﴾
بالاتفاق.

﴿وَلَأَبَوِيَّ﴾ يعني: لأبوي الميت.

﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أراد: أن الأب والأم
يكون لكل واحد سدس الميراث عند وجود الولد، أو ولد الابن، بالاتفاق،
والأب يكون صاحب فرض.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ من جميع الميراث، إلا أن
يكون مع الأبوين زوج أو زوجة، فلأم ثلث ما يبقى بالاتفاق.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعداً، ذكوراً أو إناثاً.

﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقي للأب إن كان معها أب، فالإخوة لا ميراث
لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، سواء كانوا
أشقاء، أو لأب، أو لأم، بالاتفاق. قال قتادة: وإنما أخذه الأب دونهم؛
لأنه يموتهم، ويولي نكاحهم والنفقة عليهم. قال ابن عطية: هذا في
الأغلب^(٢). وعن ابن عباس: أن الإخوة يأخذون السدس الذي حجبا الأم
عنه^(٣). قرأ حمزة، والكسائي: (فَلِأُمِّهِ) بكسر الهمزة في الحرفين استثقالاً

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)،
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٨)، و«تفسير
البغوي» (١/٤٨٩)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني
(ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١١٣).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/١٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٤٨٩)، و«تفسير القرطبي» (٥/٧٢).

للضمة بعد الكسرة، وقرأ الآخرون: بالضم على الأصل^(١).

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا ﴾ الميت.

﴿ أَوْ دَيْنٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (يُوصِي) بفتح الصاد على ما لم يُسم فاعله، وكذلك الحرف الآتي، ووافق حفص في الثاني، وقرأ الباقون: بكسر الصاد فيهما.

ثم حض على تنفيذ وصايا الميت، وقضاء ديونه بقوله: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الذين يرثونكم.

﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ في الدين والدنيا والآخرة. المعنى: منكم من يظن أن ابنه أنفع له بأن يادر إلى مصالحه وقضاء ديونه، فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وأنا العالم بمن أنفع لكم، وقد دبرت أمركم على ما فيه المصلحة، فاتبعوه. ورؤي أن الولد إن كان أرفع درجة في الجنة، رُفع إليه والداه^(٢)، وإن كان الوالد أرفع درجة، رُفع إليه ولده؛ لتقر بذلك أعينهم.

﴿ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: فرض الله الميراث فريضة.

﴿ إِنْ أَلَّهَ كَات ﴾ أي: لم يزل.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٩٩-٤٠٠) و«الحجة»، لأبي زرة (ص: ١٩٢-١٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٩-٣٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/٤٨٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١١٤).

(٢) في «ن»: «والده».

﴿عَلِيمًا﴾ بأمور العباد.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى وقَدَّرَ، فلا يُقَسَّمُ إرثٌ إلا بعدَ قضاءِ دينِ الميتِ، وإخراجِ ما أوصى به، بالاتفاق.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم، أو من غيركم.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ هذا في ميراثِ الأزواج.

﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ هذا في ميراثِ الزوجات، للواحدةِ الربعُ أو الثمنُ، وإن كنَّ أكثرَ من واحدة، اشتركنَ فيه، والحكم في ذلك كله متفقٌ عليه.

﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ﴾ أي: الميت، وهو اسم (كان).

﴿يُورَثُ﴾ أي موروث منه.

﴿كَلَّلَهُ﴾ خبرها، والكلالة: مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، فالأبُّ والابنُ طرفان للرجل، فإذا ذهبَا، تَكَلَّلَهُ النِّسْبُ؛ لِأَنَّ الْوَرِثَةَ مِنْ جَمِيعِ الْإِخْوَةِ وَغَيْرِهِمْ يَحِيطُونَ بِالْمَيْتِ كَالْإِكْلِيلِ يَحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، وَأَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ خَالِيَانِ.

﴿أَوْ أَمْرَأَةً﴾ عطفٌ على (رجل).

﴿وَلَهُ﴾ الضميرُ عائِدٌ على الرجل، واكتفى بإعادته عليه دون المرأة إذ المعنى فيهما واحدٌ، والحكمُ قد ضبطه العطفُ الأول.

﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من الأم.

﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾ بالاتفاق.

﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: أولادُ الأم.

﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من واحد.

﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ بالسوية، لا يزيدُ نصيبُ ذكرِهِمْ على أنثاهم، بالاتفاق.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضْكَرٍ﴾ أي: مُدْخِلِ الضَّرَرَ عَلَى وَرِثَتِهِ بِمَجَاوِزَةِ الثُّلُثِ، ونصب (غير) على الحال، وتقدّم خلاف القراء في قوله: (يوصي) في الحرفِ المتقدّم^(١).

﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكَّدٌ؛ أي: يوصيكم الله وصيةً.

(١) في الآية رقم (١١) من هذه السورة.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته . قال قتادة : كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ، ونهى عنه ^(١) .

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٣ .

[١٣] ﴿تِلْكَ﴾ أي : الفروض المذكورة .

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي كالحدود المحدودة .

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيمٌ﴾ ١٤ .

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بكفره .

﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيمٌ﴾ جمع خالدين ، وأفرد خالداً؛ نظراً إلى معنى (من) ولفظها ، ونصبهما على الحال . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن عامر : (نُدْخِلْهُ) في الحرفين بالنون ، والباقون : بالياء ^(٢) .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/٢٨٨) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٢٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٤) ، =

﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (١٥).

[١٥] ثم خاطب الحكام فقال: ﴿وَالَّتِي﴾ مبتدأ.

﴿يَأْتِيكَ الْفَحِشَةُ﴾ أي: الزنا.

﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ وخبر اللاتي:

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ من المسلمين، وفيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود، بالاتفاق، فيسألهم الحاكم عن ماهيته، وكيفيته، ومكانه، وزمانه، والمزني بها، فإن بينوه وقالوا: رأيناه وطئها كالميل في المكحلة، وعدلوا سرّاً وجهرًا، حكم به بالاتفاق، ويُشترط عند أبي حنيفة ومالك حضورهم للشهادة مجتمعين غير مفترقين، فإن افترقوا في الشهادة، كانوا قذفة.

قال أبو حنيفة: إلا أن يكون في مجلس واحد في ساعة واحدة. وعند الشافعي: تصح شهادتهم متفرقين؛ كما في سائر الحقوق؛ لإطلاق الآية. وعند أحمد: يشترط مجيئهم في مجلس واحد، سواء جاؤوا متفرقين، أو مجتمعين، فإن جاء بعضهم بعد أن قام الحاكم، أو شهد ثلاثة وامتنع الرابع، أو لم يكملها، فهم قذفة، وعليهم الحد.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهنّ بالزنا.

= و«تفسير البغوي» (١/٤٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٧).

﴿ فَأَمْسِكُوهُمْ ﴾ أي : احبسوهم .

﴿ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ أي : ملائكة الموت ^(١) .

﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ طريقاً في النكاح المغني عن السفاح ، ثم نُسَخ ذلك بنزول الحدِّ ، وهو في حقِّ البكر جَلْدُ مِئَةٍ ، وفي حقِّ الشَّيْبِ الجَلْدُ ، والرجمُ ، ثم نُسَخ الجَلْدُ ، وبقي الرِّجْمُ ، واختلف الأئمةُ في تغريبِ البكرِ الحرِّ بعدَ الجَلْدِ ، فقال أبو حنيفة : لا يُعَرَّبُ إلا أن يرى الإمامُ ذلك مصلحةً ، فيغربه على قدرِ ما يرى ، وقال مالك : يُعَرَّبُ الرجلُ دونَ المرأةِ وتغريبه أن ينفى سنةً إلى غيرِ بلده ، فيُحبس فيه ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ : يُجمع في حق الزانينِ البكرينِ بينَ الجَلْدِ والتغريبِ سنةً إلى مسافةٍ قصرٍ ، وتُغَرَّبُ المرأةُ مع مَحْرَمٍ ، فإن امتنع ، لم يُجبر .

وأما ثبوتُ الزنا بالإقرار ، فعند أبي حنيفة وأحمد لا يثبت حتى يقرَّ أربعَ مراتٍ ، فأبو حنيفة يشترطُ أن يكونَ الإقرارُ في أربعةِ مجالسٍ ، وأحمدُ لا يشترطُ المجالسَ ، فلو أقرَّ أربعاً في مجلس واحد ، أو مجالسَ ، ثبتَ عليه ، وعند مالكٍ والشافعيِّ يثبتُ بإقراره مرةً واحدةً ، وإذا أقرَّ بالزنا ثم رجعَ عنه ، قُبِلَ رجوعه ، وسقطَ الحدُّ عندَ الثلاثة ، وقال مالكٌ : إن رجعَ بشبهةٍ يُعَذَّرُ بها ؛ كقوله : وطئتُ في نكاحٍ فاسدٍ ونحوه ، قُبِلَ وسقطَ عنه الحدُّ ، وإن لم يرجعْ إلى شبهةٍ ، فعنه روايتان .

واختلفوا في اللوطيِّ ، فقال أبو حنيفة : يُعَزَّرُ ، ولا حدٌّ عليه ؛ خلافاً لصاحبيه ، وقال مالكٌ : يجبُ على الفاعلِ والمفعولِ به الرِّجْمُ ، أحصنا أو لم يُحصنا ، وعند الشافعيِّ وأحمد : حكمه حكمُ الزاني على ما تقدَّم .

(١) في «ت» : «العذاب» .

﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿ وَالَّذَانِ ﴾ أي: الرجل والمرأة. قرأ ابن كثير: (وَاللَّذَانِ) و(اللَّذَيْنِ) و(هَازَانِ) و(هَازَيْنِ): مشددة النون للتأكيد^(١).

﴿ يَأْتِيَنِهَا ﴾ أي: الفاحشة.

﴿ مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا ﴾ عيروهما باللسان. قال ابن عباس: سُبُوهُمَا، وقال: يُؤَذَى بالتعيرِ وضَرْبِ النِّعَالِ^(٢)، ذكر في الأولى الحبس، وهنا الإيذاء، قالوا: لأن الأولى في النساء، وهذه في الرجال.

﴿ فَإِن تَابَا ﴾ من الفاحشة.

﴿ وَأَصْلَحَا ﴾ العمل.

﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ لا تؤذوهما ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

وهذا كله قبل نزول الحدود، فَنُسِخَتْ بالجلد والرجم، فالجلد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢]، والرجم في السنة ورد به الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قضى به، ويأتي الكلام على الجلد والرجم، وحكمه، واختلاف الأئمة فيه في أول سورة النور إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)،

و«تفسير البغوي» (١/٤٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١١٨).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٢١١).

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ ﴾ أي : قبول التوبة .

﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي : من الله .

﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ أي : جاهلين سفهاً . قالوا : وأجمعت^(١) الصحابة أن كل ما عَصِيَ الله تعالى به فهو جهالة ، عمداً كان أو سهواً ، وكل من عصى الله فهو جاهل .

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ أي : زمان قريب قبل مرض موته ، قال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ»^(٢) .

﴿ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ تأكيداً لقوله : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ ﴾ .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ يعلم إخلاص التائب ، ولا يعاقبه .

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَلْتَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٨﴾ .

(١) في «ن» : «واجمعت» .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧) ، كتاب : الدعوات ، باب : في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده ، وقال : حسن غريب ، وابن ماجه (٤٢٥٣) ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر التوبة ، والإمام أحمد في «المسند» (١٣٢/٢) ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - .

[١٨] ثم فسر القريب بقوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ﴾ المعاصي.

﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: وقع في النزاع.
﴿قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْفَنَ﴾ وهي حالة السوق؛ يعني: تساق رُوحه، لا يقبل من
كافر إيمان، ولا من عاصٍ توبة.

﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ سَوَى بَيْنَ مُسَوِّفِي التَّوْبَةِ إِلَى حَضُورِ
الموت، وبين الكفار؛ تغليظاً.

﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي: هَيَّأْنَا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾.

[١٩] كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة،
جاء ابنه من غيرها، أو قريبه من عَصَبَةٍ، فألقى ثوبه عليها، وقال: أنا أحقُّ
بها، ثم إن شاء تزوّجها بصدّقها الأول، وإن شاء زوّجها غيره وأخذ
صدّقها، وإن شاء عَضَلَهَا؛ لتفتدي بما ورثت من زوجها، وكان الزوج
أيضاً يُضَارُّ زوجته إذا كَرِهَهَا لتفتدي منه، فنزل:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ ^(١) قرأ حمزة،

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨١)، و«تفسير البغوي» (١/٤٩٧)، =

والكسائي، وخلف: (كُرْهَا) بضم الكاف، والباقون: بالفتح^(١)، قال
الفرّاء: الكُرْ بالفتح: ما أُكِرَ عليه، وبالضم: ما كَانَ من قِبَلِ نَفْسِهِ من
المشقة.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا يحلّ لكم أن تراثوا النساء، ولا أن تمنعهنّ عما
يحلّ لهنّ.

﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من الصّدّاق وغيره.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ أي: لا تعضلوهن لعلّة من العِلل إلا لعلّة
إتيانهنّ بالفاحشة^(٢)، وهي النشور، أو الزنا. قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن
عاصم (مُبيّنة) بفتح الياء، والباقون: بكسرها^(٣).

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإجمال في القول، والمبيت، والنفقة.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
المعنى: فإن كرهتموهنّ، فاصبروا عليهنّ، فلعلّ كراهتكم لهنّ مع الصبر
عليهنّ يُحدِثُ بينكم ولدًا صالحًا، أو ألفَةً ومحبّةً.

= و«العجاب» لابن حجر (٢/٨٤٩).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)،
و«تفسير البغوي» (١/٤٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١١٩).

(٢) في «ن»: «الفاحشة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)،
و«تفسير البغوي» (١/٤٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٤٨-٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٠).

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ونزل فيمن كان إذا رأى امرأة فأعجبته، قذف التي تحته؛ ليستبدلها بها.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ وأراد بالزوج: الزوجة، ولم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة.

﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾ أعطيتهم.

﴿إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾ مالا كثيرا صدقا.

﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ أي: القنطار.

﴿شَيْئًا﴾ ثم بشع الأخذ فقال:

﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾ استفهام نهى وتوبيخ.

﴿بُهْتَنًا﴾ هو أن يبهتها بأمر قبيح يقذفها به.

﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ تقديره: تصيبون في أخذه بهتاناً وإثماً.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ثم استفهم منكرًا فقال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع، والإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة.

﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً، وهو حقُّ الصَّحبة والممازجة.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٢٢).

[٢٢] ونزل نهياً عن نكاح نساء الآباء ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن ما قد سلف؛ أي: مضى في الجاهلية، فإنه مغفورٌ عنه. وتقدّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة عند تفسير قوله: ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾ في الموضعين، ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ﴾ [الشعراء: ١٨٧] و﴿أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُرُ﴾ [سبا: ٤٠] وشبهه حيث وقع.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: نكاحَ زوجة الأب.

﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ أقبح المعاصي.

﴿وَمَقْتًا﴾ أي: بغضاً؛ لأنه يورثُ بغضَ الله تعالى، والمقت: أشدُّ البغض، وكانوا يسمونه: نكاحَ المقت، وإذا وُلدَ لرجلٍ من امرأةٍ أبيه يقالُ للمولود: المقتي.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ قَبَح طريقاً، فتحرمُ زوجةُ الأبِ على ابنه بمجرد العقد، بالاتفاق.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

[٢٣] ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ أي: نكاحهن؛ لقوله: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٢]، وهي جمعُ أُمٍّ^(١)، فيدخل فيهنَّ الجدَّاتُ من قِبَلِ الْأُمِّ وَالْأَبِ وَإِنْ عَلَوْنَ.

﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ جمعُ بِنْتٍ، فيدخل فيهنَّ بناتُ الأولادِ وَإِنْ سَفُلْنَ.

﴿ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ جمعُ أُخْتٍ، سواءً كانت من قِبَلِ الْأَبِ وَالْأُمِّ، أو من قبل أحدهما.

﴿ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾ جمعُ عَمَّةٍ، فيدخل فيهنَّ أخواتُ الآباءِ والأجدادِ وَإِنْ عَلَوْنَ.

﴿ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ جمعُ خَالَةٍ، فيدخل فيهنَّ جميعُ أخواتِ الأمهاتِ والجدَّاتِ.

﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ يدخلُ فيهنَّ بناتُ أولادِ الأخِ والأختِ وَإِنْ

(١) «جمع أم» ساقطة من «ن».

سفلن، فهؤلاء المذكورات محرّمات بالنسب بالاتفاق، وما بقي محرّمات بالسبب، وهي:

﴿وَأُمّهْتِكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرّضْعَةِ﴾ وتحريم الرّضاع كتحریم النسب؛ لقول النبی ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ»^(١)، ولا تثبت الحرمة بالرضاع عند الشافعي وأحمد إلا أن يرتضع^(٢) قبل استكمال الحولين؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فلو ارتضع بعدهما بلحظة، لم تثبت^(٣)، وعدد الرضاع المحرّم عندهما خمس رضعات متفرقات، وعند أبي حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف: ١٥]، وعند مالك تحريم الرضاع في الحولين وما قاربهما، وعندهما كثير الرضاع وقليله محرّم.

﴿وَأُمّهْتِكُمْ نِسَائِكُمْ﴾ فكل من عقد النكاح على امرأة حرمت عليه أمهاتها وجداتها من الرضاع والنسب بنفس العقد بالاتفاق.

﴿وَرَبَّيْبِكُمْ﴾ جمع ربيبة، وهي بنت المرأة؛ لأن زوج الأم يُربّيها غالباً.

﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ جمع حجر، والمراد: البيوت؛ لأنها بمثابة الولد في التربية غالباً.

(١) رواه البخاري (٤٩٤١)، كتاب: النكاح، باب: ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع، ومسلم (١٤٤٤)، كتاب: الرضاع، باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٢) في «ن»: «ترضع».

(٣) في «ن»: «يثبت».

﴿مَنْ نِكَأَيْكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهن.

﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهنَّ إذا فارقتموهنَّ، أو مُتَنَ فلا تحرمُ الربيبةُ عليه إلا بالدخولِ بأُمِّها بالاتفاق.

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ جمعُ حليلةٍ، والدَّكْرُ حليلٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ حلالٌ لصاحبه، يعني: أزواجُ أبنائكم.

﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ أي: ظهوركم، فتحرمُ زوجةُ الابنِ على أبيه بمجردِ العقدِ بالاتفاق، وقوله: ﴿مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ ليعلم أن حليلةَ المتبنَّى لا تحرمُ على الذي تبناه بالاتفاق؛ لأنَّ النبي ﷺ تزوّجَ امرأةَ زيدٍ، وكان قد تَبَّاهُ، وكلُّ امرأةٍ تحرمُ بعقدِ النكاحِ فتحرمُ بالوطءِ في ملكِ اليمينِ، والوطءُ شبهةُ النكاحِ، فيحرمُ على الواطيء أمُّ الموطوءةِ وابنتُها، وتحرمُ الموطوءةُ على أبي الواطيء وابنه بالاتفاق.

واختلفَ الأئمةُ في إثباتِ تحريمِ المصاهرةِ بالزنا المحرَّمِ، فقال أبو حنيفةً وأحمدُ: يثبتُ تحريمُ المصاهرةِ، فلا يحلُّ للرجلِ أن يتزوّجَ امرأةً زنى بها ابنه، أو أبوه، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يثبتُ التحريمُ.

واختلفوا في إثباتِ التحريمِ باللواطِ، فقال الثلاثةُ: لا يثبتُ التحريمُ، وقال أحمدُ: يثبتُه، فمن تَلَوَّطَ بغلامٍ، حرمَ على كلِّ واحدٍ منهما أمُّ الآخرِ وابنته.

واختلفوا في المخلوقة من ماءِ الزنا، هل يجوزُ لمن خُلقت من مائه أن يتزوّجَها؟ فقال الشافعيُّ: يجوزُ، وقال الثلاثةُ: لا يجوزُ.

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا﴾ أي: وحرّم عليكم الجمعُ.

﴿بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ فلا يجوز للرجل الجمع بين الأختين من نسب أو رضاع، ولا بين المرأة وعمتها، ولا بينها وبين خالتها بالاتفاق؛ لقوله ﷺ: «لا تجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها»^(١).

واختلف الأئمة هل يجوز للرجل أن يتزوج امرأة والرابعة من نسائه في عدته من طلاق بائن، أو يتزوج الأخت وأختها في عدته من طلاق بائن، أو يتزوج بكل واحدة ممن يحرم عليه الجمع بينها وبين الثانية وهي في العدة، فقال مالك والشافعي: يجوز، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا يجوز.

وأما إذا كان الطلاق رجعيًا، فلا يجوز باتفاقهم، وكذلك لو ملك أختين لا يجوز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحدهما، لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه بإخراج عن ملكه، أو تزويج، بالاتفاق.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن ما مضى في الجاهلية، فإنه معفو عنه؛ لأنهم كانوا يفعلونه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ

(١) رواه البخاري (٤٨٢٠)، كتاب: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم (١٤٠٨)، كتاب: النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

مُسْفِحِينَ^{٢٤} فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾.

[٢٤] ونزل في نساء كُنَّ يُهاجِرْنَ إلى رسول الله ﷺ ولهنَّ أزواجٌ، فيتزوَّجُهنَّ بعضُ المسلمين، ثم يقدمُ أزواجهنَّ مُهاجرين: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ عطفٌ على ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ يعني: الحرائر المزوَّجات؛ لأن الزوج قد أحصنهنَّ، لا يحلُّ للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: السبايا اللواتي سُبِينَ ولهنَّ أزواجٌ في دار الحرب، فيحلُّ لِمَالِكِهِنَّ وَطُؤُهُنَّ بعد الاستبراء؛ لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها، بالاتفاق، وتقدّم التنبيه على اختلاف القراء في قوله: ﴿النِّسَاءِ إِلَّا﴾ عند قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢].

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مصدرٌ مؤكَّدٌ؛ أي: كتبَ الله ما حرَّم عليكم كتاباً، وفرَضَهُ فَرَضاً.

﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ﴾ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: (وَأَحَلَّ) بضم الألف وكسر الحاء؛ لقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، وقرأ الباقر: بالنصب^(١)؛ يعني: أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/٥٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٣).

﴿ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ أي : ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات .

﴿ أَنْ تَبْتَغُوا ﴾ أي : تطلبوا النساء .

﴿ بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ أي : تنكحوا بصدائقكم ، أو تشتروا بثمن .

﴿ مُحْصِينَ ﴾ متزوجين ، وأصل الإحصان : الحفظ ، والمراد هنا : العِفَّةُ
عن الوقوع في الحرام .

﴿ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴾ أي : زانين ، مأخوذٌ من سَفَحَ الماءَ وَصَبَّهُ ، وهو
المني .

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ أي : فالذي انتفعتن به من النساء بالنكاح
الصحيح .

﴿ فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ أي : مهورهنَّ على الاستمتاع .

﴿ فَرِيضَةً ﴾ نصبٌ على المصدر في موضع الحال .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ ﴾ بأن تهب المرأة جميع مهرها أو
بعضه لزوجها ، أو يزيدها الزوجُ على أكثر منه .

﴿ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ المفروضة للزوجة .

واختلف الأئمة في الزيادة على الصِّدَاق المسمَّى بعدَ العقد ، فقال
أحمد : حكمها حكمُ الأصل ، تلحق به فيما يقرره وينصفه ، وتُملك من
حينها ، واستدلَّ بهذه الآية ، وقال أبو حنيفة : هي ثابتة إن دخل بها ، أو مات
عنها ، فإن طلقها قبلَ الدخول ، أو ماتت هي قبلَ الدخول والقبض ،
سقطت ، وخالفه أبو يوسف ، فقال كقول أحمد ، وقال مالك : تستقرُّ
بالدخول ، وتتشطرُّ بالطلاق قبله ، فإن مات أحدهما قبلَ القبض ، سقطت ؛

لأنها هبة لم تقبض حتى مات الواهب أو الموهوب له، وقال الشافعي: هي هبة مستأنفة، إن قبضتها، لم تسقط بالطلاق قبل الدخول، ولا بعده، ولا بالموت، وإن لم تقبض، فلا شيء لها مطلقاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيما شرع من الأحكام. وأما تقديرُ الصَّدَاقِ فلا حدَّ لأكثره؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]، وكان صداق أزواج النبي ﷺ خمسَ مئة درهم، وبناته أربع مئة، فيسَّرُ أن يكونَ من أربع مئة إلى خمس مئة، وإن زاده، فلا بأس، وإن النجاشي أصدق أم حبيبة بنت أبي سفيان عن النبي ﷺ أربع مئة دينار.

واختلف الأئمة في أقله، فقال الشافعي وأحمد: لا حدَّ لأقله، فكلُّ ما جاز أن يكون ثمنًا، جاز أن يكون صداقًا، وقال أبو حنيفة ومالك: يتقدَّرُ بنصاب السرقة، واختلفا في قدره، فعند أبي حنيفة: عشرة دراهم، أو ما قيمته عشرة دراهم، وعند مالك: ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الورق، أو عرضٌ يساوي أحدهما.

واختلفوا في تعليم القرآن هل يجوز أن يكون صداقًا؟ فقال أبو حنيفة وأحمد: لا يجوز، وقال مالك والشافعي: يجوز.

واختلفوا في منافع الحر، فقال أبو حنيفة: لا يجوز أن تكون صداقًا، وقال الثلاثة: يجوز، إلا أن مالكا يكرهه.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّئَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْنَ
بِفَاحِشَةٍ فَلَعْنُهُنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

[٢٥] ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾ فضلاً وسعةً.

﴿ أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ الحرائر.

﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ قرأ الكسائي (المُحْصَنَاتِ) و(مُحْصِنَاتٍ) بكسر الصاد
حيث وقع، سوى (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) في هذه السورة، وقرأ الباقر:
بفتح جميعها، فالقراءة بكسر الصاد؛ أي: أَحْصَنَ أَنْفُسَهُنَّ بِالْحَرِيَّةِ،
وبالفتح؛ أي: أَحْصَنَهُنَّ غَيْرَهُنَّ مِنْ زَوْجٍ أَوْ وَلِيٍّ^(١).

﴿ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنِيَاتِكُمْ ﴾ إمائكم.

﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ المعنى: من لم يجد طولَ حرة، فليتزوج أمة مؤمنة، وفيه
دليل على أنه لا يجوز للحرِّ نكاحُ الأمة إلا بشرطين:

أحدهما: ألاَّ يجد طَوْلاً لنكاح حرة.

والثاني: أن يخاف على نفسه العَنَتَ، وهو الزنا؛ لقوله تعالى في آخر
الآية: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ﴾ وهو مذهب مالك والشافعي
وأحمد.

وجَوَّزَ أبو حنيفة للحرِّ نكاحَ الأمة، إلا أن يكون في نكاحه أو عِدَّتِهِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)،
و«تفسير البغوي» (٥٠٨/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٢-١٢٤).

حُرَّةً، أما العبدُ فيجوزُ له نكاحُ الأمة، وإن كانَ في نكاحِهِ حُرَّةٌ أو أمةٌ عندَ الثلاثة، وعندَ أبي حنيفة لا يجوزُ إذا كان تحتَ حُرَّةً، وفي الآية دليلٌ على أنه لا يجوز للمسلم نكاحُ الأمةِ الكتابية؛ لأنه قال:

﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وإليه ذهب الأئمةُ الثلاثة، وجوزَ أبو حنيفةٌ للمسلم نكاحَ الأمةِ الكتابية، واتفقوا على إباحةِ وطئها بملكِ اليمين، وتقدّم الحكمُ في نكاحِ الوثنيات والمجوسيات^(١) وغيرهنَّ من أنواعِ المشركات في سورة البقرة.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ﴾ فاكْتَفَوْا بظَاهِرِ الْإِيمَانِ؛ فإنه العالمُ بالسرائرِ، والمرادُ: تَأْنِيسُهُمْ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ، ومنَعُهُمْ عَنِ الِاسْتِنْكَافِ مِنْهُ، ثم نفى التفاضر فقال:

﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ كلُّكم ولدُ آدَمَ، ودينُكم الإسلامُ؛ أي: هنَّ مثلكم.

﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: مَوَالِيَهُنَّ.

﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مَهُورُهُنَّ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ.

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عَفَافَاتٍ بِالنِّكَاحِ.

﴿غَيْرَ مُسْلِفَحَتٍ﴾ أي: زَانِيَاتٍ جَهْرًا.

﴿وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ أي: أَحْبَابٍ يَزْنُونَ بِهِنَّ فِي السِّرِّ.

﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾ أي: رُؤِجْنَ. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر،

(١) في «ن»: «المجوسيات والوثنيات».

وخلفٌ: (أُحْصِنَ) بفتح الألف والصاد؛ أي: حَفِظْنَ فِرَوجَهُنَّ^(١).

﴿ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ ﴾ أي: زَنِينَ.

﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ ﴾ الحرائرِ الأَبْكَارِ إِذَا زَنِينَ.

﴿ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أي: الحدِّ، فيُجلد الرقيقُ خمسينَ جلدةً ولو لم يكن تزوّجَ، ذكراً كان أو أنثى، ولا يُرْجَمُ بالاتِّفاق، وهل يُعْرَبُ؟ قال الشافعي: يغْرَبُ نصفَ سنَةٍ، وقال الثلاثة: لا يغْرَبُ. فإن كان بعضُه حرّاً، فقال أحمد: يجلدُ ويغْرَبُ بحسابه.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: نكاح الأمة.

﴿ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ ﴾ أي: الزنا.

﴿ مِنْكُمْ ﴾ بغلبة الشهوة، وأصلُ العَنَتِ: الضيقُ والمشقة.

﴿ وَأَنْ تَصِرُوا ﴾ عن النساءِ متعفّفينَ.

﴿ خَيْرَ لَكُمْ ﴾ من نكاح الإماء؛ لثلاثي خلق الولد رقيقاً.

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لمن رَخَّصَ له.

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي سَنَسَ الْاِذَا زَنِينَ ﴾^(٢)
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(٣).

[٢٦] ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ بما شرع من التحليل والتحريم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/٥٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٥).

﴿لَيْسَ لَكُمْ﴾ أي : يوضح لكم شرائع الإسلام .

﴿وَيَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم .

﴿سُنَنَ﴾ شرائع .

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في تحريم الأمهات والبنات والأخوات ، فإنها كانت محرمة على مَنْ قبلكم .

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يُوفِّقُكُمْ للتوبة ، ويتجاوز عنكم إن تبتم .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده .

﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دَبَّرَ من أمورهم .

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧)

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ إن وقع منكم تقصيرٌ .

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ هم الزَّناة والكفارُ .

﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحقِّ .

﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بإتيانكم ما حُرِّمَ عليكم .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨)

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بنكاح الإماءِ واتباع الشريعة السمحة

السهلة .

﴿وَحَلَقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن الشهوات، ولا يتحمل مشاق

الطاعات.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

أي: الحرام؛ كالقمار والسرقة ونحوهما.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ استثناء منقطع، ولكن تكون تجارة عن تراضٍ منكم غير منهي عنه. قرأ عاصمٌ وحمزة والكسائي وخلف: (تِجَارَةً) بالنصب على خبر كان؛ أي: إلا أن تكون الأموال تجارة، وقرأ الباقر: بالرفع؛ أي: إلا أن تقع تجارة عن تراضٍ منكم؛ أي: بطيبة^(١) نفس كل واحد منكم^(٢)، ورؤي عن قبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (تراضي)، والتراضي عند الشافعي وأحمد: الافتراق عن مجلس البيع بتمامه، فلكل واحدٍ منهما الخيار ما دام في المجلس، وعند أبي حنيفة ومالك: هو رضا المتبايعين بما تعاقدوا عليه، فإذا وجب البيع

(١) في «ن»: «بطيب».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (٥١١/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٦).

بينهما، فليس لأحدهما الخيار، وإن كانا في المجلس، وخصَّ التجارة بالذكر؛ لأنها أغلبُ أسبابِ المكاسبِ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ أي: لا^(١) تهلكوا.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بأكل الأموالِ بالباطل.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ﴾ يا أمةَ محمدٍ.

﴿رَحِيمًا﴾ لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس، ونهاكم عنه.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: ما حرَّم قبلُ.

﴿عُدْوَانًا﴾ تجاوزاً للحد.

﴿وُظْلَمًا﴾ وهو وضع الشيء في غير محله.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ أي: ندخله.

﴿نَارًا﴾ ليحترق.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا عسر فيه.

﴿إِنْ يَحْتَبِرُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

(١) «لا» زيادة من «ت».

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الكبيرة: كلُّ ذنبٍ رتب الشارِعُ عليه حدًّا، أو صرَّحَ بالوعيد فيه، وعن النبي ﷺ أنها سبع: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالرِّبَا، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما -: «الكبائرُ إلى سبعِ مئةٍ أقربُ منها إلى سبعِ»^(٢).

﴿تُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نغفر لكم صغائركم.

﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَدْخَلًا) بفتح الميم، وهو موضعُ الدخول، وقرأ الباقون: بالضم، بمعنى: الإدخال^(٣).

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣٢).

[٣٢] ونزل نهياً عن التحاسد: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى

(١) رواه البخاري (٦٤٦٥)، كتاب: المحارِبين من أهل الكفر، باب: رمي المحصنات، ومسلم (٨٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤١/٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٣٤/٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (٥١٦/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٨/٢)، وذكر في «المعجم» أنَّ قراءة «قَدْ خَلَا» قرأ بها - أيضاً - أبو بكر وعاصم.

بَعْضٍ ﴿ من الأمور الدنيوية؛ كالجاه والمال، فلعلَّ عدمه خيرٌ؛ أي: لا يحسدُ أحدٌ أحدًا على ما آتاه الله تعالى؛ فإنه:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فلا يعاقبُ أحدٌ إلا بعمله، ولا يُجازى أحدٌ^(١) إلا به، فنهى الله عن التمني؛ لما فيه من دواعي الحسد.

﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: رزقه. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (وَسْأَلُوا اللَّهَ) و(سَلُّهُمْ) (فَسَلِ الَّذِينَ) وشبهه إذا كان أمراً مواجهاً به، وقبل السين واو أو فاء: بغير همز، ونقل حركة الهمز إلى السين، والباقون: بسكون السين مهموزاً^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم ما يستحقه كلُّ إنسان فيفضل عن علم وتبيان. يسكت حمزة في (شَيْءٍ) و(شَيْءٍ) و(شَيْئاً) حيث وقع.

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَوْهَهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

[٣٣] ﴿وَلِكُلِّ﴾ أي: لكلِّ مالٍ.

(١) «أحد» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/٥١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٨).

﴿ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ ﴾ أي: ورثنا، جمع مولى، وهو من يواليك.

﴿ وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ أي: ولكل تركة جعلنا ورثاً يلونها

ويحرزونها.

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ ﴾ أي: عاهدت أيديكم. قرأ عاصم،

وحمزة، والكسائي، وخلف: (عَقَدْتَ) بغير ألف^(١)؛ أي: عقدت لهم

أيمانكم، والمعاقدة: المحالفة، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يتحالفون،

فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك ثابتاً في ابتداء

الإسلام، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَهُمْ ﴾ أي: حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله

تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ أي: عالماً، وهو تهديد على

من منع نصيبهم.

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا

حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَحَافُونَ نُسُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)،

و«تفسير البغوي» (٥١٧/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٩).

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ مسلطون على تأديبهنَّ .

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ بتفضيل الله .

﴿بَعْضُهُمْ﴾ أي : الرجال .

﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ على النساء ؛ بكمال العقل ، وحسن التدبير ، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات .

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ في نكاحهنَّ ؛ كالمهر والنفقة .

روي أن سعد بن الربيع أحد نُبَاءِ الأنصار نَشَزَتْ عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ، فلطمها ، فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ ، فشكا ، فقال رسولُ الله ﷺ : «لِيَقْتَصَّ مِنْهُ» ، فنزلت ، فقال : «أَرَدْنَا أَمْرًا ، وَأَرَادَ اللهُ أَمْرًا ، وَالَّذِي أَرَادَ اللهُ خَيْرٌ»^(١) .

وعنه ﷺ أنه قال : «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(٢) .

(١) قال الحافظ الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣١٢/١) : غريب بهذا اللفظ ، وأقرب ما وجدته ما رواه ابن مردويه في «تفسيره» عن علي قال : أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له فقال : يا رسول الله ! إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري ، وإنه ضربها فأثر في وجهها ، فقال عليه السلام : «ليس له ذلك» فنزلت ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية ، فقال عليه السلام : «أردت أَمْرًا ، وأراد الله غيره» . وذكره الثعلبي في «تفسيره» ، والواحد في «أسباب النزول» من قول مقاتل .

(٢) رواه الترمذي (١١٥٩) ، كتاب : الرضاع ، باب : ما جاء في حق الزوج على المرأة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، وقال : حسن غريب . ورواه ابن ماجه (١٨٥٢) ، كتاب : النكاح ، باب : حق الزوج على المرأة ، عن عائشة - رضي الله عنها - .

﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ ﴾ مطيعات لأزواجهنَّ .

﴿ حَفِظَتُ لِلْغَيْبِ ﴾ أي : لفروجهنَّ وأموال أزواجهنَّ في غَيْبِهِمْ .

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ أي : بحفظه . قرأ أبو جعفر (بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) بالنصب ؛

أي : بحفظهنَّ الله في الطاعة ، وقراءة العامة بالرفع ^(١) .

﴿ وَاللَّي تَخَافُونَ شُوزَهُنَّ ﴾ عصيانهنَّ ، وأصل النشوز : التكبر والارتفاع .

﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ بالتخويف من الله .

﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ ﴾ اجتنبوهنَّ .

﴿ فِي الْمَصَاجِعِ ﴾ المراقِد ، والمراد : المجامعة .

﴿ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ إن لم يرجعن ضرباً غير مُبْرَح ، أي : شديد .

﴿ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ لا تطلبوا عليهنَّ طريقاً

بالتوبيخ والإيذاء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ فاحذروه ؛ فإنه أقدرُ عليكم منكم على

مَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا

إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ خلافاً بين المرأة وزوجها .

(١) انظر : «المحتسب» لابن جني (١/١٨٨) ، و«تفسير البغوي» (١/٥١٩) ،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٩) ، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدِّمِياطي (ص : ١٨٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٣٠) .

﴿ فَابْعَثُوا ﴾ أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما ليتبين الأمر .
 ﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [الحكم: القيم بما يُسندُ إليه،
 وخصَّ الحكم بالأهل؛ لأن الأقارب أعرفُ بأغراض^(١) أقاربهم، وأنصح
 لهم، وهذا على وجه الاستحباب، فلو نُصبا من الأجانب، جاز .

﴿ إِن يُرِيدَا ﴾ يعني: الحكمين .

﴿ إِصْلَحَا يُوفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ بين الزوجين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ بالظواهر والبواطن .

وهل يجوزُ بعثُ الحكمين بغير رضا الزوجين؟ قال أبو حنيفة والشافعي
 وأحمد: لا يجوز إلا برضاهما، فليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه،
 ولا لحكم الزوجة أن يختلع على مالها إلا بإذنها، وقال مالك: يجوزُ بغير
 رضاها؛ كالحاكم يحكمُ بين الخصمين، وإن لم يكن على وفقِ مُرادهما،
 فيطلقُ حكمُ الزوج بغير إذنه، ويختلعُ حكمُ الزوجة بغير إذنها .

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ
 وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وَحُدُوهُ، والعبادة هي الطاعةُ عند الشافعية
 والمالكية والحنابلة، وعند الحنفية بشرط الأمر .

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت» .

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ صَنَمًا أَوْ غَيْرَهُ .

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بَرًّا بِهِمَا ، وَعَظْفًا عَلَيْهِمَا .

﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ أَي : أَحْسِنُوا بِذِي الْقُرْبَى .

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أَي : ذِي الْقَرَابَةِ .

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الْقَرِيبِ الْمَنْزِلِ مِنْكَ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَحَمْزُهُ ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَخَلَفُ (الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى) بِالْإِمَالَةِ ، وَقَرَأَ وَرْشٌ ، وَالدَّوْرِيُّ عَنْ الْكَسَائِيِّ : (وَالْجَارِ) بِالْإِمَالَةِ ، بِخِلَافٍ عَنْ وَرْشٍ ^(١) .

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ هِيَ الزَّوْجَةُ ، أَوِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَيَعْقُوبُ : (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ) بِإِدْغَامِ الْبَاءِ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ ^(٢) .

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هُوَ الضَّيْفُ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِ ، وَقِيلَ : الْمَسَافِرُ .

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ الرَّفِيقِ ، أَحْسِنُوا إِلَى جَمِيعِ الْمَذْكُورِينَ تُثَابُوا .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ نَبَاهَا مُتَكَبِّرًا .

(١) انظر: «الغيث» للصفاحسي (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي

(ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/ ١٣١).

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿٣٧﴾.

[٣٧] ونزل في اليهود، وهم: حُبَيْبُ بْنُ أَخْطَبَ وأصحابه حيث كانوا يبخلون، ويأمرون الصحابة بالبخل.
﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بما منحوا به.

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (بِالْبُخْلِ) بفتح الباء والخاء^(١)، والبخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من صفة النبي ﷺ، أو العلم.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ شديداً يهانون به.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ﴿٣٨﴾.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ أي: مرائين، عطف على ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ قرأ أبو جعفر: (رِثَاءَ النَّاسِ) بفتح الياء بغير همز^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٥٢٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٢٦٨)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٣٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٣٣).

﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ نزلت في المشركين المتفقين على عداوة النبي ﷺ .

﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا ﴾ صاحباً وخليلاً .

﴿ فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ المعنى : فبئس الشيطان صاحباً ؛ لأنه هو حملهم على البخل والرياء وكل شر .

﴿ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ﴿ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ ﴾ استفهام توبيخ ؛ أي : وما الذي عليهم .

﴿ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي : يوم القيامة .

﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ تلخيصه : لو آمنوا واتقوا ، لم يضرهم ذلك .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ وعيد لهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠) .

[٤٠] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي : وزن ذرة ، والذرة : هي النملة الحمراء الصغيرة .

﴿ وَإِنْ تَكَ ﴾ ميثقال ذرة .

﴿ حَسَنَةً يُمْضِعْهَا ﴾ الله ، يجعلها أضعافاً كثيرة . قرأ نافع ، وأبو جعفر ،

وابن كثير: (حَسَنَةً) بالرفع، والباقون: بالنصب^(١)، وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُضَعِّفُهَا) بالتشديد مع حذف الألف في جميع القرآن^(٢)، وقرأ الباقر: بالإثبات والتخفيف، وحذفت النون من (تَكُّ) تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال.

﴿ وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ ﴾ أي: من عنده على سبيل التفضل.

﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لا يقدر قدره غير الله تعالى؛ لكثرتِه.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٤١).

[٤١] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يصنعُ الكفارُ.

﴿ إِذَا جِئْنَا ﴾ المعنى: كيف يصنعون وقت مجيئنا.

﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ عليها، وهو نبيُّها.

﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ المذكورين.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)،

و«تفسير البغوي» (١/٥٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٢٠٣)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ١٩١)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/١٣٤).

﴿شَهِيدًا﴾ شاهدًا على جميع الأمم.

ولما بلغ ابنُ مسعودٍ في قراءته على النبي ﷺ من أولِ السورةِ إلى هنا،
بكى، وقال: «حَسْبُكَ»^(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكُونُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿يَوْمَذِ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوِ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ المعنى: يودون أن
دُفِنوا فَتَسَوَّى بهم الأرضُ كالموتى، وأصلُ التسوية: المعادلةُ. قرأ نافعٌ،
وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ (تَسَوَّى) بفتح التاء وتشديد السين على معنى:
تَسَوَّى، فأدغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ:
بفتح التاء وتخفيف السين على حذف إحدى التائين؛ كقوله: ﴿لَا تَكَلِّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥] وقرؤوا بإمالة الواو، وقرأ الباقون: بضم التاء
وتخفيف السين على المجهول^(٢).

(١) رواه البخاري (٤٧٦٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرئ للقارئ: حسبك، ومسلم (٨٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٢٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٠-٣٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٤-١٣٥).

﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ أي: يودون أن يُدْفنوا، وأنهم لم يكونوا كَتَمُوا أمرَ محمدٍ ﷺ ولا نَعَتَهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمْسَمُ الْنِسَاءُ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٤٣).

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ قرأ الدوري عن الكسائي (سُكَارَى) بالإمالة، بخلاف عنه^(١)، واتفق الأئمة على أن السكران الذي يُمَيِّزُ مُكَلَّفٌ، وكذا من لا يميز عند الثلاثة، خلافاً لمالك، والمراد: السكر من الخمر عند الأكثر.

سبب نزولها: أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً، وجمع عليه جماعة من الصحابة، فأكلوا وشربوا الخمر قبل تحريمها، فأخذت منهم، فقدّموا واحداً منهم، فصلّى بهم المغرب، فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون، بحذف (لا) إلى آخرها، فصاروا يجتنبون السكر وقت الصلاة حتى نزل تحريم الخمر^(٢).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٥/٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧١)، كتاب: الأشربة، باب: في تحريم الخمر، والترمذي (٣٠٢٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النساء، وقال: حسن صحيح غريب، عن علي - رضي الله عنه -.

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ نصبٌ على الحال، يستوي فيه الواحدُ والجمعُ، والذكرُ والأنثى، وأصلُ الجنابة: البعد، وسُمِّيَ جُنُبًا؛ لأنه يجتنبُ موضعَ الصلاة.

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ مجتازي سبيل.

﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ أي: لا تقربوا الصلاة في حالٍ سكرٍ ولا جنابةٍ إلا في حالِ السفرِ عبوراً في المسجدِ، وذلك إذا لم يجد الماء، وتيمم، وقيل معناه: لا تقربوا المسجدَ وأنتم جنبٌ إلا مجتازين فيه للخروج منه.

واختلف الأئمةُ فيه، فأباح الشافعيُّ وأحمدُ المرورَ فيه، ومنع منه أبو حنيفةٌ ومالكٌ، وقال أبو حنيفة: إن احتاجَ إلى ذلك تيممَ، ودخلَ، وأما اللبثُ فيه، فلا يجوزُ عند الثلاثة، وعند أحمد إذا توضأَ جازَ له اللبثُ، فلو تعذَّرَ، واحتاجَ إليه، جازَ من غير تيمم، وتيممُ لأجل لبثه للغسل.

وحكمُ الخلافِ في الحائضِ والنفساءِ كالجنبِ في ذلك، إلا أن الشافعيَّ لا يبيحُ للحائضِ دخولَ المسجدِ إلا إذا أمنتْ تلويثَهُ، وأحمدُ لا يبيحُ للحائضِ والنفساءِ اللبثَ فيه إذا توضَّأتا إلا بعد انقطاع دمهـما. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ مرضاً يضرُّه مسُّ الماء، أو يُخشى منه زيادةُ الألم، أو تطاولُهُ.

واختلف الأئمةُ فيمن بعضُ بدنه صحيحٌ، والبعضُ جريحٌ، فقال أبو حنيفة: الاعتبارُ بالأكثر، فإن كان هو الصحيحُ، غسله فقط، وسقطَ حكم الجريحِ إلا أنه يُستحبُّ مسحُه، وإن كان الأكثرُ جريحاً، اقتصرَ على التيمم، وسقطَ الغسلُ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يغسلُ الصحيحُ، وتيمم للجريحِ، وقال مالكٌ: يغسلُ الصحيحُ، ويمسحُ الجريحُ، ولا يتيمم.

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ طويلاً كان السفرُ أو قصيراً، فيتيمم عندَ فقدِ الماء،

ولا إعادة عليه، بالاتفاق، وأما إذا لم يكن مريضاً، ولا في سفر، لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالباً؛ كقرية انقطع ماؤها، فإنه يصلي بالتيمم، ثم يعيد عند الشافعي، وعند مالك وأحمد لا إعادة عليه، وعند أبي حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنَكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أي: الحدث، والغائط: المكان^(١) المظْمئ من الأرض، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث، فكفى به عن الحدث. وتقدم اختلاف القراء في حكم الهمزتين من كلمتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَفُّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنَكُم﴾.

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لَمَسْتُمْ) بغير ألف بعد اللام، وقرأ الباقر: بالألف^(٢)، واللمس واللامسة واحد، وهو عبارة عن الجماع عند بعضهم، وقال بعضهم: هو التقاء البشريتين بجماع أو غيره.

واختلف الأئمة في نقض الوضوء بملاقاة بشرتي الرجل والمرأة من غير حائل، فقال أبو حنيفة: لا ينتقض، وقال الشافعي: ينتقض بلمس غير المحارم، وقال مالك وأحمد: إن كان اللمس بشهوة، نقض، وإلا فلا.

وهل ينتقض وضوء الملموس؟ قال مالك والشافعي: حكمه حكم

(١) «المكان» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٣٧).

اللامس، وقال أحمد: لا ينتقض، ولو وجد منه شهوة، وأما الصغيرة، فلا ينقض^(١) لمسها بالاتفاق.

﴿ فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً ﴾ فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود.

﴿ فَتَيَّمُوا ﴾ اقصدوا.

﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ تراباً طاهراً، والتيمم من خصائص هذه الأمة، وهو مبيح للمحدث والجنب بالاتفاق.

واختلف الأئمة فيما يجوز به التيمم، فقال أبو حنيفة ومالك: يجوز بسائر أنواع الأرض؛ من ترابها وحجرها ورمليها ومدريها وحصائها، وما ينطبع؛ كالنورة والجص والزرنج وغيرها من طبقات الأرض، وقالوا: الصعيد: وجه الأرض، وقال الشافعي وأحمد: لا يجوز التيمم إلا بتراب طهور له غبار يعلق باليد، فإن خالطه ذو غبار؛ كالجص ونحوه لم يجز التيمم به.

﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ أي: فامسحوا وجوهكم وأيديكم منه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ واختلفوا في صفة التيمم، فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: يضرب بيديه على الصعيد ضربتين: إحداهما للوجه، والأخرى لليدين إلى المرفقين، والاستيعاب شرط، حتى يخلل أصابعه، وقال أحمد: السنة في التيمم أن ينوي، ثم يسمي، ويضرب بيديه مفرجتي الأصابع ضربة واحدة على التراب، فيمسح وجهه بباطن أصابعه، وكفيه براحتيه، وخالفه القاضي من أصحابه، فوافق الجماعة.

(١) في «ن» و«ت»: «ينتقض».

ولا يصحُّ التيمُّ لصلاةٍ إلا بعدَ دخولِ وقتها، ولا يجمعُ بينَ فريضتين بتيمُّ واحدٍ عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: التيمُّ كالطهارة بالماء يجوزُ تقديمه على وقت الصلاة، وأن يصلي به ما شاء من الفرائض^(١).

واتفقوا على أنه يجوزُ أن يصلي بتيمُّ واحدٍ مع الفريضة ما شاء من النوافل، وأن يقرأ القرآن إن كانَ جنباً.

واختلفوا في طلبِ الماء هل هو شرط؟ فقال الثلاثة: هو شرط، وقال أبو حنيفة: ليسَ بشرطٍ، فيجوزُ التيمُّ قبلَ الطلب؛ لأنه عادةٌ حقيقة، إلا إذا غلب على ظنه أن بقره ماءً، فلا يجوز ما لم يطلبه.

واختلفوا فيمن عدمَ الماء والتراب، فقال أحمد: يصلي، ولا إعادةَ عليه، وعن مالكٍ أربعُ روايات: إحداهنَّ كمذهب أحمد، والثانية: لا يصلي حتى يجدَ الماء أو الصعيد، وهو مذهبُ أبي حنيفة، والثالثة: يصلي ويعيد، وهو مذهبُ الشافعي، والرابعة: لا يصلي، ولا إعادةَ عليه، وجزم به الشيخُ خليلٌ في «مختصره»، فقال: وتسقطُ صلاةٌ وقضاؤها بعدم ماءٍ وصعيدٍ^(٢)، ونقل القرطبي في «تفسيره» أن هذا الصحيح من مذهب مالك، ثم نقل عن أبي عمر بن عبد البر إنكاره^(٣).

واتفقوا على أن النية في التيمم واجبة.

واختلفوا في التسمية فيه، فقال أحمد: هي واجبة، وتسقط سهواً، وقال الثلاثة: هي غيرُ واجبة.

(١) في «ت» «النوافل».

(٢) انظر: «مختصر الشيخ خليل» (ص: ٢٠).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٣٧/٥).

واختلفوا في الترتيب والموالة، فقال أحمد: هما واجبان^(١)، وقال مالك: الموالة واجبة، والترتيب سنة، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يجبان، فلو ضرب يديه ومسح بيمينه وجهه، وبيساره يمينه، جاز.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۖ ﴾ [٤٤]

[٤٤] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي: ألم ينته علمك.

﴿ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ هم اليهود، أعطوا حظاً من التوراة. ﴿ يَشْتُرُونَ ﴾ يستبدلون.

﴿ الضَّلَالَةَ ﴾ يعني: بالهدى.

﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ تُخْطِئُوا طريق السعادة أيها المؤمنون.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۖ ﴾ [٤٥]

[٤٥] ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴾ منكم.

﴿ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ فاحذروهم.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا ﴾ يلي أمركم.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ يعينكم.

(١) في «ن»: «واجبتان».

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَيَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قومٌ .

﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي : يُمِيلُونَهُ .

﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها ، وهو تغييرهم صفة محمد ﷺ في التوراة .

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قَوْلَكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ .

﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ أي : اسمعُ مِنَّا ولا نسمعُ منك ، أي : غير^(١) مُجَابٍ إِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ .

﴿وَرَاعِنَا﴾ يريدون نسبته ﷺ إِلَى الرُّعُونَةِ .

﴿لَيًّا﴾ تحريفاً ﴿بِالسِّنِّهِمْ﴾ استهزاءً بِهِ .

﴿وَطَعْنًا﴾ قَدْحًا .

﴿فِي الدِّينِ﴾ لَأَن قَوْل رَاعِنَا مِنَ الْمِرَاعَةِ ، وَهُمْ يَحَرِّفُونَهُ فَيُرِيدُونَ الرُّعُونَةَ .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بَدَلَ ذَلِكَ^(٢) .

(١) «غير» ساقطة من «ن» .

(٢) في «ت» : «بذلك» .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا ﴾ أي : انظر إلينا رحمةً لنا .

﴿ لَكَانَ ﴾ ذلك القول .

﴿ حَيْرَاهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أي : أعدل .

﴿ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : خذلهم وأبعدهم .

﴿ يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٤٧) .

[٤٧] ولما كَلَّمَ النبي ﷺ أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صُورِيَا، وَكَعْبَ بْنَ أَسَدٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ لَحَقٌّ» قَالُوا: مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، فَنَزَلَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾^(١) أي : القرآن .

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ أي : التوراة .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ فَنَجْعَلَهَا كَخُفِّ الْبَعِيرِ بِلَا أَنْفٍ وَلَا عَيْنٍ وَلَا حَاجِبٍ كَالْأَقْفَاءِ، وَهَذَا مَعْنَى:

﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ وَأَصْلُ الطَّمْسِ: إِزَالَةُ الْأَثَرِ بِالْمَحْوِ. فَإِنْ قِيلَ: قَدْ أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ بِالطَّمْسِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَمْ يَفْعَلْ بِهِمْ ذَلِكَ،

(١) رواه البخاري (٣٦٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

قيل : هذا الوعيدُ باقٍ ، ويكونُ طمسُ مسيحٍ في اليهود قبلَ قيامِ الساعة ، وقيلَ غيرُ ذلك .

﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ فنجعلهم قردةً وخنازيرَ ، وتقدّم خبرُ أصحابِ السبتِ في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ [الآية : ٦٥] .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي : قضاؤه .

﴿ مَفْعُولًا ﴾ نافذاً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ .

[٤٨] ولما أحبَّ وحشيُّ التوبةَ بعدَ قتله حمزة رضي الله عنه يومَ أحدٍ ، نزل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ مع التوبة ، فبعثَ بها رسولُ الله ﷺ إلى وحشيٍّ بمكةَ ، فقالَ وحشيٌّ : لعليَّ ممّنْ لمْ يَشَأْ اللهُ ، فنزل : ﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ ﴾ [الزمر : ٥٣] ، فبعثَ بها إليه ، فدخلَ في الإسلام ، ورجعَ إلى النبي ﷺ ، فقبلَ منه ، ثم قال له : « أَخْبِرْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ » فلما أخبره ، قال : « وَيَحَكَ عَيْبٌ وَجْهَكَ عَنِّي »^(١) فلحقَ بالشام ، فكانَ بها إلى أن مات .

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٠٠) . وانظر : «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/١٥٦٤-١٥٦٥) ، و«تفسير البغوي» (١/٥٤٤) .

ثم تهتد المشركين فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾
 قال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ
 شَيْئًا، دَخَلَ النَّارَ»^(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
 فَتِيلًا﴾^(٤٩).

[٤٩] ونزل فيمن زكى نفسه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ فأنكر ذلك
 عليهم بصيغة الإضراب فقال:
 ﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي﴾ أي: يطهر.

﴿مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو ما في شق النواة طولاً.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٥٠).

[٥٠] ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد.

﴿كَيْفَ يَقْرَوْنَ﴾ يختلقون.

﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بتغييرهم كتابه.

﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ أي: بالكذب.

﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ لا يخفى كونه ماثماً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

(١) رواه مسلم (٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -.

والكسائي، وهشام، وخلف: (فَتِيلاً انْظُرْ) و(مُبِينِ اقْتُلُوا) وشبهه بضم التنوين في الوصل حيث وقع.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٥١).

[٥١] ولما خرج حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى قُرَيْشٍ لِيُحَالِفَهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَ لِحَتِي تَسْجُدُوا لِصَنَمِينَا، فَسَجَدُوا، فَنَزَلَ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُغُوتِ ﴾ (١) هُمَا الصَّنَمَانِ الْمَذْكُورَانِ.

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وَهُمْ قُرَيْشٌ.

﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ يَعْنُونَ: أَبَا سَفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ.

﴿ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يَعْنُونَ: مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ.

﴿ سَبِيلًا ﴾ دِينًا. وَتَقَدَّمَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ فِي حُكْمِ الْهَمْزَتَيْنِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَشَتْ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وَكَذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿ هَؤُلَاءِ أَهْدَى ﴾.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/٥٤٦).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ يمنع العذاب

عنه .

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني : أَلَهُمْ ﴿نَصِيبٌ﴾ أي : حَظٌّ .

﴿مِّنَ الْمُلْكِ﴾ وهذا على وجه الإنكار، يعني : ليس لهم من الملك شيء، ولو كان لهم حظ مما يملك ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾ أي : أحداً منهم .

﴿نَقِيرًا﴾ لحسدِهِمْ وبخلِهِمْ ، والنقيرُ : هو النقطة التي تكون على ظهر النواة، ومنها تنبت النخلة، ويأتي تفسير القطمير في سورة فاطر إن شاء الله تعالى .-

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ أي : اليهود .

﴿النَّاسَ﴾ العرب ، والنبي ﷺ .

﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة والإسلام والتقدم عليهم ، فقال :

﴿فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ داود وسليمان ﴿الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهما .

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة .

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فلا يبعد أن يؤتي الله محمداً مثل ما آتاهم .

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ [فَمِنْهُمْ] أي: اليهود.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِءٍ﴾ بمحمد ﷺ، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه.
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أي: أعرض.
﴿عَنْهُ﴾ ولم يؤمن به.

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: ناراً مُسَعَّرَةً يُعَذِّبُونَ بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ نُدْخِلُهُمْ.
﴿نَارًا كَمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت.

﴿جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى. قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، وورش من طريق الأصبهاني، وابن عامر: (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) بإظهار التاء عند الجيم، والباقون: بالإدغام^(١).

﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: ليدوم بهم ذوقه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ شديد النعمة.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٩٢)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١٠٧/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٠/٢).

﴿حَكِيمًا﴾ يَعَاقِبُ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ .

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قُرِئَ عِنْدَ عُمَرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ، فقال معاذ: عندي تفسيرُها: تُبَدَّلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِثْلَ مَرَّةٍ ، فقال عمر: هَكَذَا سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١) .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾^(٥٧) .

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، خبره ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأقدار .

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ كثيفاً، لا تنسخه الشمسُ، ولا يؤذيهم بردٌ ولا حر . قرأ أبو عمرو: (الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ) بإدغام التاء في السين .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٥٨) .

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قرأ أبو عمرو: (يَأْمُرُكُمْ) باختلاس الحركة من طريق البغداديين، ورؤي عنه من طريق

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤٩/ ٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥١٧) .

العراقيين^(١) وغيرهم: بإسكان الراء، والباقون: يشبعون الحركة^(٢). نزلت في عثمان بن طلحة الحَجَبِيّ من بني عبد الدار، وكان سادن^(٣) الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، أغلق باب الكعبة، وأبى أن يدفع له المفتاح ليدخل فيها، وقال: لو علمت أنه رسول الله، لم أمنعه، فمدَّ عليّ يده وأخذه منه، وفتح، فدخل رسول الله ﷺ، وصلى ركعتين، فلما خرج، سأله العباس أن يعطى المفتاح، ويجمع له السقاية والسدانة، فأمر الله أن يُردَّ إليه، فأمر علياً بأن يردَّ المفتاح إلى عثمان، ويعتذر إليه، فكان ذلك سبباً لإسلامه، فلما مات، دفعه إلى أخيه شيبه، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة^(٤).

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط.

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا﴾ أي: نعم الشيء الذي.

﴿يُعْطِيكُمْ بِهِ﴾ وتقدّم اختلاف القراء في (نِعْمًا) في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ

(١) في جميع النسخ «الرقيين»، والصواب ما أثبت، والله أعلم.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤١).

(٣) في «ت»: «سادان».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٠)،

و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٩٣).

عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَاباً إِمَامٌ جَائِرٌ»^(١).
 وقال ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ
 النَّارَ، فَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي، فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ
 رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ
 النَّارَ، فَأَمِيرٌ مُسْلَطٌ، وَذُو ثُرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ مِنْ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ
 فَخُورٌ» أخرجه الإمام أحمد رضي الله عنه^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ
 فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ
 وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٥٩).

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ﴾ أي: الولاية.

﴿مِنْكُمْ﴾ إذا أمروا بطاعة الله.

﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ﴾ اختلفتم أنتم وأمراء العدل.

﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمر دينكم، والتنازعُ: اختلاف الآراء.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى كتابه.

(١) رواه الترمذي (١٣٢٩)، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الإمام العادل،
 وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢/٣)، عن أبي سعيد
 الخدري - رضي الله عنه -.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢٥/٢)، وابن خزيمة في «صحيحه»
 (٢٢٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٦)، وغيرهم، عن أبي هريرة -
 رضي الله عنه -.

﴿وَالرَّسُولُ﴾ مَدَّةَ حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ إِلَى سُنَّتِهِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ﴾ أَي: الرَّدُّ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مَا لَا وَعَاقِبَةَ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِءَ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٠﴾.

[٦٠] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ هُوَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، سُمِّيَ بِهِ؛ لِإِفْرَاطِهِ فِي الطَّغْيَانِ.

﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِءَ﴾ أَي: بِالطَّاغُوتِ.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ لَا غَايَةَ لَهُ، فَلَا يَهْتَدُونَ.

نَزَلَتْ فِي بَشَرِ الْمَنَافِقِ وَيَهُودِيٍّ كَانَ بَيْنَهُمَا حُكُومَةٌ، فَطَلَبَ الْمَنَافِقُ الْحُكُومَةَ إِلَى ابْنِ الْأَشْرَفِ، فَطَلَبَ الْيَهُودِيُّ الْحُكُومَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَحَكَمَ ﷺ عَلَى الْمَنَافِقِ، فَلَمْ يَرْضَ، فَأَتَىا عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّ النَّبِيَّ حَكَمَ لِي، فَلَمْ يَرْضَ، قَالَ عَمَرُ لِلْمَنَافِقِ: أَكْذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَتَلَهُ عَمَرُ، فَقَالَ: هَكَذَا أَفْعَلُ بِمَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَضَاءِ رَسُولِهِ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ، وَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنْ عَمَرَ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»، فَسُمِّيَ الْفَارُوقُ^(١).

(١) انظر: «نوادير الأصول» للحكيم الترمذي (١/٢٣٢)، و«أسباب النزول» =

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ ﴿٦١﴾.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ للتحاكم.
﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي: يُعرضون عنك إعراضاً. قرأ الكسائي، وهشام، ورؤيس: (قيل) بإشمام القاف الضم^(١).

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿٦٢﴾.
[٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم.

﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ من قتلٍ عمرٍ للمنافق.
﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك، واتهامك في الحكم.
﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ أي: يجيئونك يطلبون دية المقتول، ثم:
﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى عمر.
﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ في القول.
﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين، ولم نرد مخالفتك.

= للواحي (ص: ٨٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٩٠٣-٩٠٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٥٨٥-٥٨٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٤٢).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ثم أوماً تعالى إلى كذبهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق .

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعاقبهم .

﴿وَعِظْهُمْ﴾ بين الناس ليتوبوا .

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: في الخلاء .

﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم ، وهو التخويف بالله تعالى ، وتوعدهم بالقتل إن لم يؤمنوا .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني: بتيسيره وقضائه ؛ أي: وما أرسلنا رسولا قط إلا ليُطاع ، وبطاعته يُطاعُ الله .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت .

﴿جَاءُوكَ﴾ معتردين .

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ من نفاقهم .

﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ يقبل توبة التائبين .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٦٥].

[٦٥] ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ أي: فوربك، و(لا) مزيدة لتوكيد القسم.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾ أي: يجعلوك حكاماً.

﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: اختلف، وأصل التشاجر: الاختلاط والتنازع.

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ ضيقاً.

﴿ مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: لا تضيق صدورهم بحكمك.

﴿ وَيُسَلِّمُوا ﴾ ينقادوا.

﴿ تَسْلِيمًا ﴾ بطيب نفس.

﴿ وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴾ [٦٦].

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا ﴾ أو جبننا.

﴿ عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ كما قُتِلَ بنو إسرائيل.

﴿ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ كما أَمَرْنَا بني إسرائيل بالخروج من مصر. قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (أَنْ أَقْتُلُوا) بكسر النون على أصل التحريك، (أَوْ أَخْرِجُوا) بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ﴿ وَلَا تَنْسُوا ﴾

الْفَضْلُ ﴿البقرة: ٢٣٧﴾، وقرأ عاصمٌ، وحمزةٌ بكسرهما، والباقون: بضمهما^(١).

﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب عليهم.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إِلَّا قَلِيلًا) بالنصبِ على أصل الاستثناء، وكذلك هو في مُصحفِ أهل الشام، وقرأ الباقون: بالرفع على ضمير الفاعل في قوله: (فَعَلُوهُ) تقديره: إلا نفرٌ قليلٌ فَعَلُوهُ^(٢)، والقليلُ جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عمر، وعمارُ بنُ ياسر، وعبدُ الله بنُ مسعود، وثابتُ بنُ قيسٍ، قالوا: والله لو أمرنا محمدٌ بذلك، لفعلنا، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رَجُلًا، الْإِيمَانُ أَتَبْتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي»^(٣).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ما يؤمرون به من طاعة الرسول.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في عاجِلِهِمْ وَأَجَلِهِمْ ﴿وَأَشَدَّ تَنَبُّيًا﴾ تحقيقاً لإيمانهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر»، للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٢-١٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٦٠)، عن أبي إسحاق السبيعي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٥)، عن الحسن البصري.

﴿وَإِذَا لَا تَنَالُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] و ﴿وَإِذَا﴾ جوابُ سؤالٍ مقدَّرٍ تقديرُهُ: ماذا يكونُ لهم بعدَ التَّشْيِيتِ؟ فقال: وإذا لو ثبتوا.

﴿لَا تَنَالُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثواباً وافرأ؛ لأن (إذا) جوابٌ وجزاء.

﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ وفقناهم لازديادِ الخيراتِ .

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ونزلَ في ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ، وكانَ شديدَ الحبِّ له حينَ قالَ للنبيِّ ﷺ: «إِنِّي أَخْشَى أَلَّا أَرَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِكَ»^(١):

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في أداءِ الفرائضِ ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السُّنَنِ .

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: لا تفوتهم رؤيةُ الأنبياءِ ومجالستهم .

﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ هم أفاضلُ الصحابةِ المبالغينَ في الصِّدْقِ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩١)، و«تفسير البغوي» (١/٥٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١/١٧٤).

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ هم شهداء أُحْدِ.

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ سائر الصحابة، واللفظُ يَعُمُّ كُلَّ صَالِحٍ وشَهِيدٍ، والله أعلم. قال ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(١).

﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا﴾ أي: ما أحسن أولئك رفقاء في الجنة بأن يُسْتَمْتَعَ فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرّهم في درجاتٍ عاليةٍ بالنسبة إلى غيرهم، ومن فضل الله تعالى على غيرهم أنّه قد رَزَقَ الرِّضَا بحاله، وذَهَبَ عنه أن يعتقَدَ أنه مفضول؛ انتفاءً للحسرة في الجنة التي تختلفُ المراتبُ فيها على قَدَرِ الأعمالِ، وعلى قدرِ فضلِ الله على مَنْ يشاء.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾.

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما للمطيعين من الأجر.

﴿الْفَضْلُ﴾ صفته.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبرُهُ.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بجزاء مَنْ أطاعَهُ، فإنَّهُ يعطيهم ما عَلِمَهُ لهم.

(١) رواه البخاري (٥٨١٦)، كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل،

ومسلم (٢٦٤٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، عن

ابن مسعود - رضي الله عنه - .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ (٧١).

[٧١] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أي: تَيَقَّظُوا لعدوكم، والحِذْرُ والحِذْرُ واحدٌ، وهو الاحتراز.

﴿ فَانْفِرُوا ﴾ فاخرجوا.

﴿ ثُبَاتٍ ﴾ سرايا متفرقين.

﴿ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ كلُّكم مع نبيكم ﷺ، وأصلُ النَّفْرِ: الانزعاجُ من الشيء أو إلى الشيء.

﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطُنُّ فَإِنَّ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ ۖ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطُنُّ ﴾ واللام في (ليطُنُّ) لامُ القسم، والتبטئة: التأخُّرُ عن الأمر، والخطابُ لعسكرِ النبي ﷺ. المعنى: وإن منكم؛ أي: عبد الله بن أبي وأصحابه ليتأخَّروا عن الغزو تثاقلاً. قرأ أبو جعفر: (لَيِطُنُّ) بفتح الياء بغير همز، والباقون: بالهمز.

﴿ فَإِنَّ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ ﴾ قتلٌ أو هزيمة.

﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ بالقعود.

﴿ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ حاضراً، فيصيني ما أصابهم.

﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ سلامةٌ وغنيمةٌ .

﴿ لَيَقُولَنَّ ﴾ هذا المنافقُ ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ .

﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ متصلٌ بقوله : ﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ ﴾

تقديره : فإن أصابتكم مصيبةٌ ، قال : قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً ؛ كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة ؛ أي : معرفة . قرأ ابن كثير ، وحفصٌ ، ورويسٌ : (تَكُنْ) بالتاء ، والباقون : بالياء ^(١) ، ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولن :

﴿ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ﴾ في تلك الغزاة .

﴿ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ أخذ نصيباً وافراً من الغنيمة (فأفوز) نُصب على

جواب التمني .

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧٤﴾ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٣٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٦) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ١٩٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٥) .

[٧٤] ﴿ فليقتل في سبيل الله الَّذِينَ يَشْرُونَ ﴾ أي: يشتررون.

﴿ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ ومعناه: آمنوا أيها المنافقون، وجاهدوا في سبيل الله. وقيل: نزلت في المؤمنين، فيكون معناه: فليقاتل في سبيل الله الذين يختارون الأخرى على الدنيا.

﴿ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ ﴾ يُستشهد.

﴿ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ يظفر بعدوه.

﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ في كلا الحالتين. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلاَّد: (يَغْلِبْ فَسَوْفَ) و(تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ) وشبهه حيث وقع بإدغام الباء في الفاء، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾.

[٧٥] ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في طاعة الله، استفهام توبيخ على

ترك الجهاد.

﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ أي: وفي سبيل المستضعفين.

﴿ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ ﴾ بمكة، صدَّهم المشركون عن الهجرة وأذوهم.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦١)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٦).

﴿يَقُولُونَ﴾ داعينَ .

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ هي مكةُ .

﴿الظَّالِمِ﴾ أي : التي ظلمَ .

﴿أَهْلِهَا﴾ بكفرهم وصدّهم المسلمين عن الهجرة .

﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي : ارزقنا مَنْ يتولى أمرنا .

﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ ينصرنا على أعدائنا ، فاستجاب الله

دعاءهم ، فلما فُتحت مكةُ ، ولَّى النبي ﷺ عليهم عَتَابَ بنَ أُسَيْدٍ ، فكان ينصفُ المظلومينَ من الظالمينَ .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦) .

[٧٦] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : طاعته .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطانِ والأصنام .

﴿فَقَاتِلُوا﴾ أيها المؤمنون .

﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ جنوده ، وهم الكفارُ .

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ مكره .

﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ وإِنهَا لَا يَثْبُتُ لِلْحَقِّ (١) .

(١) من قوله ﴿وَإِذَا﴾ جواب سؤال ... » (ص : ١٥١) من هذا الجزء إلى هنا سقط من «ن» ، وهو بمقدار لوحة من النسخ الخطية الأخرى .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ عن القتال. نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يَلْتَقُونَ من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل الهجرة، فقالوا: يا رسول الله! ائذن لنا في قتالهم؛ فإنهم قد آذونا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ»^(١).

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فلما هاجروا إلى المدينة، وأمرهم الله بقتال المشركين، شقَّ ذلك على بعضهم، قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ ﴾ أي: فرض.

﴿ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ﴾ يعني: مشركي مكة.

﴿ كَخَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ أي: كخشيتهم من الله.

﴿ أَوْ أَشَدَّ ﴾ أكبر.

﴿ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ ﴾ الجهاد.

﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلاً.

﴿ أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ إلى أن نجد من نستنصر به.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦٣)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٩١٨).

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿مَنْعُ الدُّنْيَا﴾ أي: منفعتها والاستمتاعُ بها.

﴿قَلِيلٌ﴾ سريعُ التَّقْضِي.

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: وثوابُ الآخرة.

﴿خَيْرٌ لِّمَنِ انْقَى﴾ الشرك.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَنِيلاً﴾ هو ما في شقِّ النواةِ طولاً، وتقدم تفسيره.

المعنى: لا يقع نقصٌ في شيءٍ من الحسناتِ ثمَّ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، وروحٌ: (يُظْلَمُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب^(١).

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنٍ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

[٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ينزل بكم الموت. نزلت في

المنافقين الذين قالوا في قَتْلَى أحد: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فردَّ الله عليهم، وأخبر أنَّ الحذر لا يُنجي من القَدَرِ.

﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/٥٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٤٦).

﴿مُسَيِّدَةً﴾ مرتفعة .

﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ﴾ أي : المنافقين وَمَنْ جَرَى مجراهم .

﴿حَسَنَةً﴾ خصبٌ وظفرٌ يومَ بدرٍ .

﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لنا .

﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جَذْبٌ وهزيمةٌ يومَ أُحُدٍ .

﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمدُ؛ أي : بسببِ شؤمِكَ ، فقال تعالى

لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلُّ﴾ الحسنة والسيئة .

﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره ، ثم عَيَّرَهم بالجهل فقال :

﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ يعني : المنافقين .

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ والفقهُ لغةٌ : الفهمُ . وقف أبو عمرو ،

والكسائي بخلافٍ عنه على الألف دون اللام من قوله (فَمَالِ هَؤُلَاءِ) ^(١) ،

و(مَالِ هَذَا الْكِتَابِ) في سورة الكهف ، و(مَالِ هَذَا الرَّسُولِ) في الفرقان ،

(فَمَالِ الَّذِينَ) في سأل ، ووقف الباقون (فمال) على اللام اتباعاً للخط ،

بخلافٍ عن الكسائي ، قال ابن عطية : ومنعه قومٌ جملةً ؛ لأنها حرف جر ،

فهي بعضُ المجرور ، وهذا كله بحسب ضرورة أو ^(٢) انقطاعِ نفسٍ ، وأما أن

يختارَ أحدُ الوقفَ فيما ذكرناه ابتداءً ، فلا ، انتهى ^(٣) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٩٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص : ١٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٧) .

(٢) في «ظ» : «و» .

(٣) انظر : «المحرر الوجيز» (٢/ ٨١) .

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [٧٩].

[٧٩] ثم خاطب النبي ﷺ، والمرادُ غيره فقال :

﴿ مَا أَصَابَكَ ﴾ يا إنسان.

﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ خيرٍ ونعمة.

﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ تفضلاً.

﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ﴾ بليّة.

﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ أي : بذنبك ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وتعلّق القدريّة بظاهر هذه الآية ، فقالوا : نفى الله عز وجل السيئة عن نفسه ، ونسبها إلى العبد ، ولا متعلّق لهم فيه ؛ بدليل قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ غير أن الحسنه إحسانٌ وامتحانٌ ، والسيئة مجازاةٌ وانتقامٌ.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ نَصَبٌ وَلَا وَصَبٌ ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا الْعَبْدُ ، وَحَتَّى انْقِطَاعُ شِسْعٍ نَعْلِهِ ، إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ أَكْثَرُ »^(١).

(١) روى البخاري (٥٣١٧)، كتاب : المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المريض ، ومسلم (٢٥٧٢)، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ، بلفظ : « ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها ». وروى البخاري (٥٣١٨)، كتاب : المرضى ، =

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمدُ.

﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حالٌ مؤكَّدةٌ، أي: ذا رسالةٍ.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك وصدقك.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيفًا﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ﴾ فيما أمر به.

﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ كان ﷺ يقول: «مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّنِي، فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ»، فقال بعض اليهود: ما يريد محمدٌ إلا أن يُتَّخَذَ رَبًّا، فنزلت الآية (١).

﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرضَ عن طاعته.

﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ أي: حافظًا ورقيبًا، بل كلُّ أمورهم إلى الله، قيل: نُسَخَ هذا بآية السيف.

= باب: ما جاء في كفارة المريض، ومسلم (٢٥٧٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة بلفظ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها».

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣٣٦/١): غريب جداً، ونقل المناوي في «الفتح السماوي» (٥٠٤/٢) عن الولي العراقي أنه قال: لم أقف عليه هكذا، وعن ابن حجر: لم أجده.

﴿ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [٨١].

[٨١] ﴿ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ ﴾ يعني: المنافقين، يُظهرون أنهم يطيعونك.

﴿ فَإِذَا بَرَرُوا ﴾ خرجوا.

﴿ مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ ﴾ أي: دَبَّرَ ليلاً.

﴿ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة (بَيَّتَ طَائِفَةٌ) بسكون التاء وإدغامها في الطاء، والباقون: بإظهار التاء مفتوحة^(١). المعنى: جماعة المنافقين تظهر في حضورك خلاف ما تُضمِرُ، وتقول في غيبتك قولاً.

﴿ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ في مجلسك.

﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ ﴾ يُثَبِّتُ في صحائفهم للمجازاة.

﴿ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ يُزَوِّرون.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ لا تعاقبهم.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي: اتَّخِذْهُ وكيلاً، فهو كافيك.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ناصراً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٨/٢).

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ يتأملون القرآن؛ أي: لو اعتبروا القرآن، لتيقنوا أنه من عند الله؛ لعدم تناقضه.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا ﴾ تناقضاً.

﴿ كَثِيرًا ﴾ .

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ونزل فيمن كان يُفشي ما يسمع؛ ليضعف قلوب المؤمنين:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ ﴾ يعني: المنافقين.

﴿ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ﴾ من الفتح والغنيمة.

﴿ أَوْ الْخَوْفِ ﴾ القتل والهزيمة.

﴿ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ أفسوه.

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ ﴾ أي: الخبر.

﴿ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ أي: لو لم يحدثوا به حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به.

﴿ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أصحاب الرأي من الصحابة.

﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجونه، وهم العلماء؛ أي: لوردوا ما يسمعون من الخبر إلى هؤلاء، لعلموا ما يُفشى فيُفشى، وما يُكتم فيُكتم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام.

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالقرآن.

﴿لَا تَبِعْتُمْ الشَّيْطَانَ﴾ أي: لضللتكم باتباعه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم، والمراد: الذين اهتدوا قبل مجيء النبي ﷺ؛ كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، أو: إلا اتباعاً قليلاً.

﴿فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (٨٤).

[٨٤] وكان النبي ﷺ وعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة، فلما بلغ الميعاد، دعا الناس إلى الخروج، فكرهه بعضهم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (١) أي: قاتل المشركين، وانصر المستضعفين بمكة، ولو وحدك؛ فإنك موعود بالنصر.

﴿وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حُثَّهم على الجهاد، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راجباً، فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره:

﴿عَسَى اللَّهُ﴾ أي: لعل الله ﴿أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ صولة وحرب.

(١) عزاه المناوي في «الفتح السماوي» (٥٠٤/٢) إلى ابن جرير في «تفسيره» من حديث ابن عباس، ولم أره فيه.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد كفى بتخلف أبي سفيان عن الخروج إلى بدر الصغرى تلك السنة.

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا﴾ صولة وأعظم سلطاناً من قريش.
﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ عقوبة، وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ (٨٥).

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً﴾ هي الإصلاح بين الناس.

﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ وهو ثواب الشفاعة.

﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً﴾ هي المشي بالنميمة بين الناس.

﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ أي: نصيب من وزرها، والكفل: الضعف من الشيء، واشتقاقه من الكفل؛ لمشقة الركوب عليه.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ مجازياً.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦).

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ إذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم

ورحمته وبركاته، فَرُدَّ مثلها، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: «انتهى السلام إلى البركة»^(١).

﴿أَوْرُدُوهَا﴾ أي: رُدُّوا مثلها.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ محاسباً على السلام وغيره، والسلام سنة على الكفاية مرغَّب فيها، وإذا سلَّم واحدٌ من الجماعة، أجزأهم، بالاتفاق، والرَّد فرضٌ على الكفاية عند الثلاثة، وذهب أبو حنيفة إلى أنَّ رَدَّ السلام من الفروض المتعيَّنة، قال: والسلام خلاف الردِّ، لأنَّ الابتداء به تطوُّع، وردّه فريضة، فإذا رَدَّ واحدٌ من جماعة، سقط عن الباقي باتفاقهم.

ويحرَّم بداءة أهل الذمَّة بالسَّلام عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة يُكره؛ لما فيه من تعظيمهم، فإنَّ سلَّم على ذمي جاهلاً أو ناسياً، ثم علم، فمذهب مالك لا يستقبله، واختار ابن عطية المالكي أن يستقبله سلامه، ومذهب الشافعي يقول: استرجعت سلامي تحقيراً له، ومذهب أحمد يُسنُّ قوله: رُدَّ عَلَيَّ سلامي، وإذا سلَّم ذمي على مسلم، فعند أحمد وأبي حنيفة يقول في الرد: وعليكم، وعند الشافعي يقول: وعليك، وعند مالك يقول: عليك، بغير واو، واختار بعض أصحابه السَّلام بكسر السين؛ يعني به الحجارة.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٨٧).

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللام في (ليجمعنكم) لام القسم، تقديره: الله والله ليحشرنكم.

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/٩٥٩).

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي : القيام من القبور إلى الحساب .

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في ذلك اليوم^(١) .

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي : لا حديث أصدق من حديث الله ؛ لأنه

سبحانه منزّه عن الكذب . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ورويس بخلاف

عنه : (أَصْدَقُ) و(يُصْدِقُونَ) و(تَصْدِيقًا) و(تَصْدِيق) و(فَأَصْدَعُ) بإشمام الصاد

الزاي حيث وقع ، والباقون بالصاد الخالصة^(٢) .

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ

تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ .

[٨٨] ونزل فيمن أسلم ، ثم ندم ، ثم ارتد :

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين .

﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ أي : اختلفتم فافترقتم فرقتين ، ولم تقطعوا جميعاً

بكفرهم .

﴿وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ﴾ نكسهم وردهم إلى الكفر ، وأصل الرُكْس : ردُّ الشيء

مقلوباً .

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بسبب كسبهم ، وهو ارتدادهم عن الإسلام .

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أطلبون هداية مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ .

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ عن الهدى .

(١) «اليوم» ساقطة من «ن» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٩٧) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٠) ، و«النشر في

القراءات العشر» ، لابن الجزري (٢/ ٢٥٠-٢٥١) ، و«إتحاف فضلاء البشر»

للمدائني (ص : ١٣٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٠) .

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا ﴾ طريقاً إلى الحقّ .

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] ﴿ وَدُّوا ﴾ تمنوا؛ يعني: أولئك الذين ^(١) رَجَعُوا عن الدين .

﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿ تَكْفُرُونَ ﴾ .

﴿ سَوَاءً ﴾ أي: مستويين أنتم و هم في الكفر .

﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ وإن أظهروا الإيمان .

﴿ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ هجرةً لله ورسوله، لا لأغراض الدنيا .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن الإيمان والهجرة .

﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ أسارى، ومنه يُقال للأسير: أَخِذْ .

﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ في الحلِّ والحرم .

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ أي: لا تقبلوا منهم ولايةً ونصرةً .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُغْلَبُوا قَوْمُهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَتْلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوا أَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَسْلَماً فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ﴿٩٠﴾ .

(١) «الذين» ساقطة من «ن» .

[٩٠] ثم استثنى من القتل، لا من الموالاة، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يتسبون ويلتجئون بالحلف.

﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهدٌ، وهم قيل^(١) قومُ هلالِ بنِ عويمِرِ الأسلميِّ، كان قد وادعه النبي ﷺ قبلَ خروجه إلى مكة ألا يُعينه ولا يُعينَ عليه، ومن وصل إلى هلالٍ من قومه وغيرهم فله من الجوارِ مثل ما لهلالٍ.

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ أي: يتصلون بقومِ جاؤوكم.

﴿حَصَرَتْ﴾ ضاقت.

﴿صُدُّوهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، وقالونٌ، وورشٌ، وهشامٌ: (حَصَرَتْ صُدُّوهُمْ) بإظهار التاء عند الصاد، والباقون: بالإدغام، وقرأ يعقوبٌ: (حَصِرَةٌ) بالفتح والتنوين؛ أي: ضَيِّقَةٌ صدورهم^(٢).

﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: ضاقت قلوبهم عن قتالكم وقاتل قومهم، وهم الذين عاهدوا النبي ﷺ. تلخيصه: إن لم يأتوا بالإسلام كما ينبغي، فاقتلوهم، واجتنبوهم، إلا المتَّصفين بهذه الصفاتِ، فاتركوهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ليحكمَ يعلمُها.

﴿فَلَقَنَلُوكُمْ﴾ مع قومهم، ولم يكفوا عنكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ ولم يتعرَّضوا لكم.

(١) «قيل» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٥١-١٥٢).

﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ الصلح والانقياد.

﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالقتل.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى
الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ
فَخُذُوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفَقَّطْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
مُبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ونزل في أُسْدٍ وَعَظْفَانٍ وَمَنْ جَرَى مجراهم حيثُ أظهروا الإيمانَ
وهم غيرُ مؤمنين ، فلما رجعوا إلى قومهم ، كفروا :

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ بقولهم لكم : آمناً .

﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بكفرهم عند عودهم إليهم .

﴿كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دُعُوا إِلَى الْكُفْرِ و^(١) إِلَى قِتَالِكُمْ .

﴿أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ عَادُوا إِلَى الشَّرِكِ .

﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ حَتَّى يَسِيرُوا إِلَى مَكَّةَ .

﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أَي : الصَّلَحَ .

﴿وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عَنْ قِتَالِكُمْ .

﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْلِبُوهُمْ حَيْثُ تَفَقَّطْتُمُوهُمْ﴾ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ .

﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ بِالْقَتْلِ .

(١) «و» ساقطة من «ت» .

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٩٢)

[٩٢] ونزل في عِيَّاشِ بْنِ أَبِي ربيعة أخي أبي جهلٍ من الأُمِّ لما لقي حارثَ بنَ زيدٍ في طريقٍ، وكان قد أسلم، ولم يشعر به عيَّاشٌ، فقتله :

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ﴾ (٢) أي : ما ينبغي لمؤمنٍ .

﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ استثناء منقطعٌ، معناه : لكن إن وقع خطأً، فتحريرُ رَقَبَةٍ، والخطأُ : ما لم يتعمد الإنسانُ .

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ﴾ أي : فالواجبُ على القاتلِ عتقُ .

﴿رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ كفارة باتفاق الأئمة إذا كان المقتول حُرًّا مسلمًا، فإن كان المقتول ذميًّا أو عبدًا، قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد : تجبُ الكفارةُ في قتله كوجوبها في حقِّ الحرِّ المسلم، وقال مالكٌ : لا تجبُ بقتلِ عبدٍ ولا كافرٍ، فإن كان القتلُ عمدًا، فقال الشافعي : تجبُ الكفارة، وقال الثلاثة : لا تجبُ، وإذا قتلَ الكافرُ مسلمًا خطأً، فقال الشافعي وأحمد :

(١) «أبي» ساقطة من «ن» .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» (٢١٥/٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/٥٧٥) .

تَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ: لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ.

﴿وَدِيَّةٌ﴾ هِيَ الْمَالُ الْمُؤَدَّى إِلَى مَجْنِيِّ عَلَيْهِ، أَوْ وَلِيِّهِ بِسَبَبِ جُنَايَةٍ^(١).
﴿مُسْلَمَةٌ﴾ مُؤَدَّاةٌ.

﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ إِلَى وَرَثَةِ الْقَتِيلِ بَدَلَ النَّفْسِ، وَالرَّقَبَةُ فِي مَالِ الْقَاتِلِ،
وَالدِّيَّةُ عَلَى عَاقِلَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَثَةٌ، فَلْيَبِيتِ الْمَالَ.
﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ يَعْفُوا وَيَتْرَكُوا الدِّيَّةَ.
﴿فَإِنْ كَانَ﴾ الْمَقْتُولُ.

﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أَي: حَرْبٍ لِلْمُسْلِمِينَ، لَا عَهْدَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ.
﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ مُحْكُومٌ بِإِسْلَامِهَا، وَإِنْ كَانَتْ
صَغِيرَةً، وَلَا دِيَّةَ فِيهِ بِالْإِتِّفَاقِ؛ إِذْ لَا وَرَاثَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَفَّارُ
مُحَارِبُونَ.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ الْمَقْتُولُ ذَمِيًّا، أَوْ مُعَاهِدًا.
﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ لِأَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الْمُسْلِمِ بِالْإِتِّفَاقِ.
﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أَي: لَمْ يَمْلِكِ الرَّقَبَةَ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِهَا.
﴿فَصِيَامٌ﴾ أَي: فَعَلِيهِ صِيَامٌ.

﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أَي: جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَوْبَةً لِّلْقَاتِلِ
الْخَطَا.

(١) فِي «ن»: «جُنَايَتِهِ».

(٢) «لَمْ» سَاقِطَةٌ مِنْ «ن».

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمن قتل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما أمر في شأنه .

واعلم أن القتل على ثلاثة أقسام :

عمدٌ محضٌ : وهو أن يقتله بما يغلب على الظنُّ موته به ؛ كالسيف ونحوه ، ففيه القصاصُ بشروطه ، أو الديةُ بالاتفاق .

وشبهُ عمدٍ : وهو أن يقصدَ الجناية بما لا يقتلُ غالباً ؛ كالحجر والعصا ونحوهما ، ففيه الديةُ دونَ القصاصِ عندَ الثلاثة ، ومالكٌ رحمه الله لا يرى شبهَ العمد ، ولا يقولُ به في شيء ، وإنما القتلُ عنده عمدٌ أو خطأً ، لا غيرُ ، فإذا أصابه بما لا يقتلُ غالباً ، فمات ، فعنده يجبُ فيه القصاصُ .

وخطأً : وهو أن يرمي شخصاً يظنه صيداً أو حريّاً ، فإذا هو مسلمٌ ، ففيه الديةُ ، ولا قصاصَ فيه بالاتفاق .

وأما قدرُ ديةِ الحرِّ المسلمِ ، فعند أبي حنيفة مئةٌ من الإبل ، فالمغلظةُ : وهي التي بسببِ العمدِ المحضِ وشبهِ العمدِ تجبُ أربعاً : خمساً وعشرين بنتَ مخاضٍ ، وهي التي طعنتُ في السنة الثانية ، وخمساً وعشرين بنتَ لبونٍ ، وهي التي طعنتُ في السنة الثالثة ، وخمساً وعشرين حقةً ، وهي التي طعنتُ في السنة الرابعة ، وخمساً وعشرين جذعةً ، وهي التي طعنتُ في السنة الخامسة ، والمخففةُ : وهي التي بسببِ قتلِ الخطأ تجبُ أخماساً : عشرين ابنَ مخاضٍ ، ومثلها بناتُ مخاضٍ ، وبناتُ لبونٍ ، وحقاقٌ ، وجذعٌ ، أو ألفُ دينار ، أو عشرةُ آلافِ درهمٍ ، كلُّ عشرةٍ وزنُ سبعةِ مثاقيل .

وديةُ العمدِ المحضِ في مالِ القاتلِ مؤجلةٌ في ثلاثِ سنينَ ، وديةُ شبهِ العمدِ والخطأ على العاقلةِ مؤجلةٌ كذلك .

وعند مالكٍ إن كان الجاني من أهل البادية ، فالدية مئةٌ من الإبل تجبُ

في العمدِ أرباعاً، وفي الخطأ أخماساً، كقول أبي حنيفة، إلا أنه جعل في الأخماس مكان ابن مخاض ابن لبون، والدية في التغليظ عنده تجب أثلاثاً: ثلاثين حقة، وثلاثين جذعة، وأربعين خلفه، وهي التي في بطونها أولادها غير محدودة أسنانها، والتغليظ عنده في قتل أحد الوالدين ولده على وجه تقارنه الشبهة، وإن كان من أهل الذهب، وهم أهل مصر والشام والمغرب، فهي ألف دينار، وإن كان من أهل الورق، وهم أهل العراق وفارس وخراسان، فهي اثنا عشر ألف درهم، ودية العمد على القاتل في ماله مؤجلة في ثلاث سنين كقول أبي حنيفة، وقيل: حالة، ودية الخطأ على العاقلة مؤجلة كذلك.

وعند الشافعي مئة بعير مثلثة في العمد وشبهه؛ كقول مالك في التغليظ، وفي الخطأ خمسة كقول مالك، فلو عُدَّتْ، فالقديم من مذهبه ألف دينار، أو اثنا عشر ألف درهم، والجديد قيمتها بنقد بلده، ودية العمد على الجاني معجلة، وشبه العمد والخطأ على العاقلة مؤجلة.

وعند أحمد مئة من الإبل، أو مئتا بقرة، أو ألفا شاة، أو ألف مثقال ذهباً، أو اثنا عشر ألف درهم فضة، فهذه الخمس أصول في الدية، إذا أحضر^(١) مَنْ عليه الدية شيئاً منها، لزم قبوله، وتجب الإبل في العمد وشبهه أرباعاً، وفي الخطأ أخماساً كقول أبي حنيفة، ويؤخذ في البقر النصف مُسَنَّتْ، وهي التي لها سنتان، والنصف أَتْبَعَةٌ، وهي التي لها سنة، وفي الغنم النصف ثنايا، وهي التي لها سنة، والنصف جذعة، وهي التي لها ستة أشهر، ولا تعتبر القيمة في شيء من ذلك بعد أن يكون سليماً من العيب، ودية العمد المحض في مال الجاني حالة، وشبه العمد والخطأ

(١) في «ن»: «حضر».

على عاقلته في ثلاث سنين، ودية المرأة نصف دية الرجل باتفاقهم.

واختلفوا في دية الذميّ والمجوسيّ، فقال أبو حنيفة: هي كدية المسلم سواء، وقال مالك وأحمد: دية الذميّ نصف دية المسلم، والمجوسيّ ثمان مئة درهم، وقال الشافعي: دية اليهوديّ والنصرانيّ ثلث دية مسلم، والمجوسيّ ثلثا عشر دية^(١) مسلم، وديات نسائهم نصف ديات رجالهم بالاتفاق.

ودية العبد والأمة قيمتهما بالغة ما بلغت عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: من قتل عبداً خطأ، فعليه قيمته، لا يُزاد على عشرة آلاف إلا عشرة، وفي الأمة خمسة آلاف إلا عشرة، وإن كان أقل من ذلك، فعليه قيمته، وخالفه أبو يوسف، فوافق الجماعة.

واختلفوا في العاقلة، فقال الثلاثة: هم العصبة قربوا أو بعدوا، ومنهم الأصول والفروع، وقال الشافعي: هم عصبته إلا الأصل والفرع، يقدم الأقرب فالأقرب.

ولا عقل على الصبيان والنساء بالاتفاق.

فإن فقد العاقل، عقل بيت المال عن المسلم، فإن فقد، فكل الدية على الجاني بالاتفاق.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٩٣).

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بنيته وفعله مع علمه بإيمانه.

(١) «دية»: زيادة من «ن».

﴿ فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ﴾ نزلت في مقيس بن صباية، وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار، ولم يظهر قاتله، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديتَه، فدفعوا إليه، ثم حمل على مسلم فقتله، ورجع إلى مكة مرتدّاً^(١).

﴿ وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ ﴾ طرده عن الرحمة.

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

واختلف في قبول توبة القاتل، فجماعة على أن لا تقبل توبته، والذي عليه الجمهور، وهو مذهب أهل السنة: أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، ولقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، ويحملون الآية على من قتل مؤمناً مستحلاً لقتله ولم يتب.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١٧/٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٣٧/٢)،

و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (٥٧٨/١)، و«الدر

المنثور» للسيوطي (٦٢٣/٢).

(٢) تقدم تخريجه.

[٩٤] ونزل في أسامة بن زيد لما وُجِّهَ في سرية، فسمع رجلاً يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله واستاق غنمه، ورجع إلى النبي ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ^(١) سافرتُم للجهاد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ تأملُوا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَتَبَيَّنُوا) في الحرفين؛ من الثبات والتأني، وقرأ الباقر: [بالياء والنون من التبيين، وهو التأمل^(٢)].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ وهو تحية الإسلام. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامر، وحمزة، وخلف: (السَّلَم) بغير ألف، وهو المفاداة، وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقرأ الباقر^(٣) بالأول^(٤)؛ أي: إذا رأيتُم أمارَةً ظاهرةً على إسلام شخص، فلا تقتلوه، ولا تقولوا:

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ إنما تفعلُ هذا تقيَّةً لحفظِ مالكِ ونفسيك. قرأ أبو جعفر بخلافٍ عنه (مُؤْمِنًا) بإسكانِ الواو بغير همز^(٥).

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٣١٥)، و«صحيح مسلم» (٣٠٢٥)، و«أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٩٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (٣٩٤-٣٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٤).

(٣) من قوله: «بالياء والنون» إلى قوله: «وقرأ الباقر» ساقط من «ت».

(٤) المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٥).

﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ منافعها .

﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي : غنائم .

﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ تكتُمون إيمانكم من المشركين .

﴿ فَمَنْ يَكُنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالهداية وإظهار الإسلام ، ورُوي أنه ﷺ

قال : « أَقْتَلْتُمُوهُ إِِرَادَةً مَّا مَعَهُ؟ » ، ووجدَ عليه ، فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله ، فقال : « فكيف بلا إله إلا الله؟ » مراراً ، قال أسامة : فوددتُ أني لم أكن أسلمتُ إلا يومئذ^(١) . قرأ أبو عمرو : (كَذَلِكَ كُنْتُمْ) بإدغام الكاف في الكاف .

﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ أن تقتلوا مؤمناً خطأً ، كررها تأكيداً وزجراً عن الإقدام على القتل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ عالماً به ، فلا تقدموا على القتل ، واحتاطوا فيه .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

[٩٥] ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن الجهاد . نزلت في فضل

(١) رواه مسلم (٩٧) ، كتاب : الإيمان ، باب : تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

الجهاد والحث عليه، فلما سمع ابن أم مكتوم - وكان أعمى - النبي ﷺ يُمليها على زيد بن ثابت قال: «يا رسول الله! لو استطعت الجهاد لجاهدت» فنزل:

﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(١) أي: الممرض؛ من عمى وغيره. قرأ نافع وأبو جعفر، وابن عامر، والكسائي، وخلف (غير) بنصب الراء؛ أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الباقر: برفع الراء على نعت (القاعدون)^(٢)، يريد: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر.

﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير عذر.

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ للعذر.

﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة؛ لأن المجاهد مباشرٌ مع النية، والقاعد له نية، ولكن لم يباشِر، فنزلوا عنهم بدرجة.

﴿وَكَلَّا﴾ من الفريقين.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾ وهي الجنة.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ مطلقاً.

(١) رواه البخاري (٢٦٧٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ عن سهل بن سعد، ومسلم (١٨٩٨)، كتاب: الإمارة، باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، عن البراء.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/٥٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٥٥).

﴿ عَلَى الْفَاعِلِينَ ﴾ بعذرٍ وغيره .

﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي : أَجْرَهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا .

﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ ﴾ نصبٌ بدلٌ من ﴿ أَجْرًا ﴾ .

﴿ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۖ ﴾ عطفٌ على درجات .

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « يَا أَبَا سَعِيدٍ ! مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » فعجب بها أبو سعيد ، قال : أَعِدُّهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ففعل ، قال رسول الله ﷺ : « وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » فقال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »^(١) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ ﴿٩٦﴾ لما^(٢) عساه يفرط منهم .

﴿ رَّحِيمًا ﴾ بما وعد لهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِسِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

(١) رواه مسلم (١٨٨٤) ، كتاب : الإمارة ، باب : بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في

الجنة من الدرجات .

(٢) في «ن» : «لن» .

مُسْتَضَعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ .

[٩٧] ونزل في أناسٍ من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
واجبةً، فلما خرج المشركون إلى بدرٍ، خرجوا معهم، فقتلوا مع الكفار:
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: ملك الموت وأعوانه.

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بترك الهجرة وموافقة الكفرة. قرأ أبو عمرو:
(الملائكة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بإدغام التاء في الظاء^(١)، وقرأ البزي: (إِنَّ الَّذِينَ
تَوَفَّاهُمْ) بتشديد التاء حالة الوصل^(٢).

﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكة توبيخاً لهم:

﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضَعِفِينَ﴾ عاجزين عن الهجرة.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة.

﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكة؛ تكذيباً^(٣) لهم.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ في الرزق.

﴿فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى قطر آخر.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٥٦/٢).

(٢) وهي قراءة البزي، كما في «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي
(١/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٦/٢).

(٣) في «ن»: «توبيخاً».

﴿ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ لتركهم الواجب .

﴿ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي : بسّ المصير إلى جهنم .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩٨) .

[٩٨] ثم استثنى أهل العذر منهم فقال : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ أي : هم عاجزون^(١) عن الهجرة ؛ لضعفهم وفقرهم ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ أي : لا يعرفون طريقاً إلى الخروج .

﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٩٩) .

[٩٩] ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ﴾ و(عسى) من الله واجب ؛ لأنه للإطماع .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كنتُ أنا وأُمِّي مَمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ^(٢) ؛ يعني : من المستضعفين ، وكان رسولُ الله يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة .

(١) في «ن» : «حاجزين» .

(٢) رواه البخاري (٤٣١١) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . ﴾ .

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [١٠٠].

[١٠٠] ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا ﴾ مُتَحَوَّلًا وَمُهَاجِرًا.

﴿ كَثِيرًا ﴾ المعنى: مكاناً يتحول به على رغم أنفهم، وأصل الرِّغْم: لصوق الأنف بالرِّغام ذُلاً، وهو التراب.

﴿ وَسَعَةً ﴾ في الرزق، فلما سمع جُندُعُ بْنُ ضَمْرَةَ هذه الآية، وكان شيخاً كبيراً، خرج من مكةَ محمولاً على سريره مهاجراً إلى المدينة، فمات في الطريق، فقال بعض المسلمين: لو وصل إلى المدينة، لكان أتم أجراً، وضحك المشركون، وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب، فنزل:

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ ^(١) قبل بلوغه مهاجره.

﴿ فَقَدْ وَقَعَ ﴾ أي: وجب.

﴿ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ بإيجابه على نفسه فضلاً منه سبحانه.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما كان منه في الشرك.

﴿ رَحِيمًا ﴾ حين قبل توبته؛ فعند الإمام أحمد والأكثر: لا يجب على الله شيء، لا عقلاً، ولا شرعاً، وقال جمع: يجب عليه شرعاً بفضلِهِ وكرمه، وحكي عن أهل السنة، وعند المعتزلة يجب عليه رعاية الأصلح.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٥١٥/١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦٥٣/٢).

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿١٠١﴾ .

[١٠١] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتُمْ .

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سفرًا يبيحُ القصرَ، وهو مسيرة ثلاثة أيامٍ بسيرِ الإبلِ ومشى الأقدام عند أبي حنيفة، ومسيرة يومين قاصدين، وهو ستة عشر فرسخاً أربعة بُرْدٍ عند الثلاثة .

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرجٌ ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين، وذلك في الظهر والعصر والعشاء، وهو عزيمة عند أبي حنيفة، وشدد فيه حتى قال: إذا صلى الظهر أربعاً، ولم يجلس بعد الركعتين، بطلَ ظُهره، وإن قعد^(١) في الثانية، أجزأته اثنتان عن الفرض، وركعتان عن النافلة، وقال الثلاثة: هو رخصة، واتفقوا على أن القصر أفضل من الإتمام، وعلى أن المغرب والصبح لا يقصران، واختلفوا في سفر المعصية هل يبيح الرخص الشرعية من القصر وغيره؟^(٢) فقال أبو حنيفة: يبيح، وقال الثلاثة: لا يبيح، وتقدم نظير ذلك في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: ١٧٣] .

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: يقتلكم وينالكم بما تكرهون .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فظاهر الآية: لا يجوزُ القصرُ إلا عند الخوف، وليس كذلك، بل الصحيح أن الخوف ليس بشرطٍ بالاتفاق؛ لأن النبي ﷺ سافر

(١) في «ن»: «قعدة» .

(٢) «من القصر وغيره» ساقطة من «ت» .

بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، فَكَانَ يَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَقَدْ سَأَلَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿فَقَدْ آمَنَ النَّاسُ،
فَقَالَ ﷺ: «صَدَقَ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا»^(١) عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»^(٢).
﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ
أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ
تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا﴾.

[١٠٢] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ: أَنَّ الْمَشْرِكِينَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَأَصْحَابَهُ قَامُوا إِلَى الظُّهْرِ يَصَلُّونَ جَمِيعًا، نَدَمُوا أَلَّا كَانُوا أَكْبَرُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعَوْهُمْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ بَعْدَهَا صَلَاةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَبْنَائِهِمْ، يَعْنِي: صَلَاةَ الْعَصْرِ، فَإِذَا قَامُوا إِلَيْهَا، فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ فَاقْتُلُوهُمْ،

(١) فِي «ن»: «تَصَدَّقَ بِهَا اللَّهُ».

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٨٦)، كِتَابُ: صَلَاةَ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا، بَابُ: صَلَاةَ الْمَسَافِرِينَ
وَقَصْرُهَا.

فنزَلَ جبريلُ عليه السلام فقالَ: يا محمدُ! إنها صلاةُ الخوفِ، وإن الله^(١) عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ فعَلَّمَهُ صلاةَ الخوفِ، وكان نزولُ الآيةِ بينَ الظهرِ والعصرِ^(٢).

قال الإمامُ أبو عبد الله أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه: صحَّ عن النبي ﷺ صلاةُ الخوفِ من خمسةِ أوجهٍ أو ستَةٍ، كلُّ ذلك جائزٌ لمن فعَلَهُ^(٣)، فمن ذلك:

إذا كان العدوُّ في جهةِ القبلةِ، صَفَّ الإمامُ المسلمينَ خلفَه صَفَّيْنِ، فصلَّى بهم جميعاً إلى أن يسجدَ، فيسجدُ معه الصفُّ الذي يليه، ويحرسُ الآخرُ حتى يقومَ الإمامُ إلى الثانيةِ، فيسجدُ ويلحقه، فإذا سجدَ في الثانيةِ، سجدَ معه الصفُّ الذي حرسَ أولاً^(٤)، وحرسَ الآخرُ حتى يجلسَ في التشهُدِ، فيسجدُ ويلحقه، فيتشهُدُ ويسلِّمُ بهم، وهذه صلاةُ رسولِ الله ﷺ بعسفانَ.

الوجه الثاني: إذا كان العدوُّ في غير جهةِ القبلةِ، جعلَ طائفةً حذاءَ العدوِّ، وطائفةً تصلِّي معه ركعةً، فإذا قاموا إلى الثانيةِ، ثبتَ قائماً، وأتمَّتْ لأنفسِها أخرى، وسلمتْ ومضتْ إلى العدوِّ، وجاءت الطائفةُ الأخرى

(١) في «ن»: «إن ربك».

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٨٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/٥٨٨).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٣٨/٢).

(٤) «أولاً»: زيادة من «ن».

فصلت معه الركعة الثانية، فإذا جلسَ للتشهد، أتمت لأنفسِها أخرى،
وتشهدت، وسلّم بهم.

فإن كانت الصلاة مغرباً صلى بالأولى ركعتين، وبالثانية ركعة، وإن
كانت رباعية غير مقصورة، صلى بكل طائفة ركعتين، وأتمت الأولى
بالحمد لله في كل ركعة، والأخرى تتم بالحمد لله وسورة، وتفارقه الأولى
عند فراغ التشهد، وينتظر الإمام الطائفة الثانية جالساً، يكرر التشهد، فإذا
أتمت، قام، وهذه صلاة رسول الله ﷺ بذات الرقاع، وهي عند الشافعي
أفضل من صلاته ببطن نخل على ما يأتي، وإلى هذا الوجه ذهب مالك.

الوجه الثالث: أن يصلي بطائفة ركعة، ثم تمضي إلى العدو، وتأتي
الأخرى فيصلّي بها ركعة، ويسلم وحده، وتمضي هي، ثم تأتي الأولى
فتتم صلاتها، ثم تأتي الأخرى فتتم صلاتها، وهذا الوجه مذهب
أبي حنيفة.

الوجه الرابع: أن يصلي بكل طائفة صلاة، ويسلم بها، وهذه صلاة
رسول الله ﷺ ببطن نخل.

الوجه الخامس: أن يصلي الرباعية المقصورة تامة، وتصلّي معه كل
طائفة ركعتين، ولا تقضي شيئاً، فتكون له تامة، ولهم مقصورة.

واتفقوا على أن صلاة الخوف في الحضر أربع ركعات غير مقصورة،
وفي السفر ركعتان إذا كانت رباعية، وغير الرباعية على عددها، لا يختلف
حكمها حضراً ولا سفرأ ولا خوفاً.

فإذا اشتد الخوف، صلّوا رجالاً وركباناً، إلى القبلة وغيرها يومئذ
بالركوع والسجود على قدر الطاقة، ويجعلون السجود أخفض من الركوع،

وبذلك قَالَ الأئمةُ الثلاثةُ، وقال أبو حنيفةَ: لا يصلي ماشياً ولا مُسافِراً إذا لم يمكن الوقوفُ، ووافقهم على جواز الصلاةِ راكباً، والإيماءِ إلى أيِّ جهةٍ قدرَ.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ يا محمدُ حاضراً في أصحابِكَ.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ تقدَّم مذهبُ ورشٍ في تغليظِ لامِ (الصَّلَاةِ).

﴿فَلَنَقُصَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ مصليَّةٌ، وطائفةٌ وِجاءَ العدوِّ.

﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: غيرُ المصلين.

﴿أَسْلِحَتْهُمْ﴾ وقيل: المرادُ: المصلُّونَ والآيَةُ تتناول الكلَّ، ولكنَّ

سلاحَ المصلِّين ما خفَّ مما لا يشغله عن الصلاةِ.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: المصلُّونَ معَكَ.

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ مكانَ الذين هم وِجاءَ العدوِّ.

﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ وهمُ الذين في وجهِ العدوِّ.

﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الآتون، وقيل: المصلُّونَ.

﴿حَذَرُهُمْ وَأَسْلَحَتْهُمْ﴾ جعلَ الحذرَ آلةً يتحصَّنُ بها الغازي مع الأسلحةِ.

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يتمنى الكفارُ.

﴿لَوْ تَفْقَلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾

فيقصدونكم، ويحملون عليكم حملةً واحدةً، ورخصَ لهم في تركِ السلاحِ للعدوِّ فقال:

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثمَ.

﴿ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا
أَسْلِحَتَكُمْ ﴾ لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين .

﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ كيلا يهجم عليكم العدو .

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ يهانون فيه .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ
فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾ .

[١٠٣] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾ فرغتم من صلاة الخوف .

﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾ بالتسبيح والتهليل .

﴿ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ أي : اذكروه في هذه الأحوال .

﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ ﴾ أي : أمتثم .

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أتموها بأركانها وشروطها .

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ واجبا مفروضا .

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۚ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٠٤﴾ .

[١٠٤] ولما رجع أبو سفيان وأصحابه يوم أحد بعث رسول الله ﷺ

طائفة في آثارهم، فَشَكُوا أَلَمَ الْجَرَاحَاتِ، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾^(١) تَضَعُفُوا فِي.

﴿ابْتَغَاءَ الْقُوَّةِ﴾ فِي طَلَبِ الْكُفَارِ.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ﴾ تَتَوَجَّعُونَ مِنَ الْجَرَاحِ.

﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾ أَي: ذَلِكَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ.

﴿وَرَجُّونَ مِنَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿حَكِيمًا﴾ فِيمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾.

[١٠٥] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بِالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بِمَا عَلَّمَكِ وَأَوْحَى إِلَيْكِ. نزلت هذه الآية في طُعْمَةَ بْنِ أَبِي رِيقٍ الْأَنْصَارِيِّ، سَرَقَ دَرْعًا مِنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، وَخَبَأَهَا عِنْدَ زَيْدِ السَّمِينِ الْيَهُودِيِّ، ثُمَّ حَلَفَ أَنَّهُ مَا سَرَقَ شَيْئًا، وَظَهَرَتِ الدَّرْعُ عِنْدَ الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: دَفَعَهَا إِلَيَّ طُعْمَةُ، فَهَمَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقْطَعَ يَدَ الْيَهُودِيِّ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦٣/٥)، و«تفسير البغوي» (١/٥٩٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦٧/٥)، و«المستدرک» للحاكم (٤/٤٢٧)، و«أسباب»

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ طعمة وكلّ خائن .

﴿خَصِيمًا﴾ مخاصمًا عنهم .

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٠٦﴾ .

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به من معاقبة اليهودي .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لمن يستغفره .

﴿وَلَا تُجَدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿١٠٧﴾ .

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَدِلْ﴾ تخاصم .

﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم طعمة وقومته .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ في الدرع .

﴿أَثِيمًا﴾ في رميه اليهودي ، والخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره .

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُكَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ﴿١٠٨﴾ .

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون حياء .

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وأصله : طلب الخفاء .

= التزول» للواحيدي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٥).

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لعلمه لا يخفى عليه سرهم .

﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ يُدَبِّرُونَ لِيلاً .

﴿مَا لَا يَرْضَى﴾ الله .

﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو حلف طعمة أنه ما سرق شيئاً، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ، فإنه يسمع^(١) قوله ويمينه؛ لأنه مسلم، ولا يسمع من اليهودي؛ لأنه كافر، فلم يرض الله تعالى منه .
﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ لا يفوت عنه شيء .

﴿هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ .

[١٠٩] ﴿هَتَأْتُمْ﴾ يا قوم طعمة مبتدأ، خبره :

﴿هَتُوءًا﴾ وتقدم في سورة آل عمران اختلاف القراء^(٢) في قوله تعالى :
﴿هَتَأْتُمْ هَتُوءًا﴾ .

﴿جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خاصمتم عن الخائنين .

﴿فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ﴾ إذا عذبوا .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ محامياً عنهم .

(١) في «ن»: «يستمع» .

(٢) «القراء» ساقطة من «ن» .

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١١٠).

[١١٠] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ﴾ يعني : السرقة .

﴿ أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ ﴾ بما يختصُّ به ولا يتعدَّاهُ بما دون الشُّركِ .

﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾ يتوبُ إليه .

﴿ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ فيه حثُّ لطمعة وقومه على التوبة والاستغفار .

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١١١).

[١١١] ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ فلا يتعدَّاهُ وبأله .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بفعله .

﴿ حَكِيمًا ﴾ في مجازاته .

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (١١٢).

[١١٢] ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً ﴾ هي سرقة الدرع .

﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾ ذنباً ، وهو يمينه الكاذبة .

﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ ﴾ أي : بالإثم .

﴿بَرِيئًا﴾ وهو نسبة السرقة لليهودي .

﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ أي : تحمل .

﴿هَتَّنَا﴾ أصله كلُّ ما يَهْتُ له الإنسان من ذنبٍ وغيره .

﴿وَإِثْمًا﴾ ذنباً .

﴿مُيِّنًا﴾ ظاهراً .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴿١١٢﴾﴾ .

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ يا محمد؛ بإعلام ما هم عليه

بالوحي .

﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني : قوم طعمة .

﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن الحق ، مع علمهم بالحال .

﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن وبال أفعالهم راجعٌ عليهم .

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأن الله يعصمك منهم .

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن .

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ القضاء بالوحي .

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب^(١).

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ إذا لا فضل أعظم من النبوة.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٩).

[١١٤] ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: تناجيهم فيما يديرونه بينهم. قرأ حمزة: (لا خير) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع. ﴿إِلَّا﴾ أي: إلا نجوى.

﴿مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: حث عليها إن لم يكن له مال.

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وهو كل ما يستحسنه الشرع، ولا ينكره العقل، وجميع أعمال البر معروف.

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ؟»، قيل: بلى، قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِفَةُ»^(٢) الَّتِي تَخْلُقُ الدِّينَ لَا الشَّعْرَ.

(١) في «ن»: «بالغيب».

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٩)، كتاب: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين، والترمذي (٢٥٠٩)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٥٦)، وقال: صحيح، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور.

﴿أَبْتَعًا﴾ أي: طلب.

﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: رضاه. قرأ الكسائي (مَرْضَاتِ) بالإمالة، ووقف عليها بالهاء حيث وقع^(١).

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قرأ أبو عمرو، وحمزة (يُؤْتِيهِ) بالياء؛ يعني: يؤتيه الله، وقرأ الباقون: (نُؤْتِيهِ) بالنون^(٢).

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١١٥).

[١١٥] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ أي: يخالف^(٣).

﴿الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ من بعد وضوح الدليل.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ﴾ أي: طريق.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو الإسلام.

﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نكّلُهُ إلى ما اختارَ من الكفر في الدنيا. قرأ أبو عمرو، وأبو بكر، وحمزة: (نُوَلِّهِ) و(نُصْلِهِ) بسكون الهاء، واختلف عن

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦١/٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (٣٩٧/١)، و«تفسير البغوي» (٥٩٨/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦١/٢).

(٣) «أي: يخالف» ساقطة من «ن».

أبي جعفر، وقرأ^(١) قالون، ويعقوب: بكسر الهاء من غير صلتها، واختلِفَ عن هشام وأبي جعفر، والباقون: بصلتها بخلاف عن هشام^(٢).

﴿وَنُصِّلَهُ جَهَنَّمَ﴾ في العُقْبَى.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ نزلت في طعمة، وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة، خاف من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتدَّ، ونقب حائطاً بها ليسرق أهلها، فسقط الحائط عليه فقتله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١١٦).

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ بعدت غايته عن كل خير، فلا يرجى له الفلاح.

عن ابن عباس: «أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي شَيْخٍ مِنَ الْأَحْزَابِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي شَيْخٌ مِنْهُمْ فِي الذُّنُوبِ، إِلَّا أَنِّي لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْذُ عَرَفْتُهُ وَأَمَنْتُ بِهِ، وَلَمْ أَتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، وَلَمْ أَوَاقِعِ الْمَعَاصِيَ جَرَأَةً عَلَى اللَّهِ، وَمَا تَوَهَّمْتُ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَنِّي أُعْجِزُ اللَّهَ هَرَبًا،

(١) «وَقَرَأَ» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٢).

وإني لنادمٌ تائبٌ مستغفرٌ، فما حالي، فأنزلَ الله الآية^(١).

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [١١٧].

[١١٧] ونزلَ في أهلِ مكة.

﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ أي: ما يعبدون.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله.

﴿إِلَّا إِنْتًا﴾ يعني: الأوثان، وكانوا يسمُّونها باسمِ الإناث، كمناة واللات والعزى.

﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعة، وهو إبليس.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [١١٨].

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدَه اللهُ من رحمته.

﴿وَقَالَ﴾ إبليس.

﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ أي: حظاً معلوماً؛ أي: طائفةً أنهم يطيعوني.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٥٩٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلي (٣٦٠/١).

﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا مُبِينَهُمْ وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلْيُبَيِّنْ لَهُ أَذَاتَ الْأَنْعَامِ
وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ رُبَّ خَلْقٍ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿١١٩﴾.

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ﴾ عن الحق.

﴿وَلَا مُبِينَهُمْ﴾ ألقى في أمانيتهم ركوب الأهواء.

﴿وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلْيُبَيِّنْ لَهُ﴾ يقطعن.

﴿ءَاذَاتِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: البحائر؛ لأنهم كانوا يشقون آذن الناقة إذا
ولدت خمسة أبطن، وجاء الخامس ذكراً، ويحرمون الانتفاع بها.

﴿وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ رُبَّ﴾ لِيبدلن.

﴿خَلَقَ اللَّهُ﴾ بالخصاء ونتف اللحية والوشم ونحوها.

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ أي: رباً.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يطيعه.

﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ أي: نقص نفسه، وعيها؛ بأن أعطى
الشيطان حق الله تعالى فيه، وتركه من أجله.

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢٠﴾.

[١٢٠] ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ ما لا ينجز، وهو طول العمر.

﴿وَيُمْنِيهِمْ﴾ ما لا ينالون من الدنيا.

﴿وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

﴿أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَحِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ ﴿١٢١﴾ .

[١٢١] ﴿أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَحِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ مَفْرَأً .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿١٢٢﴾ .

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾

أي: من تحت غرفها ومساكنها .

﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ﴾ نصبٌ مصدرٌ مؤكَّدٌ .

﴿حَقًّا﴾ حالٌ من (وعد الله) .

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً .

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ .

[١٢٣] ولما افتخر اليهود والنصارى، وقالوا للمسلمين: نبينا قبل

نبينا، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، فقال المسلمون: نبينا

خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمنا بكتابكم، ولم تؤمنوا

بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم، فنزل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ ^(١) أيها المسلمون .

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/٢٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٠)، =

﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ والأمانِي: هي ما يَشَهَّاهُ المرءُ وَيُطْمِعُ نفسه فيه؛ أي: ثوابُ الله لا يُنال بالأمانِي، وإنما الأمرُ بالعمل الصالح. قرأ أبو جعفر: (بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ) بسكون الياء من غير تشديد^(١).

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ مبتدأ، وهو شرطُ جوابه:

﴿يُجْزِيهِ﴾ عاجلاً أو آجلاً.

وهذه الآية عامة في حقِّ كلِّ عاملٍ، فأما مجازاةُ الكافرِ، فالنارُ، وأما المؤمنُ، فنكباتُ الدنيا، قال أبو بكر رضي الله عنه: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ﴾ قلتُ: يا رسولَ الله! ما أشدَّ هذه الآية! فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! أَمَا تَحْزَنُ، أَمَا تَمْرُضُ، أَمَا تَصِيْبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فَهَذَا بِذَلِكَ»^(٢).

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يواليه.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصره في دفع العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: ما تَزَرَّعَ تَحْصُدُ.

= و«تفسير البغوي» (١/٦٠١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٦٩٤).

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢١٧-٢٥٢)، و«تحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٩٤)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٢/١٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٨)، وابن

حبان في «صحيحه» (٢٩١٠)، والحاكم في «المستدرک» (٤٤٥٠).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ﴿١٢٤﴾ .

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعضها وشيئاً منها، فإن كلَّ أحدٍ لا يتمكّن من كلّها، وليس مكلفاً بها.

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وأبو بكر، وروح: (يَدْخُلُونَ) بضمّ الياء وفتح الخاء، وقرأ الباقر: بفتح الياء وضمّ الخاء^(١).

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص شيءٌ من ثوابهم.

﴿نَقِيرًا﴾ هو النقطة التي تكون على ظهر النواة، ومنها تنبت النخلة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ .

[١٢٥] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ أي: أحكم.

﴿دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص عمله لله.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد.

﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دينه.

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ من ﴿وَاتَّبَعَ﴾.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/٦٠٣)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٢/١٦٦).

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ هشام: (أبراهام) بالألف في الحرفين^(١).

﴿خَلِيلًا﴾ والخليل: الذي ليس في محبته خلل، والخلة: الصداقة؛ لأن الله أحبه واصطفاه، قال ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَبَا بَكْرٍ أَخِي، وَصَاحِبِي، وَلَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»^(٢).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾^(١٢٦).

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً ومُلْكاً، يختار منها من يشاء وما يشاء.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ إحاطة علم وقدره.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾^(١٢٧).

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يستخبرونك.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١، ٢٥٢)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٦).

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر

الصدّيق - رضي الله عنه -، عن ابن مسعود - رضي الله عنه -.

﴿ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ قرأ يعقوبُ: (فِيهِنَّ) بضمّ الهاء .

﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: ويُفتيكم فيما يُتلى عليكم .

﴿ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ ﴾ أي: تعطوهنَّ .

﴿ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ من الصَّدَاقِ والميراثِ .

﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ أي: عن أن تنكحوهنَّ؛ فإن أولياءَ اليتامى كانوا يرغبون فيهنَّ إن كُنَّ جميلاتٍ، ويأكلون مالهنَّ، وإن كانت مرغوبةً عنها في قلةِ المالِ والجمالِ، تركها، وفي رواية: «هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجَرِ الرَّجُلِ قَدْ شَرَكْتُهُ فِي مَالِهِ، فَيَرْغَبُ عَنْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِذِمَامَتِهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوَّجَهَا غَيْرَهُ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، فَيَحْبِسُهَا حَتَّى تَمُوتَ، فَيَرِثُهَا»، فنهاهم الله عن ذلك^(١) .

﴿ وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ ﴾ أي: ويفتيكم في المستضعفين .

﴿ مِنْ أَوْلَادِنَ ﴾ أن تعطوهم حقَّهم، وكانوا لا يُورَثون إلا الرجالَ دون النساءِ والأطفالِ .

﴿ وَأَنْ تَقُومُوا ﴾ أي: ويُفتيكم أن تقوموا .

﴿ لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدلِ في إيتائهنَّ مهورهنَّ .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ يجازيكم عليه .

(١) رواه البخاري (٤٨٣٨)، كتاب: النكاح، باب: إذا كان الولي هو الخاطب، ومسلم (٣٠١٨)، في أول كتاب: التفسير، عن عائشة - رضي الله عنها - .

﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٢٨﴾.

[١٢٨] ونزل في أمر المرأة التي تكون ذات سنٍّ وذمامة، أو نحو ذلك مما يرغب زوجها، عنها فيذهب الزوج إلى طلاقها، أو ^(١) إلى إثارة شائبة عليها، ونحو هذا مما يقصد به صلاح نفسه، ولا يضرها هي ضراراً يلزمه إياها، بل يعرض عليها الفُرقة، أو الصبر على الأثرة، فتريدُ هي بقاء العصمة، فهذه التي أباح الله تعالى بينهما الصلح، ورفع الجناح فيه؛ إذ الجناح في كلِّ صلح يكون عن ضررٍ من الزوج يفعلُه حتى تصالحه، وأباح الله الصلح مع الخوف وظهور علامات النشور والإعراض، وهو مع وقوعها مباحٌ أيضاً، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ﴾ ^(٢) توقَّعت.

﴿مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا﴾ بُغْضًا.

﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بوجهه وقلة نفقته والتفاتِه إليها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾. قرأ حمزة، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: (يُصْلِحَا) بضم الياء وكسر اللام مخففاً من أصلح، وقرأ الباقر: بفتح الياء وتشديد الصاد مع فتحها، وبعد الصاد ألفٌ بعدها لامٌ مفتوحة ^(٣).

(١) في «ن»: «و».

(٢) رواه البخاري (٢٣١٨)، كتاب: المظالم، باب: إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه، ومسلم (٣٠٢١)، في أول كتاب: التفسير، عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٠٦).

﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ مصدر^(١)، واصطلاحهما: أن يتوافقا على ما تطيبُ بها أنفسهما؛ بأن يترك أحدهما شيئاً مما يستحقُّه على صاحبه؛ طلباً لصحبته.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز.

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ المعنى: إن النفوس قد جُبِلت على الشُّحِّ، فهي حاضرتها لا تفارقه أبداً؛ لأن كلَّ واحدٍ من الزوجين يُغَلِّبُ ما فيه راحته، والشُّحُّ: الإفراط في البخل.

﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا الْعَشْرَةَ.

﴿وَتَتَّقُوا﴾ الفرقة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسانِ بالخصومة.

﴿حَيْرًا﴾ عليمًا به، والصلحُ: هو التوفيقُ والسَّلَمُ، فيكون بين مسلمين وأهل حرب، وبين أهلِ بغيٍ وعدلٍ، وبين زوجين إذا خيفَ الشقاقُ بينهما، أو خافتِ امرأةٌ إعراضَ زوجها عنها، وبين متخاصمين في غير مالٍ، وفي مال عبارةٌ عن معاهدةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى موافقةٍ بين مختلفين، وهو عقدٌ يرفعُ النزاعَ، وأصله من الصَّلَاحِ، وهو ضدُّ الفسادِ، ومعناه دالٌّ على حسنه الذاتيِّ؛ بدليل ما نطق به الكتابُ العزيزُ.

واختلف الأئمةُ في حكمه بين متخاصمين في مالٍ، فعند أبي حنيفةٍ وأحمدَ يصحُّ مع الإقرارِ والإنكارِ والسكوتِ، وعند مالكٍ يصحُّ مع الإنكارِ والسكوتِ، ويجوز على الافتداءِ من اليمينِ بمالٍ، وعند الشافعيِّ يصحُّ مع الإقرارِ فقط.

(١) في «ن»: «مصدراً».

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٢٩).

[١٢٩] ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ في القسم والنفقة وميل القلب.

﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ على العدل، والحرص: شدة الإرادة.

﴿ فَلَا تَمِيلُوا ﴾ إلى التي تحبونها.

﴿ كُلَّ الْمِيلِ ﴾ في القسمة والنفقة باتِّباع أهوائكم.

﴿ فَتَدْرُوهَا ﴾ أي: فتدعوا الأخرى.

﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ التي ليست أيمًا، ولا ذات بعل، كان ﷺ يقسم بين نسائه ويقول: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» (١) يعني: حبه عائشة رضي الله عنها، وقال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةٌ مَائِلٌ» (٢).

(١) رواه أبو داود (٢١٣٤)، كتاب: النكاح، باب: في القسم بين النساء، والنسائي (٣٨٤٣)، كتاب: عشرة النساء، باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، والترمذي (١١٤٠)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وابن ماجه (١٩٧١)، كتاب: النكاح، باب: القسمة بين النساء، عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٣)، كتاب: النكاح، باب: في القسم بين النساء، والترمذي (١١٤١)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ ما مضى من الميل عنها .

﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يغفر لكم ما مضى من مئلكم .

﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (١٣٠) .

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا﴾ أي : الزوجان .

﴿يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ أي : كل واحد منهما .

﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ رزقه ؛ بأن تزوج غيره ، ويتزوج غيرها .

﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ أي : واسع الفضل .

﴿حَكِيمًا﴾ في القول والفعل .

ويجب على الرجل التسوية في القسم والنفقة ، ويعصي بتركه ، وعليه القضاء للمظلومة ، ولا يلزم التسوية في الجماع ، بالاتفاق ؛ لأنه يدور على النشاط ، وليس ذلك إليه ، وإذا كان في نكاحه حرة وأمة ، قسم للحره ليلتين ، وللأمة ليلة عند الثلاثة ، وقال مالك في المشهور عنه : القسم بينهما سواء ، وإذا تزوج بكراً وله نساء سواها ، أقام عندها سبعا ، ثم دار ، وإن كانت ثيباً ، أقام ثلاثاً ، وبه قال الأئمة الثلاثة ، وقال أبو حنيفة : لا يفضل الجديدة في القسم ، بل يسوي بينها وبين من عنده .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ .

[١٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ تنبيهٌ على كمالِ سَعته وقدرته .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني : التوراة والإنجيل وسائر الكتب المتقدمة في كتبهم .

﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ يا أهل القرآن في كتابكم .

﴿ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أطيعوه .

﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ﴾ بما وُصِّيتُمْ به .

﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ من الملائكة وغيرهم ، فهم أطوعُ منكم .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا ﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿ حَمِيدًا ﴾ محموداً على نِعَمِهِ .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

[١٣٢] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مُجيراً ، فلا تتوكلوا على غيره .

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ ﴿١٣٣﴾ .

[١٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: يُعْدِمُكُمْ، تهديدٌ للكفار.

﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ يوجد غيركم أطوع له منكم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ على الإعدام والإيجاد.

﴿قَدِيرًا﴾ لا يُعْجِزُهُ مُرَادٌ.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿١٣٤﴾ .

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ حُطَامُهَا.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، آتَاهُ اللَّهُ مَا أَرَادَ، وليس له في الآخرة من ثواب، ومن أَرَادَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، آتَاهُ اللَّهُ مَا أَحَبَّ مِنَ الدُّنْيَا، وجزاؤه الجنة في الآخرة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ عالماً بالأغراض، فيجازي كلًّا بحسب قصده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا

تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ .

[١٣٥] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة

العدل .

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ تُقيمون شهادتكم بالحق لوجه الله .

﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة .

﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بأن تقرُّوا عليها .

﴿أَوْ أَوْلَادِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ ولو على والديكم وأقاربكم .

﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود له أو عليه .

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فأقيموها ، ولا تحابُّوا غنياً لغناه ، ولا ترحموا فقيراً

لفقره . اتفق القراء سوى أبي جعفر على إظهار النون عند الغين والخاء نحو

(مِنْ غِلٍّ) و(مِنْ خَيْرٍ) وشبهه ، وقرأ أبو جعفر : بإخفاء النون عندهما ،

واستثنى بعض أهل الأداء عنه : (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا) (وَالْمُنْخِصَّةُ) في المائدة ،

(فَسَيَنْغُضُونَ) في الإسراء ، فأظهر النون عنه في هذه الثلاثة ، وروي عنه

الإخفاء فيها أيضاً ، والاستثناء أظهر ، وعدمه أقيس .

﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم ، فكلُّوا أمرهما إليه .

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ﴾ إرادة .

﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ عن الحق من العدول .

﴿وَإِنْ تَلَوُّوا﴾ تحرّفوا الشهادة . قرأ ابنُ عامرٍ ، وحمزة : (تَلَوُّوا) بضم

اللام وواو ساكنة ؛ من الولاية ؛ أي : تَلَوُّوا أمر الناس ، وقرأ الباقر : بإسكان

اللام، وبعدها واوان، أولاهما مضمومة، والأخرى ساكنة، من لوى
يلوي: حَرَفَ^(١).

﴿ أَوْ تُعْرَضُوا ﴾ عن أدائها فتكتموها.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيجازيكم به.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى
رَسُولِهِ ءَالِكُتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾.

[١٣٦] ثم خاطب مؤمني أهل الكتاب فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
بموسى وعيسى عليهما السلام.

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد ﷺ.

﴿ ءَالِكُتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ القرآن.

﴿ ءَالِكُتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ المراد جنس الكتب المنزلة؛ أي:
اثبتوا على الإيمان بذلك. قرأ ابن كثير، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرو (نُزِّلَ)
(وَأُنزِلَ) بضم النون في الحرف الأول، وضم الهمزة في الثاني، وكسر
الزاي فيهما، وقرأ الباكون: بفتح النون والهمزة والزاي فيهما؛ أي:
أَنزَلَ اللهُ^(٢)، ثم قال متهدداً:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)،

و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٠-٦١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، =

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك.

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الهداية. قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وخلف (فَقَدْ ضَلَّ) وشبهه بإدغام الدال في الضاد، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾.

[١٣٧] ثم تهدد المتلعبين بالدين فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بموسى عليه السلام، وهم اليهود.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل.

﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بالتوراة.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بيسى عليه السلام.

﴿ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ.

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلك.

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

= و«تفسير البغوي» (١/٦١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٠).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٧١).

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [١٣٨].

[١٣٨] ﴿ بَشِّرِ ﴾ أي : أخبر يا محمد.

﴿ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ والبشارة : كلُّ خبرٍ تتغيرُ به بشرةُ الوجه ، ساراً كان أو غير سارٍ .

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتَ عَنْدهُمْ
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [١٣٩].

[١٣٩] ثم وصف المنافقين فقال :

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي : اليهود والنصارى .

﴿ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : يتخذونهم أنصاراً وبطانةً .

﴿ أَيْبَنُغُوتَ عَنْدهُمْ الْعِزَّةَ ﴾ يطلبون منهم المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه .

﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ ﴾ أي : القوة والغلبة والقدرة .

﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لا يتعزَّز إلا من أعزَّه .

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [١٤٠].

[١٤٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ ﴾ قرأ عاصمٌ ، ويعقوبُ : بفتح النون والزاي ؛ أي :

نَزَلَ اللَّهُ، وقرأَ الباقر: بضمَّ النونِ وكسرِ الزاي^(١)، والكسائيُّ يُميل الزاي من (العِزَّة) حيثُ وقفَ على هاءِ التانيث.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشرَ المسلمين.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن.

﴿أَنْ﴾ أي: أنه.

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: إذا سمعتم الكفر والاستهزاء بآيات الله.

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي: مع الكافرين والمستهزئين.

﴿حَتَّى يَخُوضُوا﴾ يشرعوا.

﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: اجتنبوا حين استهزائهم بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿إِنْكُمْ إِذَا﴾ أي: إذا قعدتم عندهم، وسمعتم استهزاءهم، ورضيتم به، فأنتم كفار.

﴿مِنْهُمْ﴾ لأن الرضا بالكفر كفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ تهديد للخائضين والمستمعين الراضين بجمعهم في جهنم.

﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بَكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/٦١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧١).

فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ .

[١٤١] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ﴾ يعني : المنافقون ينتظرون هلاككم، ولمن تكون العاقبة، لكم أم لعدوكم .

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفرٌ وغنيمةٌ .

﴿مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الجهاد، فلنا نصيبٌ من الغنيمة .

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ دولةٌ وظهورٌ على المسلمين .

﴿قَالُوا﴾ يعني : المنافقين للكفار .

﴿أَلَمْ تَسْتَحِذُوا﴾ نستول .

﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونخبركم بعورة محمد وأصحابه، ونطلعكم على سرهم .

﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ندفع عنكم صولة المؤمنين، ونخذلهم عنكم .

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حجة شرعية

يستظherون بها .

فيه دليلٌ على أن الكافر لا يملك العبد المسلم . واختلف الأئمة، فقال أحمد والشافعي : لا يصح بيع عبد مسلم لكافر، إلا أن يكون ممن يعتق عليه، فيصح، وقال أبو حنيفة ومالك : يصح، ويُجبر على إزالة ملكه عنه، ولو أسلم عبد الكافر، أُجبر على إزالة ملكه عنه، بالاتفاق .

﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٤٢﴾ .

[١٤٢] ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ ﴾ يعاملونه معاملة المخادعين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر .

﴿ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ مُجازيهم جزاء خداعهم .
 ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ متثاقلين ، صلاتهم لغير الله . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (كُسَالَى) بالإمالة^(١) .
 ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ بفعليهم .
 ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا ﴾ ذكراً .
 ﴿ قَلِيلًا ﴾ قال ابن عباس : «لو أرادوا بذلك القليل وجه الله ، لكان كثيراً»^(٢) .

﴿ مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٤٣﴾ .

[١٤٣] ﴿ مُدْبِذِينَ ﴾ مضطربين .
 ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ بين الكفر والإيمان .
 ﴿ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ لا منسوبين إلى المؤمنين ، ولا إلى

(١) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ١٩٦) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٩٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٢) .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» (٥/ ٣٣٥) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٤) .

الكافرين، قال ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ مَرَّةً إِلَى هَذِهِ، وَمَرَّةً إِلَى هَذِهِ»^(١).

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحقِّ والصوابِ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^(١٤٤).

[١٤٤] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ

فإنه صنيعُ المنافقين.

﴿أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ فِي عَذَابِكُمْ.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١٤٥).

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ وهو أخفضُ مكانٍ.

﴿مِنَ النَّارِ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ (فِي الدَّرَكِ) بسكونِ الرَّاءِ، والباقون: بفتحها، وهما لغتان؛ كالتَّهَرُّ والنَّهَرِ^(٢).

﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منه.

(١) رواه مسلم (٢٧٨٤) في أول كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٥).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ .

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق .

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا من عملهم .

﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به .

﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ بقلوبهم .

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الجنة .

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الجنة . أثبت يعقوب الياء في (يُؤْتِي) حالة الوقف^(١) .

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿١٤٧﴾ .

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ﴾ أي : أي شيء يفعل .

﴿بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ الله .

﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به أيتشفى به غيظاً ، أو يدفع ضرراً ، أو يستجلب به نفعاً ، وهو الغني المتعالي عن النفع والضرر .

﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيباً .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ١٩٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٥/٢) .

﴿عَلِيمًا﴾ بِحَقِّ شُكْرِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ .

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [١٤٨] .

[١٤٨] ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ القبيح .
﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فيدعو على ظالمه، فيقول: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ خذْ لِي حَقِّي مِنْهُ .

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعائِكُمْ ﴿عَلِيمًا﴾ بأحوالِكُمْ .

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [١٤٩] .

[١٤٩] ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ حسنة .

﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ أي: الخير .

﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ أي: مَظْلَمَةٍ .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يُكَثِّرُ الْعَفْوَ عَنِ الْعُصَاةِ، مع قدرته على الانتقام منهم، فاستنوا به وبرسوله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥٠] .

[١٥٠] وَنَزَلَ إِخْبَارًا عَنِ الْيَهُودِ وَإِيمَانِهِمْ بِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ وَعُزَيْرٍ، وَكَفَرِهِمْ بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَيَكْفُرُوا بِرَسُولِهِ.

﴿وَيَقُولُوا نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ ﴿نُوْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَكْفُرُ بِبَعْضِهِمْ.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: الكفر والإيمان.

﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿١٥١﴾.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: هم الكاملون في الكفر.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ مؤكَّدٌ، فالكافرُ ببعض الأنبياء كالكافرِ بجميعِهِمْ.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: لجميع أصنافِهِمْ.

﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ مُذِلًّا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلَّهُمْ.

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ تلخيصه: من آمن بالله وجميع رسلِهِ.

﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾ بإيمانهم بالله ورسوله . قرأ حفص عن عاصم: (يؤتيهم)^(١) بالياء ، والباقون: بالنون^(٢) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ بتضعيف حسنتهم .

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُتَوِّسُونَ﴾

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ نزلت في اليهود لما قالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً، فأتنا بكتاب من السماء جملة^(٣)؛ أي: كما أوتي به موسى عليه السلام، وكان سؤالهم سؤال تهكم لا انقياد .

﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: أعظم من سؤالك .

﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً . قرأ ابن كثير، والسوسي، ويعقوب: (أرنا) بإسكان الراء، والباقون: بكسرها^(٤) .

(١) «يؤتيهم» ساقطة من «ن» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣١٧/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٦/٢) .

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/٦١٧) .

(٤) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعَقَةُ﴾ نَارٌ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَتْهُمْ.

﴿يُظْلِمِهِمُ﴾ أي: بسبب ظلمهم.

﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات.

﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم. تلخيصه: تاب أولئك فعفونا عنهم،

فتوبوا أنتم، فنعفو عنكم.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة ظاهرة، وهي الآيات التي جاء بها.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿١٥٤﴾.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل.

﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ أي: بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ منهم، وهو العمل

بما في التوراة.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ على لسان موسى عليه السلام.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ على لسان داود عليه السلام: ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي:

لا تعتدوا باصطياد الحيتان فيه. قرأ أبو جعفر (تعدُّوا) بجزم العين وتشديد

الدال، وورش: بفتح العين وتشديد الدال مضمومة، وقالون: باختلاس

فتحة العين مع تشديد الدال، والباقون: بإسكان العين والتخفيف^(١).

= (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، =

وتقدّم في البقرة رفعُ الجبل ودخولُ الباب والاعتداءُ في السبت،
وتفسيرُها^(١).

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك، وهو قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

[المائدة: ٧].

﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَيَّأْتِ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بَغَيْرِ حَقٍّ
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ أي: فبنقضهم.

﴿مِثَقَهُمْ﴾ و(ما) صلة؛ كقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران:

١٥٩] ونحوه.

﴿وَكُفِّرِهِمْ بَيَّأْتِ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تعي
كلامك يا محمد، فعلنا بهم ما فعلنا.

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾ أي: ختم.

﴿عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فجعلها محجوبةً عن العلم. قرأ هشام، والكسائي،
وخلاّد بخلاف عن الثالث: (بَلْ طَبَعَ) بإدغام اللام في الطاء، والباقون:
بالإظهار^(٢).

= «تفسير البغوي» (١/٦١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢/١٧٧-١٧٨).

(١) في «ن»: «في تفسيرها».

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي =

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم ؛ كعبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِهِ .

﴿ وَكَفَرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ .

[١٥٦] ﴿ وَكَفَرَهُمْ ﴾ بعيسى .

﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ حينَ رموها بالزنا . قرأ السوسيُّ عن أبي عمرو : (مَرْيَمَ بُهْتَنًا) بإسكان الميم عند الباء ، وتقدّم الكلامُ عليه في سورة البقرة .

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ .

[١٥٧] ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ سموه رسولَ الله استهزاءً به ، فأكذبهم الله تعالى في دَعْوَاهُمْ بقوله :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ وذلك أَنَّ الله تعالى ألقى شبهَ عيسى على الذي دلَّهم عليه ، وتقدّم الكلامُ على ذلك في سورة آل عمران .
﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ أي : في شأن عيسى .

﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ لأن طائفةً من اليهود قالوا : نحن قتلناه ، وطائفةٌ من

= (ص : ١٩٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٨) .

النصارى قالوا: نحن قتلناه، وقالت طائفةٌ منهم: ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء، بل رُفِعَ إلى السماء.

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكن يتبعون ظنهم.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ أي: عيسى قتلاً.

﴿ يَقِينًا ﴾ كما زعموه بقولهم: إنا قتلنا المسيح.

﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٥٨).

[١٥٨] ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ردٌّ وإنكارٌ لقتله، وإثباتٌ لرفعه.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ لا يُغْلَبُ على ما يريدُه.

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دَبَّرَ لعيسى، وتقدَّم في سورة آل عمران قصة الصليب

ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء.

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١٥٩).

[١٥٩] ﴿ وَإِنْ ﴾ أي: وما مِنْ أَحَدٍ.

﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ أي: بعيسى.

﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أي: موت المؤمن عند معاينة الموت حين لا ينفع نفساً

إيمانها، وقيل غير ذلك.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ ﴾ عيسى.

﴿ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴾ فيشهد على اليهود أنهم كذبوه وقذفوه وأمه، ويشهد
على النصراني بأنهم دَعَوْهُ ابنَ الله.

﴿ فَيُظْلَمُ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [١٦٠].

[١٦٠] ﴿ فَيُظْلَمُ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ وهو ما تقدّم ذكره من نقضهم
الميثاق، وكفرهم بآيات الله، وبهتانهم على مريم، وقولهم: إنا قتلنا
المسيح.

﴿ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ وهي ما ذكر في سورة الأنعام في قوله
تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ [الآية: ١٤٦]، المعنى:
بظلم صدر من اليهود حَرَمْنَا عليهم ذلك.

﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: عن دينه ﴿ كَثِيرًا ﴾ من الناس.

﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [١٦١].

[١٦١] ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ في التوراة.

﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ من الرِّشَا في الحكم، والمآكل يُصَيَّبُونَهَا من
عَوَامِهِمْ؛ أي: بمجموع هذه الأشياء حَرَمْنَا عليهم تلك الطيبات.
﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ دون مَنْ تاب وآمن.

﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُوْتِيْهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴾ .

[١٦٢] ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ ﴾ المتمكنون .

﴿ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه .

﴿ وَالْمُؤْمِنُوْنَ ﴾ من المهاجرين والأنصار ، وقيل : من أهل الكتاب .

﴿ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي : القرآن .

﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني : جميع الكتب المنزلة .

﴿ وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ ﴾ نصبٌ على المدح ، أو بإضمار فعلٍ تقديره : أعني

المقيمين الصلاة .

﴿ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ ﴾ رفعه عطفٌ على ﴿ الرَّاْسِخُوْنَ ﴾ ، وكذلك .

﴿ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ قدَّم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب

وما يصدقُه من اتباع الشرائع ؛ لأنه المقصودُ بالآية .

﴿ أُولَئِكَ ﴾ مبتدأ ، خبره :

﴿ سَنُوْتِيْهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴾ على جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل

الصالح . قرأ حمزة ، وخلف : (سَيُؤْتِيهِمْ) بالياء ، والباقون : بالنون^(١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٤٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٨) ،

و«تفسير البغوي» (١/٦٢٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٨٠) .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ ﴿١١٣﴾ .

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ الوحي: إلقاء المعنى في الخفاء^(١)، وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك هو المراد بقوله:

﴿ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء، وبدأ بنوح؛ لأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نبي بُعث إلى الكفار، وكان أطول الأنبياء عمراً، وجعلت معجزته في نفسه؛ فإنه عمر ألفاً وأربع مئة سنة، فلم تنقص له سن، ولم تشب له شعرة، ولم تنقص له قوة، وتقدم ذكره ووفاته في سورة آل عمران عند تفسير قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا ﴾ [الآية: ٣٣]، وصرف نوحاً مع العجمة والتعريف لخبثته.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشام: (أبراهام) بالالف^(٢).

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ وهم أولاد يعقوب، وتقدم ذكر هؤلاء الأنبياء في سورة البقرة.

﴿ وَعِيسَى ﴾ تقدم ذكره في البقرة وآل عمران.

(١) في «ن»: «خفاء».

(٢) كما تقدم عنه. انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١-٢٢٢ و٢٥٢)، و«تحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٠).

﴿وَأَيُّوبُ﴾ هو ابنُ موصٍ بنِ رازحِ بنِ العيصِ بنِ إسحاقِ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، وهو من أمةِ الرومِ، وكان نبياً في عهدِ يعقوبَ، وعاشَ ثلاثاً وتسعينَ سنةً، ويأتي ذكرُ قصتهِ في سورة الأنبياء، وفي سورة (ص) إن شاء الله تعالى.

﴿يُونُسُ﴾ هو ابنُ مَتَّى، ومَتَّى أبوه في قولِ الأكثرِ، قيل: إنه من بني إسرائيلَ من سبطِ بنيامينَ، بُعثَ إلى أهلِ نينوى قبالةَ الموصلِ، بينهما دجلةُ، وسيأتي ذكرُ قصتهِ في سورة الأنبياء إن شاء الله تعالى، وكانت وفاته في سنة خمسَ عشرةَ وثمانينَ مئةَ لوفاةِ موسى عليهما السلام، وقبره في قرية تسمَّى حلحول بينَ بيتِ المقدسِ وبلدةِ سيدنا الخليلِ عليه الصلاة والسلام.

﴿وَهَارُونَ﴾ هو ابنُ عمرانَ أخو موسى عليهما السلام، وكان أكبرَ من موسى بثلاثِ سنينَ، وتوفي قبلَ موسى بأحدَ عشرَ شهراً، ودُفِنَ في التيه بكهفٍ في بعضِ الجبالِ على سريرٍ وجدَّ به، وتقدَّمَ في سورة البقرة ذكرُ موسى ووفاته، فيُعلم من ذلك تاريخُ وفاةِ هارون.

﴿وَسُلَيْمَنَ﴾ تقدَّمَ ذكرُه ووفاته في سورة البقرة.

﴿وَأَاتَيْنَا دَاوُدَ﴾ هو ابنُ بشيِّ بنِ عوفيد بنِ بوعز بنِ سلْمُون بنِ نحشون بنِ عَمِينَا ذَاب بنِ رَم بنِ حَضْرُون بنِ بارص بنِ يَهُودَا بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقِ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، كان مقامه بحبرون، ثم انتقلَ إلى بيتِ المقدسِ، وأسسَ مسجده، وهو الأقصى، وماتَ قبلَ إتمامه، وله سبعونَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك، وملكَ أربعينَ سنةً، ودُفِنَ

بالكنيسة المعروفة بالجسمانية^(١) شرقي بيت المقدس بالوادي، ويقال: إن قبره بكنيسة صهيون ظاهر بيت المقدس من جهة القبلة، وهو مشهور عند الناس، وكانت وفاته في يوم السبت أواخر سنة خمس وثلاثين وخمس مئة لوفاة موسى عليه السلام.

﴿زُبُورًا﴾ قرأ حمزة، وخلف: بضم الزاي حيث وقع، جمع زَبْرٍ؛ كدَهْرٍ ودُهُورٍ، بمعنى: مزبور؛ أي: مكتوب، وقرأ الباقون: بالفتح اسم للكتاب المنزل عليه^(٢)، وهو مئة وخمسون سورة بالعبرانية في خمسين منها: ما يلقونه من بُخْتِ نَصْرٍ، وفي خمسين: ما يلقونه من الروم، وفي خمسين: مواعظ وحكم، ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا أحكام، وتقدم في سورة البقرة ذكر ما آتاه الله من الملك والحكمة وطيب الصوت والألحان في قراءة الزبور.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١٦٥).

[١٦٤] ﴿وَرُسُلًا﴾ منصوب بفعلٍ مُضْمَرٍ؛ أي: وأرسلنا رسلاً؛ لأن معنى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ أرسلنا نوحاً.

﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذه السورة، أو اليوم.

(١) في «ن»: «الجسمانية».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/٦٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨١).

﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي: لم نخبرك بأخبارهم، قيل: لما ذكر الأنبياء في الآية، ولم يذكر موسى، قالت اليهود: أكلّم الله موسى أم لا؟ فنزل:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ مصدرٌ معناه التأكيد، يدلُّ على بُطلان قول مَنْ يقول: خَلَقَ لنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلّم متكلماً، وكلامُ الله تعالى للنبيِّ موسى دون تكييفٍ ولا تحديد؛ فإنه سبحانه موجودٌ لا كالموجودات، معلومٌ لا كالمعلومات، فكذلك كلامه لا كالكلام.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٦٥].

[١٦٥] ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ نصبٌ على المدح، ثم علَّلَ الإرسال فقال:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ﴾ إرسال.

﴿الرُّسُلِ﴾ إليهم، فيقولوا: ما أرسلت إلينا، فكيف تعذبنا؟! وفيه دليلٌ على أن الله لا يعذبُ الخلقَ قبلَ بعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يغلب فيما يريد^(١).

﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَ من أمرِ النبوة، وخصَّ كلَّ نبيٍّ من الوحي

(١) في «ن»: «يريده».

والإعجاز، وتقدّم في سورة البقرة أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن بأسمائهم، والذين أُشير إليهم.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١٦٦).

[١٦٦] قال ابن عباس: إن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد! إنا سألنا عنك اليهود، وعن صفتك في كتابهم، فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود، فقال لهم: «وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ (١) من الوحي والقرآن إن جحدوك وكذبوك.

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أي: وهو عالمٌ بأنك أهلٌ لأنزاله عليك، وأنك تبْلُغُهُ.

﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً على صدقك.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ لو لم يشهد غيره.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣١/٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١١٢٠/٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/٦٢٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧٥٠/٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴾ [١٦٧].

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا ﴾ جمعوا بين الكفر والصدّ.
﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عن طريق الهدى بكنتم نعت محمد ﷺ.
﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ﴾ [١٦٨].

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالله.
﴿ وَظَلَمُوا ﴾ بكنتم نعت محمد ﷺ.
﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ من الطرق.

﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [١٦٩].

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ وهو دين الكفر؛ أي: لم يجعلهم
مسلمين، بل جعلهم كافرين، وهذا فيمن سبق حكمه تعالى فيهم أنهم
لا يؤمنون.

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لا يصعب عليه.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ
وإن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧٠).

[١٧٠] ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ ﴿محمد ﷺ﴾.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالشرع.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا﴾ الإيمان.

﴿خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو غنيٌّ عنكم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوالهم.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَ لهم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ
إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٧١).

[١٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الخطابُ لليهود والنصارى؛ [فإنهم جميعاً
غَلَوُوا في أمرِ عيسى، فقالت طائفةٌ من النصارى] (١)، وهم اليعقوبية
والملكائبة: عيسى هو الله، وقالت طائفةٌ، وهم النسطورية: عيسى
ابنُ الله، وقالت المرقسية: عيسى ثالثُ ثلاثةِ آلهة: عيسى ومريم والله،

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

عَلَّمَهُمْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ يَقَالُ لَهُ: بُولْسُ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: هُوَ وَلَدُ زَنَا، وَكَذَبُوا كُلَّهُمْ.

﴿لَا تَعْلَمُوا﴾ لَا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ.

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ بزيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تشركوا، وقوله: ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ معناه: فِي الدِّينِ الَّذِي أَنْتُمْ مَطْلُوبُونَ^(١) بِهِ، وَأَضَافَهُ إِلَيْهِمْ بَيَاناً أَنَّهُمْ مَأْخُذُونَ بِهِ، وَلَيْسَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى دِينِهِمُ الْمَضَلِّ، وَلَا أُمِرُوا بِالثَّبُوتِ عَلَيْهِ دُونَ غُلُوٍّ، وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِتَرْكِ الْغُلُوِّ فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَنْ يُوَحِّدُوا.

﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ أَي: تَذْكُرُوا.

﴿عَلَى اللَّهِ إِلَّا﴾ الْقَوْلَ.

﴿الْحَقُّ﴾ يَعْنِي: تَنْزِيهَهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ.

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ وَهِيَ قَوْلُهُ لِعِيسَى: كُنْ، فَكَانَ مِنْ غَيْرِ أَبِي.

﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أَوْصَلَهَا إِلَيْهَا، وَحَصَّلَهَا فِيهَا.

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سُمِّيَ عِيسَى رُوحاً؛ لِأَنَّهُ ذُو رُوحٍ وَجَسَدٍ كَغَيْرِهِ، وَأُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَشْرِيفاً لَهُ، الْمَعْنَى: لَا نَسَبَةَ وَلَا اتِّصَالَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِيسَى، وَلَيْسَ بِجَزْءٍ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ رَسُولُهُ؛ لِأَنَّ عِيسَى مَرْكَبٌ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّرْكِيبِ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ مَرْيَمَ، وَهُوَ جَزْءٌ مِنْهَا، خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي؛ لِأَنَّهُ مَرْكَبٌ مِثْلُهَا. تَلْخِيصُهُ: لَيْسَ عِيسَى إِلَّا بَعْضُ أُمِّهِ لَا غَيْرُ؛ لِأَنَّهُ (إِنَّمَا) لِلْحَصْرِ.

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا﴾ هُمْ.

(١) فِي «ن»: «تَطْلُبُونَ».

﴿ ثَلَاثُهُ ﴾ وكانت النصارى يقولون : أبّ وابنٌ وروحُ القدس .

﴿ أَنْتَهُوا ﴾ عن التثليثِ يكنِ الانتهاءُ .

﴿ خَيْرَ أَلَكُمُ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ بالذاتِ ، لا تعدّد فيه بوجهٍ .

﴿ سُبْحَنَهُ ﴾ أي : هو منزّهٌ عن :

﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ كما تزعمون أيّها النصارى .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ مُلْكاً وَخُلُقاً ، لا يماثلهُ شيءٌ من ذلك فيتخذهُ ولداً .

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ فإنه مستغنٍ عن الولدِ المحتاجِ إليه ليكون وكيلاً لأبيه ؛ لأنه سبحانه قائمٌ بحفظِ الأشياءِ ، غيرُ محتاجٍ إلى مَنْ يُعينهُ .

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [١٧٢] .

[١٧٢] ولما قال وفدُ نجرانٍ للنبيِّ ﷺ : إِنَّكَ تَسُبُّ عِيسَى ، تقولُ : إنه عبدُ الله ، فقال : «إِنَّهُ لَا يَأْنِفُ مِنْ ذَلِكَ» ، نزل :

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ ﴾ ^(١) أي : لن يأنفَ عزّةً .

﴿ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ فإن عبوديته شرفٌ يتباهى به .

﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ عطفٌ على المسيح ، وهم حملةُ العرشِ

لا يأنفون أن يكونوا عبيداً لله ، واستدلّ بهذه الآية من يقولُ بتفضيلِ الملائكةِ

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٠٣) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٧) .

على البشر؛ لأنه تعالى ذكرَ عيسى عليه السلام، ثم ارتقى إلى الملائكة، والارتقاء إنما يكونُ إلى الأعلى، فلا يقال: لا يستنكفُ زيدٌ من كذا، ولا عبده، إنما يقال: لا يستنكفُ من كذا، ولا مولاه، ومن لا يُفضِّلُهم يقول: لم يذكر الملائكة تفضيلاً لهم على البشر، بل ردّاً على الذين يقولون: الملائكةُ آلهةٌ، كما ردّ على النصارى قولهم: المسيح ابنُ الله، وتقدّم في سورة البقرة ذكرُ مذهبِ أهل السنّة في تفضيل الأنبياء على الملائكة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: ٣١]، ثم قال مُتَهَدِّداً:

﴿وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يترفع عنها، والاستكبار دون

الاستنكاف.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾ فيجازيهم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يُجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ [١٧٣].

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ؕ﴾ من الحسنات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يُجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ وعيدٌ للذين يدعون عبادة الله أنفةً وتكبراً.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (١٧٤).

[١٧٤] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ له حجة عليكم بالمعجزات، وهو محمد ﷺ.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ هو القرآن.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥).

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ امتنعوا به من زئغ الشيطان.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ يعني: الجنة ونعيمها.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى﴾ أي: إلى الفضل، وهذه هداية طريق الجنان.

﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ طريقاً واضحاً.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦).

[١٧٦] عن جابر قال: «عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل،

فتوضاً وصَبَّ عليَّ من وَضوئِهِ، فعقلتُ فقلتُ: يا رسولَ الله! لمن الميراثُ؟ إنما يرثني كَلالةٌ، فنزل:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ يستخبرونكَ فيسألونكَ.

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وتقدّم تفسير الكَلَالَةِ في أول السورة.

﴿إِنْ أَمْرُكَ هَلْكَ لَيْسَ لَكَ وَلَدٌ﴾ المراد بالولد: الابن.

﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ لأبوين، أو لأب.

﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ لأن الابن يُسْقِطُ الأختَ، والبنت لا تسقطها باتفاق الأئمة.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ابنٌ؛ لأن البنت لا تُسْقِطُ الأخ بالاتفاق، وإن كان^(١) ولدها أنثى، فلأخ ما فضل عن فرض البنات بالاتفاق^(٢).

﴿فَإِنْ كَانَتَا﴾ أي: الأختان.

﴿أُثْنَيْنِ﴾ فصاعدًا.

﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فَمَنْ مات وله أخوات، فلهنَّ الثلثان بالاتفاق.

﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة.

﴿إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ أي: ذكوراً وإناثاً.

﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ أصله: وإن كانوا إخوة وأخوات، فغلب المذكور^(٣).

(١) «كان» ساقطة من «ن».

(٢) «بالاتفاق» ساقطة من «ن».

(٣) «في «ن»: «الذكر».

﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي: أَلَّا تَضِلُّوا^(١).

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات.

رُوي أن آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾^(٢) ونزلت في طريق حجة الوداع في زمن الصيف، فسميت: آية الصيف، ورُوي أن رسول الله ﷺ عاش بعدها خمسين يوماً^(٣)، والله أعلم.

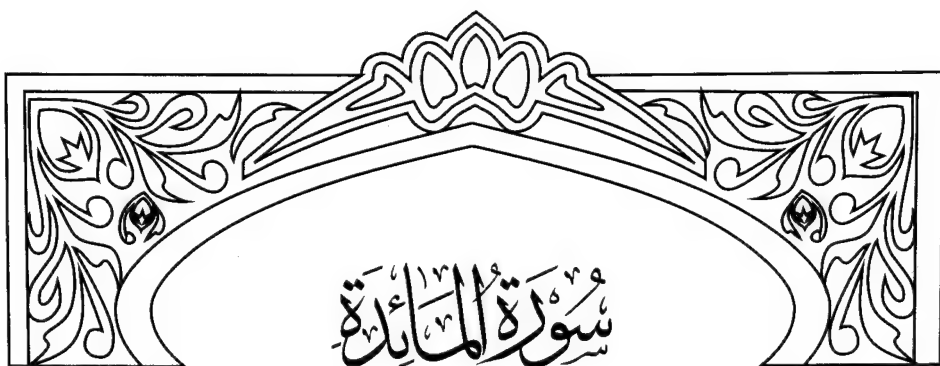
* * *

(١) في «ن»: «لا تضلوا».

(٢) رواه البخاري (١٩١)، كتاب: الوضوء، باب: صب النبي ﷺ وضوءه على

المغمى عليه، ومسلم (١٦١٦)، كتاب: الفرائض، باب: ميراث الكلاله.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٦٢٨/١).



مدينة، ورُوي أنها نزلت مُنصَرَفَ رسولِ الله ﷺ من الحُدَيْبِيَّةِ، وآيها مئةٌ وعشرون آيةً، وحروفها أحدَ عشر ألفاً وسبعُ مئةٍ وثلاثةٌ وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها ألفانِ وثمانِي مئةٍ وأربعُ كلمات. وعن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «سُورَةُ الْمَائِدَةِ تُدْعَى فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ: الْمُنْقَذَةُ؛ تَنْقُذُ صَاحِبَهَا مِنْ أَيْدِي مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(١).

[١] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أي: العهود المحكّمة، ويقال: وفى وأوفى بمعنى واحد، وهذا عامٌّ في كل واجبٍ من أمرٍ ونهيٍ وحفظٍ ودِيعَةٍ؛ أي: احفظوا شريعته^(٢)، ولفظُ المؤمنين يعمُّ مؤمني أهلِ الكتابِ بينهم وبين الله عقدٌ في أداءِ الأمانةِ فيما في كتبهم من أمرٍ

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٦/ ٣٠) دون عزو.

(٢) «أي: احفظوا شريعته» زيادة من «ظ».

محمد ﷺ، ثم خاطب كل من التزم الإيمان على وجهه وكماله، فقال:

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم، [وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام]^(١)، وسميت بهيمة؛ لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها، وعدم مميّزها^(٢) وعقلها، وقال ابن عباس، وعبد الله بن عمر: «بهيمة الأنعام الأجنة في البطن إذا ذُبَحَتْ أمهاتها»^(٣)، قال القرطبي^(٤): وفيه بُعد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ عَلَيْكُمْ﴾ وليس في الأجنة ما يُستثنى.

واختلف الأئمة في الجنين الذي يوجد في بطن أمه ميتاً إذا ذُكِّيت، هل تكون ذكاتها ذكاةً لجنينها، ويحلُّ أكله؟ فقال أبو حنيفة: لا يحلُّ أكله، وقال صاحبه: إذا تمَّ خلقه، حلَّ أكله، وقال مالك: إذا تمَّ خلقه، ونبت شعره، أُكِلَ، وإلا فلا، وقال الشافعي وأحمد: يحلُّ أكله، سواء نبت شعره أو لم ينبت، واستحب أحمد ذبحه، فإن خرج وفيه حياة مستقرّة، لم يُبح إلا بذبحه، بالاتفاق.

﴿إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ﴾ أي: يُقرأ.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيسَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] استثناءً من بهيمة الأنعام.

﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ ومعنى الآية: أُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ كُلُّهَا إِلَّا مَا كَانَ

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) في «ن»: «تمييزها».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٦/٣٤).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/٣٤).

وحشياً؛ فإنه صيدٌ لا يحلُّ لكم في حال الإحرام، فذلك قوله:
﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: ما كان صيداً، فهو حلالٌ في الإحلالِ دون الإحرام،
وما لم يكن صيداً، فهو حلالٌ في الحالين.
﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليلٍ وتحريمٍ، لا دافع لمراده.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا
الْقَلْبَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ
فَأَصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ
تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ جمعُ شعيرةٍ، وهي العلامةُ،
والمرادُ: مناسكُ الحجِّ، وكان المشركون يحجُّون ويُهْدون، فأرادَ
المسلمون أن يُغيروا عليهم، فنهاهمُ اللهُ عن ذلك.

واختلفَ العلماءُ في إشعارِ الهدي، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُسنُّ إشعاره
بشقِّ صفحةٍ سنامِه اليمنى، أو موضعه ممَّا لا سنامَ له من إبلٍ وبقرٍ حتى
يسيلَ الدَّم، وقال مالكٌ: في الجانبِ الأيسرِ من السنامِ في الإبلِ، وكذلك
في البقرِ إن كان لها أسنمةٌ، فإن لم تكن لها أسنمةٌ، لم تُشعر، ومنعَ من هذا
كلُّه أبو حنيفةً، وقال: إنه تعذيبٌ للحيوان.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ اسمٌ مفردٌ يدلُّ على الجنسِ في الأشهرِ الحرم،
وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرمُ، ورجبٌ؛ أي: لا تُحلُّوا القتالَ
فيها.

﴿وَلَا أَلْهَدَى﴾ بنحره قبل محله، وهو كل ما يهدي إلى الحرم من نعم وغيرها.

﴿وَلَا أَلْقَلَيْدَ﴾ أي: ذوات^(١) القلائد من الهدى، جمع قِلادة، وهي ما قُلِّد بالهدى من نعل^(٢) أو غيره؛ كأذان القرب والحبل ونحو ذلك؛ ليعلم به^(٣) أنه هدي، فلا يتعرَّض له.

واختلف الأئمة في تقليد الغنم، فقال الشافعي وأحمد: تُقَلَّد، ومنع الشافعي من تقليدها بالنعل، وأباحه أحمد، وقال أبو حنيفة ومالك: لا تُقَلَّد الغنم، واتفقوا على تقليد ما عدا الغنم بالنعل^(٤) وغيره.

﴿وَلَا آمَيْنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ أي: قاصديه.

﴿يَتَّغُونَ﴾ يطلبون.

﴿فَضَلًا﴾ رزقاً بالتجارة.

﴿مَنْ رَزَقَهُمْ وَرِضْوَانًا﴾ بزعمهم؛ لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان، فلا تتعرضوا إليهم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (ورضواناً) بضم الراء، والباقون: بالكسر^(٥)، وكل ما في هذه الآية من نهى عن مُشْرِكٍ، أو مراعاة حرمته^(٦) له بقِلادة، أو أم البيت الحرام ونحوه، فكله منسوخ بآية السيف بقوله:

(١) في «ت»: «ذات».

(٢) في «ن»: «فعل».

(٣) «به» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «بالفعل».

(٥) تقدمت عند تفسير الآية (١٥) من آل عمران.

(٦) «حرمة» ساقطة من «ن».

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من إحرامكم.

﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمرٌ بإباحة^(١)؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يَحْمِلَنَّكُمْ.

﴿شَتَّانَ قَوْمٌ﴾ بُغْضُهُمْ. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عنه: (شَنَانٌ) بإسكانِ النونِ الأولى، وهما لغتان، والفتحُ أجودٌ، وبه قرأ الباقون^(٢).

﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: بكسر الهمزة شرطاً، فيكون (صَدُّوكُمْ) مستقبلاً معنًى؛ لأنَّ الشرطَ حقُّه الاستقبالُ، والصدُّ كانَ عامَ الحديبية سنةً ستَّ، ونزلت الآية عامَ الفتحِ سنةً ثمانٍ من الهجرة، فتقديرُه: إن يقعَ منهم صدُّكم^(٣) فيما يُستقبل مثلما مضى منهم، فلا تعتدوا عليهم، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة^(٤)؛ أي: لأجل صدِّهم إياكم.

﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ واختارَ ابنُ عطية، وتبعه القرطبيُّ أن القراءةَ

(١) في «ت»: «بإباحة».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/٦٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٣-٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٩٠-١٩١).

(٣) في «ن»: «صد».

(٤) انظر: المصادر السابقة.

بافتح أمكن في المعنى ؛ لأن الآية نزلت بعد الصد^(١) .

﴿ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ عليهم بالقتل وأخذ الأموال .

﴿ وَتَعَاوَنُوا ﴾ أي : ليعين بعضكم بعضاً .

﴿ عَلَى الْبِرِّ ﴾ اتباع الأمر .

﴿ وَالنَّقْوَى ﴾ اجتناب النهي .

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ ﴾ الكفر .

﴿ وَالْعُدْوَنَ ﴾ الظلم .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ فانتقامه أشد . قرأ البزئي عن ابن كثير :

(وَلَا تَعَاوَنُوا) بتشديد التاء حالة الوصل^(٢) . ثم قال تعالى محرماً ما كانوا

يحلّونه وهو بيان قوله : ﴿ إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا
ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

(١) انظر : «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٥٠) ، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٦) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨٣) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ٢٠٠) ،

و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩١) .

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ وهي ما فارقه الرُّوحُ من غيرِ تذكِيَةٍ. قرأ أبو جعفر: (الْمَيْتَةُ) بالتشديد، والباقون: بالتخفيف، والكسائيُّ يُميلُ التاءَ حيثُ وقفَ على هاءِ التَّأْنِيثِ^(١).

﴿وَالَّذُفُّ﴾ أي: المسفوحُ، وكان أهلُ الجاهلية يصبونه في الأمعاء، ويشوونها.

﴿وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ما ذكر على ذبحه اسمُ غيرِ الله سبحانه؛ كقول: باسمِ اللَّاتِ والعُزَّى.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي تُخْنَقُ. ورُوي عن أبي جعفر: (وَالْمُنْخَنِقَةُ) بإخفاءِ النونِ عندِ الخاءِ، ورُوي عنه الإظهارُ كبقيةِ القراءِ، وهو أشهرُ^(٢)، وتقدّم ذكرُ مذهبه في ذلك مستوفًى في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولةُ بالخشبِ. قرأ الكسائيُّ: (وَالْمَوْقُوذَةُ) بإمالةِ الذالِ حيثُ وقفَ على هاءِ التَّأْنِيثِ^(٣).

﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾ الساقطةُ من علُوٍّ فتموتُ.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي تنطَحُّها أخرى فتموتُ.

(١) كما تقدم عنهم مراراً.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٩١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٩٢).

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ أي: بعضه.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرّة.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ وهي حجارة كانت منصوبة حول البيت يعبدها الجاهلية، ويذبحون عندها، ويعدون ذلك قربة.

﴿وَأَنْ تَسْقِسُوا﴾ تطلبوا القسم والحكم.

﴿بِالْأَزْلَمِ﴾ جمع زَلَمَ بضم الزاي وفتحها، وهي القِداحُ التي لا ريش لها ولا نصل، وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً، ضربوا ثلاثة قِداحٍ مكتوب على أحدها: أَمْرِي رَبِّي، وعلى الآخر: نَهَانِي، والثالث: غُفْلٌ، فإن خرج الأمر، مضوا على ذلك، وإن خرج الناهي، تجنبوا عنه، وإن خرج الغفل، أجالوها ثانياً، فمعنى الاستقسام: طلب معرفة ما قَسِمَ لهم دون ما لم يقسم بالأزلام.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: المحرّمات في الآية، أو الاستقسام.

﴿فَسُقُ﴾ قال ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَقَسَمَ، أَوْ تَطَيَّرَ طَيْرَةً يَرُدُّهُ عَنْ سَفَرِهِ، لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنْ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: من إبطاله ورجوعكم عنه.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٢١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٧٤/٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٠١/٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٧٧)، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - .

﴿وَآخِشُونَ﴾ أَخْلَصُوا الْخَشْيَةَ لِي. قرأ يعقوب: (وَآخِشُونِي) بإثبات

الياء حالة الوقف^(١).

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بإتمام عِزِّهِ وَظُهُورِهِ وَنَصْرِهِ: نزلت يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنبِيُّ ﷺ واقفٌ بعرفات على ناقته العُضْبَاءِ، فكادت عَصْدُ الناقة تَنَدُّقُ مِنْ ثِقَلِهَا^(٢)، فبركت، قال ابن عباس: «لَمْ يَنْزَلْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ»^(٣).

﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بالهداية والتوفيق، وبدخول مكة آمنين، ومنع المشركين من دخول الحرم بعد العام.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ اخترته لكم.

﴿دِينًا﴾ من بين الأديان، وهو الدين عند الله لا غير، قال ابن عباس: «كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ خَمْسَةَ أَعيَادٍ: جمعة، وعرفة، وعيد اليهود، والنصارى، والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل^(٤) الملل في يوم قبله ولا بعده»^(٥).

ولما نزلت هذه الآية، بكى عمر رضي الله عنه، فقال له^(٦) النبي ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فقال: «كُنَّا فِي زِيَادَةٍ مِنْ دِينِنَا، وَأَمَّا إِذَا كَمُلَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكْمُلُ

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٣/٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٣٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/٧٩)، عن السدي.

(٤) «أهل» ساقطة من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٣٦).

(٦) «له» ساقطة من «ت».

شيءٌ إلا نَقَصَ» فقال: «صَدَقْتَ»^(١)، وعاش بعدها ﷺ أحدًا وثمانين يومًا، وتوفي يوم الاثنين بعدما زاعت الشمس لليلتين خلتا من ربيع الأول^(٢)، وقال ابنُ الجوزي: لانتني عشرة ليلة خلت منه سنة إحدى عشرة من الهجرة^(٣).

﴿فَمِنْ أَضْطَرَّ﴾ متصلٌ بذكر المحرمات، وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّدٌ معنى التحريم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمِنْ أَضْطَرَّ) بضم النون، وأبو جعفرٍ: بكسر الطاء^(٤)، والمعنى: فمن اضطرَّ إلى تناول شيء من هذه المحرمات.

﴿فِي مَخْصَصَةٍ﴾ مجاعة.

﴿غَيْرُ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل.

﴿لَا يَأْتِيهِ﴾ وهو الأكلُ فوق الشبع.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أتى عند اضطراره.

﴿رَجِيمٌ﴾ لا يؤاخذه بأكله. وتقدَّم اختلاف الأئمة الأربعة في جواز أكل الميتة عند الضرورة، وقدر ما يجوز أكله في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٨٠/٦)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٥٣٣/٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٦٣٧/١).

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٢٨٧/٢).

(٤) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٣/٢).

اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿الآية: ١٧٣﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ولما تلا عليهم ما حرّم عليهم، سأل عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالا: «يا رسول الله! إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن الكلاب تأخذ البقر والحمير والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما تقتله، فلا ندرك ذكاته، وقد حرّم الله الميتة فماذا يحل لنا منها»^(١) فنزل قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا﴾ مبتدأ ﴿أُحِلَّ لَهُمْ﴾ خبره.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ هي الذبائح على اسم الله تعالى.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ أي: أحل لكم صيد الذي علمتم.

﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ الصوائد من سباع البهائم والطيور؛ كالكلب، والفهد، والنمر، والبازي، والصقر، والشاهين، والعقاب.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مُرسلي الكلاب على الصيد، والمُكَلَّب: مؤدّب الجوارح ومُضربها بالصيد.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٧/٤). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٥).

﴿تَعْمُونَهُنَّ﴾ أي: تؤدّبون الكلاب.

﴿يَمَّا عَمَّكُمْ اللَّهُ﴾ من تأديب الكلاب للصيد.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ المعنى: إن الجارحة إذا خرجت بإرسال صاحبها، فقتلت الصيد، كان حلالاً إذا كانت معلّمة، والمعلّمة: هي التي إذا أرسلت، استرسلت، وإذا رُجرت، انزجرت، وإذا أمسكت، لم تأكل، فإذا وُجد ذلك منها، فهي معلّمة، وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد، وقال مالك: لا يُشترط ترك الأكل إذا كان معلّماً، فيحلُّ أكل ما صاده، وإن أكل منه الكلب والبازي.

واختلف مشرطو ترك الأكل في حدّ التعليم، فقال أبو حنيفة: لا تأقيت فيه، فمتى قال أهل الخبرة: هذا معلّم، حكّمنا بكونه معلّماً، وقال الشافعي: إذا تكرّر ذلك منها مراراً؛ بحيث يظنُّ تأدّب الجارحة، كانت معلّمة، وقال أحمد: لا يُشترط التكرار، فإذا أمسك ولم يأكل، صار معلّماً. واختلفوا في جواز الاصطياد بالكلب الأسود البهيم، وهو ما لا بياض فيه، فمنع منه أحمد؛ لقوله ﷺ: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»^(١)، وأجازة الثلاثة، وأباحوا أكل ما قتل.

واختلف أيضاً مشرطو ترك الأكل في ذي المخلب؛ كالبازي والصقّر ونحوهما، هل يُشترط فيها ترك الأكل كالكلب والفهد؟ فقال الشافعي: يُشترط، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا يُشترط.

واختلفوا في اشتراط الجرح في الصيد، فقال الثلاثة: لا بدّ أن يجرح،

(١) رواه مسلم (٥١٠)، كتاب: الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي، عن أبي ذر - رضي الله عنه -.

فإن قتلته الجارحةً بصدمة أو خنقه، لم يُبَحَّ، وقال الشافعي: إذا تحاملت عليه فقتلته بنقلها، حلَّ.

﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: سَمُّوا عليه عند إرساله.

واختلف الأئمة في التسمية عند إرسال الكلب، أو الرمي بالسهم، فقال أبو حنيفة ومالك: إن ترك التسمية عند إرساله أو رميه على الصيد عامداً، لم يجز أكله، وإن تركها ناسياً، جاز، وكذا الحكم عندهما في التسمية عند الذبح، وقال الشافعي: يحلُّ الأكل، سواء تركها عامداً أو ناسياً في الصيد والذبح؛ لأن التسمية عنده سنة، وقال أحمد: إن ترك التسمية في الصيد عمداً أو سهواً، لم يُبَحَّ، والحكم عنده في الذبح كأبي حنيفة ومالك.

ويُشترط في الذابح والصائد أن يكون مسلماً أو كتابياً، فلا يحلُّ صيد مجوسي، ولا وثني، ولا مرتد، ولا ذبائحهم، بالاتفاق، والشافعي يشترط أن يكون الكتابي ممن تحلُّ مناكحته، وهو أن يُعْلَمَ دخول قومه في دين اليهودية أو النصرانية قبل نسخه وتحريفه.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في محرّماته.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وهو أخذكم بما جَلَّ ودَقَّ.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٥] ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ﴾ أعاده تأكيداً؛ أي: الطيبات التي سألتكم

عنها.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود والنصارى، ومن دخل في دينهم

قبل مبعث النبي ﷺ.

﴿حُلِّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حُلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: يحل لكم طعامهم وإطعامهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ مبتدأ خبره محذوف، تقديره: حل لكم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وإن كنَّ حريبات، فيباح نكاح

حرائر أهل الكتاب بالاتفاق، والشافعي على أصله كما تقدم قريباً في حكم الصيد والذبح من الاشتراط في الكتابي.

﴿إِذَا أَتَيْنَهُنَّ أُجُورُهُنَّ﴾ مهورهن.

﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء^(١).

﴿غَيْرِ مُسْلِفِينَ﴾ مجاهرين بالزنا.

﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن، وهو الصديق، يطلق على الذكر

والأنثى؛ أي: ولا مسرّين بالزنا، وتقدم في سورة النساء اختلاف الأئمة في

نكاح الأمة الكتابية عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ

فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية: ٢٥].

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يُنكِر شرائع الإسلام.

﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ إن مات عليه.

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ للشواب.

(١) «أعفاء» ساقطة من «ن».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيَنفِخَ فِي نَفْسِكُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

[٦] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي: أردتم القيام.

﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؛

أي: إذا أردت القراءة، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة، وإن لم يكن محدثاً، والإجماع على خلافه، لأن المراد: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر^(١)؛ بدليل أَنَّ النبي ﷺ صَلَّى الْخُمْسَ صَلَوَاتٍ بوضوء واحد يوم الفتح^(٢).

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وحدُّ الوجه من منابت^(٣) شعر الرأس إلى ما انحدر من اللِّحْيَيْنِ؛ والدَّقْنِ طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، فيجب غسل جميعه بالاتفاق، فإن كان فيه شعرٌ خفيفٌ يصفُ البشرة، وجب غسلها معه، وإن كان يستترها، أجزأه غسلُ ظاهرها، ويستحبُّ تخليلُهُ.

(١) في «ظ»: «وضوء».

(٢) رواه مسلم (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، عن بريدة - رضي الله عنه -.

(٣) في «ظ»: «منبت».

﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وتدخل المرافق في الغسل بالاتفاق؛ لورود السنة بذلك.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء مزيدة. واختلف الأئمة رضي الله عنهم في قدر الواجب من مسح الرأس، فقال أبو حنيفة: ربعه، وقال مالك وأحمد: جميعه، وقال الشافعي: قدر ما يطلق عليه اسم المسح، وأجاز أحمد المسح على العمامة إذا كان منها شيء^(١) تحت الحنك، وعلى خمر النساء المدارة تحت حلوقهن؛ خلافاً للثلاثة.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ وهما العظمان الناتئان من جانب القدمين، وهما مجتمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين بالاتفاق. قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وحفص: (وَأَرْجُلَكُمْ) بنصب اللام عطفاً على الأيدي، وقرأ الباقر: بالخفض عطفاً على الرؤوس^(٢)، وإن كانت غير ممسوحة حثاً على الاقتصاد في صب الماء على الرجلين؛ لأنهما مظنة الإسراف في صب الماء.

واختلفوا في الترتيب كما ذكره الله تعالى، فقال الشافعي وأحمد بوجوبه، وقال أبو حنيفة ومالك: هو سنة.

واختلفوا في الموالاة، وهي ألا يؤخر غسل عضو حتى ينشف الذي

(١) في «ظ»: «شيء منها».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)،

و«تفسير البغوي» (١/٦٤٤-٦٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/١٩٤-١٩٥).

قبله، فقال مالك وأحمد: هي واجبة، وقال أبو حنيفة والشافعي: هي مسنونة.

واختلفوا في التسمية، فقال الثلاثة: هي سنة، وقال أحمد: هي واجبة، لكن تسقط سهواً.

واختلفوا في المضمضة والاستنشاق، فقال أحمد: هما واجبان، ولا يسقطان سهواً، وقال الثلاثة: هما سنة.

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فاغتسلوا.

واختلفوا في المضمضة والاستنشاق في الغسل، فقال أبو حنيفة وأحمد: هما فرض، وقال مالك والشافعي: هما سنة كما في الوضوء.

واختلفوا في الدلك في الوضوء والغسل، فعند مالك: هو شرط، وعند الثلاثة: لا يُشترط إذا عمَّ جسده بالماء.

واختلفوا في النية في الوضوء والغسل، فقال أبو حنيفة: هي مستحبة، وقال الثلاثة: هي واجبة، واختلفوا في التسمية عند الغسل كاختلافهم فيها عند الوضوء كما تقدم قريباً^(١).

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ أي: من الصعيد، وتقدم في سورة النساء تفسير نظير هذه الآية، واختلاف القراء فيها، واختلاف الأئمة في حكمها مستوفى.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بالأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتييم.

(١) «كما تقدم قريباً» سقط من «ظ».

﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ضِيقٍ﴾.

﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداثِ والذنوبِ.

﴿وَلَيْتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالترخيصِ عندَ المرضِ والسفرِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لتشكروا نعمته فتقبلوا على طاعته.

ودلت الآية على المسح على الخفين، وهو جائز بالاتفاق، فعند الثلاثة: يمسح المقيم يوماً وليلةً، والمسافر ثلاثة أيامٍ بلياليها، أولها من الحدث بعد اللبس، وعند مالك: لا توقيت فيه لمقيم ولا لمسافر، وشرطه أن يلبس بعد كمال الطهارة بالاتفاق.

واتفقوا على أن المسح يخص ما حاذي ظاهر القدمين، ثم اختلفوا هل يسن، مسح محاذي باطن القدمين؟ فقال أبو حنيفة وأحمد: لا يسن، وقال مالك والشافعي: يسن، و^(١) اختلفوا في قدر الإجزاء من المسح على الخفين، فقال أبو حنيفة: مقدار ثلاثة أصابع من اليد، وقال مالك: يستوعب محلّ الفرض، وقال الشافعي: ما يقع عليه اسم المسح، وقال أحمد: يجب مسح أكثر أعلاه.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٧] ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام.

﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ﴾ أي: عهده الذي عهد إليكم.

(١) في «ظ»: «ثم».

﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ .

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في نقض ميثاقه .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بخفياتها .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

[٨] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ لأجل ثواب الله .

﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ أي : كونوا قائمين بالعدل قوالين بالقسط .

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم .

﴿شَنَاَنُ﴾ بغض .

﴿قَوْمٍ﴾ يعني : المشركين . قرأ أبو جعفر ، وابنُ عامر ، وأبو بكر ، بخلافٍ عن الأول (شَنَاَنُ) بإسكان النون ، والباقون : بالتحريك ^(١) .

﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فيهم ؛ لعداوتكم إياهم ، بل ^(٢) ﴿ءَاعْدِلُوا﴾ في أوليائكم وأعدائكم ﴿هُوَ﴾ أي : العدل .

(١) تقدمت عند تفسير الآية (٢) من هذه السورة .

(٢) «بل» زيادة من «ظ» .

﴿ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ وإذا كَانَ هذا العَدْلُ مَعَ الكَفَارِ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْعَدْلِ مَعَ

المُؤْمِنِينَ؟

﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فَيَجَازِيكُمْ بِهِ .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

[٩] ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
هذا موضعُ النصب؛ لأنَّ فعلَ الوعدِ واقعٌ على المغفرة، ورفعُها على تقدير: أي: وعدهم وقال لهم مغفرةً وأجرٌ عظيمٌ.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

[١٠] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾
نزلت في بني النضير، وقيل: في جميع الكفار.

ونزل لما أريد الفتك برسولِ الله ﷺ، فلم يُمكنِ اللهُ منه، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جاء إلى قومٍ من اليهود، وهم كعبُ بنُ الأشرفِ وبنو النضير يستقرضهم ديةً مسلمين قتلها عمرو بنُ أمية الضمري خطأً يحسبهما مشركين، فقالوا: نعم، وهموا بقتله، فمنعه الله منهم:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هَمَّ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) بالدفع عنكم، و(نعمت) رُسِمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، والكسائي.

﴿ اِذْ هَمَّ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ ﴾ بالقتل، يقال: بسط إليه يده: إذا بطش به، وبسط إليه لسانه: إذا شتمه.

﴿ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ ﴾ منعها ﴿ عَنْكُمْ ﴾ أن تُمَدَّ إليكم.

﴿ وَاَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/١٤٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/٦٤٩).

الآنَهَرُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ
نَقِيبًا ﴿١٢﴾ مِنْ كُلِّ سَبْطٍ نَقِيبًا، والنَقِيبُ: الضَّمِينُ والأَمِينُ، وهو الذي يَنْقُبُ
عن الأمور، ويتعرفُها.

رُوي أن بني إسرائيل لما فرغوا من أمرِ فرعون، واستقرُّوا بمصرَ،
أمرَ الله موسى وقومَه بالخروج إلى أريحا من أرضِ الشام، وكان يسكنُها
الكنعانيون الجبارون ومنهم^(١) عوجُ بنُ عنق وأصحابُه، ونسبته لأمِ عناقَ
بنتِ آدمَ عليه الصلاة والسلام، وكان طولُه ثلاثة آلافٍ وثلاث مئةٍ وثلاثة
وثلاثينَ وثلثَ ذراع، وكان يَحْتَجِزُ بالسحابِ، ويشربُ منه، ويتناولُ
الحيوتَ من قَرَارِ البحرِ فيشويه بعينِ الشمسِ يرفعه إليها، ثم يأكلُه، وعاشَ
ثلاثة آلافِ سنةٍ حتى أهلكه الله على يدِ موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك
أنه قطعَ صخرةً على قدرِ عسكرِ موسى ليطرَحَها عليهم، وكان العسكرُ
فرسخاً في فرسخ، فبعثَ الله الهدهدَ، فقَوَّرَ الصخرةَ بمنقاره، فوقعت في
عنقه، فصرعته، فوثبَ موسى عليه الصلاة والسلام، وكانت وثبته عشرة
أذرع، وطولُه مثلُ ذلك، وطولُ عصاته مثلُ ذلك، ولم يَلْحَقْ إلا عرقوبه،
فضربه فقتله، وتركَ بموضِعِه، وأردمَ عليه بالصخرِ والرمل^(٢)، فكانَ
كالجبلِ العظيمِ في صحراءِ مصرَ، ولما أمرَ الله بني إسرائيلَ بالخروجِ إلى
أريحا، قال لهم: إِنِّي كَتَبْتُهَا لَكُمْ دَارَ قَرَارٍ، فاخرجوا إليها، وجاهدوا

(١) «ومنهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «بالرمل والصخر».

مَنْ فِيهَا؛ فَإِنِّي نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ^(١)، وَاتَّخَذَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا، فَعَاهَدَهُمْ أَنْ يَكْفُلُوا بِقَوْمِهِمْ، وَلَا يَحْدِثُوهُمْ بِمَا يَرُونَ مِنَ الْجَبَّارِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِظَمِ الْأَجْسَادِ، نَقَضُوا الْعَهْدَ، وَحَدَّثُوهُمْ، إِلَّا كَالْبَنَى يَوْقِنَا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا خَتَنَ مُوسَى عَلَى أُخْتِهِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ مِنْ سِبْطِ أَفْرَايِمَ بْنِ يَوْسَفَ فَتَى مُوسَى، وَأَمَّا أَسْمَاءُ الْعَشِيرَةِ الَّذِينَ نَقَضُوا الْعَهْدَ مِنَ النِّقَبَاءِ، فَهُمُ شَمُوعُ بْنُ زَكُورٍ مِنْ سِبْطِ رُوبِينِ^(٢)، وَشَافَاطُ^(٣) بْنُ حُورِيٍّ مِنْ سِبْطِ شَمْعُونٍ، وَيَغَالُ بْنُ يَوْسَفَ مِنْ سِبْطِ يَسَاخِرَ، وَبِلْطِي بْنُ رَافُوٍّ مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ، وَكَدِي بْنُ سُودِيٍّ مِنْ سِبْطِ زَبُولُونٍ، وَكَدِي بْنُ سُوْسِيٍّ مِنْ سِبْطِ مَنَاشَا بْنِ يَوْسَفَ، وَعَمِيَالُ بْنُ كَمَلِيٍّ مِنْ سِبْطِ دَانَ، وَسُتُورُ بْنُ مِيخَائِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشَرٍ، وَنَحْبِي بْنُ وَقْسِيٍّ مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِيٍّ، وَكُوَيْلُ بْنُ مَآخِيٍّ مِنْ سِبْطِ كَادٍ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَعَا مُوسَى عَلَيْهِمْ، فَهَلَكُوا مَسْخُوطًا عَلَيْهِمْ^(٤).

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ نَاصِرُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ عَظَّمْتُمُوهُمْ.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ.

﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ﴾ أَي: لَا مُحَوَّنَ عَنْكُمْ.

(١) «عليهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «روبييل».

(٣) في «ش»: «شافط».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٧٤/٦)، و«تفسير البغوي» (١/٦٥٠)، و«تفسير ابن

كثير» (٣٩/٢).

﴿ سَيَاتِكُمْ وَلَا دَخَلَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أخطأ طريق الحق .

﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣)

[١٣] ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ ﴾ أي : فبنقضهم ، و (ما) صلة .

﴿ مِيثَقَهُمْ ﴾ بتكذيب الرسل بعد موسى ، وقتل الأنبياء ، ونبد كتاب الله ، وتضييع فرائضه .

﴿ لَعْنَهُمْ ﴾ طردناهم من رحمتنا .

﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً ﴾ يابسة لشوبهم الإيمان بموسى والتوراة بكفرهم بمحمد والقرآن . قرأ حمزة ، والكسائي : (قَسِيَّةً) بتشديد الياء من غير ألف ، وهما لغتان ، مثل زاكية وزكِيَّة (١) .

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾ أي : يُبدلون نعت محمد ﷺ .

﴿ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ في كتبهم ؛ لأن من قسا قلبه ، يقدم على فعل (٢) ما لا يجوز .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٤٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٩) ،

و«تفسير البغوي» (١/ ٦٥٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٧) .

(٢) «فعل» زيادة من «ظ» .

﴿وَسُوا حَظًا﴾ تركوا نصيباً وإيفاءً .

﴿مَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من الإيمانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، والقرآن .

﴿وَلَا نَزَالَ﴾ يا مُحَمَّدُ .

﴿تَطْلُعُ﴾ تَظْهَرُ .

﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ أي : خيانة .

﴿مِنْهُمْ﴾ أي : نقضهم العهد ، ومظاهرتهم المشركين في حَرْبِكَ .

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ هم الذين آمنوا منهم .

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ اتركهم لا تتعرض لهم ، ونُسخت بآية السيف .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا
مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ .

[١٤] ونزل في النصارى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ سَمَّوْا
أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ ادِّعَاءَ لِنُصْرَةِ اللَّهِ .

﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾ أي : وأخذنا من النصارى ميثاقهم على التوحيد
والإيمانِ بالأنبياءِ مثل الميثاقِ المأخوذِ قديماً على اليهود .

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فنقضوا الميثاق .

﴿فَأَغْرَبْنَا﴾ هَيَّجْنَا .

﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي : بين فرقِ النصارى المختلفةِ .

﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالأهواء المختلفة؛ كاليقوبية، والملكانية، والنسطورية، وغيرهم^(١)، فكلُّ فرقة تكفّر الأخرى، وتقدّم اختلاف القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿وَالْبَغْضَاءَ إِلَى﴾.

﴿وَسَوْفَ يُنْيِتُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بالعقاب والجزاء^(٢).

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

[١٥] ثم قال مخاطباً اليهود والنصارى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ وحدّ الكتاب؛ لأنه للجنس.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كنعت محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل.

﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ممّا تخفونه، فلا يؤاخذكم به.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو محمد ﷺ.

(١) «وغيرهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «بالجزاء وبالعقاب».

﴿وَكُتِبَ مُبِينٌ﴾ القرآن؛ فَإِنَّهُ يَبَيِّنُ الْأَحْكَامَ.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي: بالقرآن العظيم، وبمحمد النبي ﷺ، وَحَدَّ الضَّمِيرَ؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ بِهِمَا وَاحِدٌ.

﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُ﴾ أي: ما رَضِيَهُ اللهُ. قرأ أبو بكر: (رُضْوَان) و(رُضْوَانًا) بضمِّ الرَّاءِ حَيْثُ وَقَعَ سَوَى هَذَا الْحَرْفِ، وَتَبَّهَ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ^(١).

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طَرِيقَ السَّلَامَةِ الْمَوْصِلَةَ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ.

﴿إِلَى النُّورِ﴾ إِلَى الْإِيمَانِ.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طَرِيقٍ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

(١) انظر: تفسير الآية (١٥) من سورة آل عمران.

وَأَمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ وهم
اليعقوبية والملكانية من النصارى، يقولون: المسيح هو الله .

﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي: فمن يمنع من قدرته شيئاً .

﴿ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ﴾ أعلم الله سبحانه وتعالى أَنَّ المسيح بن مريم لو كان إلهاً، لقدّر
على دفع ما ينزل به أو غيره، وقد أَمَاتَ الله أُمَّه ولم يتمكّن من دفع الموت
عنها، فلو أهلكه هو أيضاً، فَمَنْ يدفعه عن ذلك؟

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ والمسيح وأُمَّه بينهما
مخلوقان محدودان، وما أحاط به الحدُّ والنهاية، لا يصحُّ للإلهية^(١) وقال:
﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾، ولم يقل: بينهم؛ لأنه أراد النوعين .

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ من ذكرٍ وأنثى، ومن أمِّ بلا أبٍ؛ كعيسى، ومن أبٍ بلا
أمٍّ؛ كحواء^(٢)، ومن غير أب ولا^(٣) أمٍّ؛ كآدم عليه السلام، لا اعتراض عليه
عزَّ وجلَّ في خلقه، ولا في ملكه .
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(١) في «ظ»: «للالوهية» .

(٢) «ومن أن بلا أم كحواء» زيادة من «ظ» .

(٣) «لا» زيادة من «ظ» .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ .

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ﴾ قيل : أرادوا أن الله لهم كالأب في الشفقة والرحمة ، وهم كالأبناء له في المنزلة عنده ، والقرب منه - عز وجل - ، فأمر سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم منكراً عليهم ما قالوا^(١) .

﴿قُلْ﴾ إن صحَّ ما زعمتم .

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ لأنَّ الحبيب لا يعذبُ حبيبه ، والوالد لا يعذبُ ولده ، وقد عذبتم بالمسخِ قديماً ، واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودةً .

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ من بني آدم .

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون .

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وهم الكفار^(٢) .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فلا شريك يعارضه فيهما^(٣) .

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي : يؤولُ العبادُ إليه في الآخرة .

(١) «ما قالوا» زيادة من «ظ» .

(٢) في «ظ» : «الكافرون» .

(٣) «فيهما» زيادة من «ظ» .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الإسلام.

﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ انقطاع وجود أحد^(١).

﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ وكانت الفترة بين محمد وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - خمس مئة ونحو تسعين سنة، وقيل غير ذلك، فكانت الرسل تترى من^(٢) موسى إلى عيسى - عليهما الصلاة والسلام -، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى نبينا محمد ﷺ.

﴿أَن تَقُولُوا﴾ لئلا تقولوا معتذرين:

﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ أي: مبشر ومنذر، والفاء بعدها متعلقة بمحذوف تقديره: لا تعتذروا.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ نزلت لما قالت اليهود: ما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بعده من بشير ولا نذير.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إرسال من شاء من خلقه.

(١) «وجود أحد» زيادة من «ظ».

(٢) في «ن»: «بين».

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴾ فأرشدكم بهم ، ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء .

﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ أصحاب حشَمٍ وَخَدَمٍ .

﴿ وَآتَاكُمْ ﴾ من المنِّ والسَّلوى وتظليل الغمامِ وفلقِ البحرِ وغير ذلك من النعم .

﴿ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ يعني عالمي زمانكم ، تبيينٌ من الله تعالى أنَّ أسلافهم تمرّدوا على موسى - عليه الصلاة والسلام - ، وعصّوه ، فكذلك هؤلاء مع محمدٍ ﷺ ، وهو تسليّةٌ له ﷺ .

﴿ يَنْقُورِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ يَنْقُورِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ هي أرضُ بيت المقدسِ أو أريحا . قرأ الكسائي: (المُقَدَّسَة) بإمالة السين حيث وقف على هاء التأنيث . المعنى : اسكنوا الأرض الطاهرة .

﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ في اللوح المحفوظ قبل خلقكم أنكم تقسمونها ،

وتسكنونها بعد أعدائكم ﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ﴾ لا ترجعوا على أعقابكم
منهزمين خوف العدو.

﴿فَنَقْلِبُوا﴾ بالخيبة ﴿خَسِرِينَ﴾ ثواب الدارين.

وأما حدود الأرض المقدسة، فمن القبلة أرض الحجاز الشريف،
يفصل بينهما جبال الشورى، وهي جبال منيعة بينها وبين أيلة نحو مرحلة،
وسطح أيلة هو أول حد الحجاز من جهة الشام، وهي من تيه بني إسرائيل،
وبينها وبين بيت المقدس نحو ثمانية أيام سير الأثقال، ومن الشرق من بعد
دومة الجندل برية السماوة، وهي كبيرة ممتدة إلى العراق، ينزلها عرب
الشام، ومسافتها عن بيت المقدس نحو مسافة أيلة، ومن الشمال مما يلي
الشرق نهر الفرات، ومسافته عن بيت المقدس نحو عشرين يوماً سير^(١)
الأثقال، فيدخل في هذا الحد المملكة الشامية بكمالها، ومن الغرب بحر
الروم، وهو البحر المالح ومسافته عن بيت المقدس من جهة رملة فلسطين
نحو يومين، ومن الجنوب رمل مصر والعريش، ومسافته عن بيت المقدس
نحو خمسة أيام سير الأثقال، ثم يليه تيه بني إسرائيل وطور سيناء، ويمتد
من تلك الجهة إلى تبوك، ثم دومة الجندل المتصلة بالحد الشرقي، ويأتي
ذكر حد حرم مكة في سورة التوبة، وحرم المدينة في سورة الأحزاب إن
شاء الله تعالى.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَن نَّذْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

(١) في «ن»: «بسير».

[٢٢] ولما علمَ بنو إسرائيلَ بإخبارِ نُقبائِهِم أحوالَ الجبابرةِ^(١)، وما هم عليه من الشدةِ والمنعةِ وعِظَمِ الأجسادِ، جَبَنُوا عن لقائِهِم ودخولِ أرضِهِم.

﴿ قَالُوا يَمْوَسَّى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ متغلبين، والجبارُ: هو الذي يُجبر الناسَ على ما يُريد، وكانوا من العمالقةِ وبقيةِ قومِ عادٍ. قرأَ الدوريُّ عن الكسائيِّ، وورشٌ بخلافٍ عن الثاني (جَبَّارِينَ) بالإمالة^(٢).

﴿ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ إِذْ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِم.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَلِبْتُمُوهُ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[٢٣] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ من النُّقباءِ هما^(٣) كالبُ ويوشعُ.

﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ اللهَ ويتقونهُ.

﴿ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالإيمانِ والتَّشَبُّه.

﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ بابَ مدينتِهِم.

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَلِبْتُمُوهُ ﴾ لتعسُّرِ الكرِّ عليهم في المضائقِ من عِظَمِ

(١) في «ظ»: «الجبارين».

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠١).

(٣) في «ت»: «هم» وهي ساقطة من «ن».

أجسامهم^(١)؛ لأنهم أجسامٌ لا قلوبَ فيها، فلا يهولنكم منظرهم، وعلمًا
ذلك لأن موسى عليه الصلاة والسلام أعلمهما أن الغلبة لبني إسرائيل.
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به، ومصديقين لوعده.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ
فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾ نفوا دخولهم على التأكيد
والتأييد.

﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ ثم إنهم لجهلهم واستخفافهم بموسى عليه الصلاة
والسلام قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ جهلوا
صفة الرب سبحانه، ووصفوه بالذهاب والانتقال، وهو مُتَعَالٍ عن ذلك،
وهذا يدل على أنهم كانوا مُشَبَّهَةً.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٥] ولما رأى موسى عليه الصلاة والسلام مخالفة بني إسرائيل
وتمردهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ لا يملك إلا نفسه.

(١) في «ظ»: «أجسادهم».

﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل.

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بأن تحكم لنا بما نستحقه، وتحكم عليهم بما يستحقون، قاله شكوى بئهِ وحزنه إلى الله تعالى لما خالفه قومه، ولم يبق معه مرافق له^(١) غير أخيه هارون عليه الصلاة والسلام، والرجلان المذكوران.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى.

﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة.

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ممنوعة منهم^(٢) لا يدخلونها بسبب عصيانهم.

﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يترددون فيها متحيرين.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن.

﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ خاطب به موسى عليه الصلاة والسلام لما ندم على الدُّعاء عليهم، فلبثوا أربعين سنة في سَةِ فِراسخٍ يسيرون كلَّ يومٍ جادّين، فإذا أَمَسُوا، كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ مقاتلٍ. والْتِيَةُ: أرضٌ بالقربِ من أَيْلَةَ التي هي حدُّ أرضِ^(٣) الحجازِ من

(١) «له» زيادة من «ظ».

(٢) «منهم» زيادة من «ظ».

(٣) «أرض» زيادة من «ظ».

جهة الشام، وطول أرض^(١) التي نحو من ستة أيام، والصحيح أن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام كانا في التيه، ولم يكن عقوبة لهما، بل كان راحة ورحمة؛ كإبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أُلقي في النار، ومات هارون عليه السلام في التيه، كما تقدّم في أواخر سورة النساء، ولم يحضر بنو إسرائيل موته، فاتهموا موسى بقتله، فقال لهم: يا سفهاء بني إسرائيل! ماذا لقيت منكم؟ أقتل أخي وشقيقي وعصدي؟! ثم دعا الله تعالى أن يبرئه عندهم من ذلك^(٢)، فأمر الله الملائكة أن يحملوا سرير هارون الذي وُضع عليه بداخل الكهف الذي دُفن فيه، فحملوه في الهواء بين السماء والأرض، ونادت الملائكة: يا بني إسرائيل! لا تتهموا موسى بقتل أخيه هارون^(٣)، فهذا سريره قد قبضه الله تعالى، فحزن بنو إسرائيل على موته؛ لأنه كان محبوباً عندهم، ولم يدخل الأرض المقدسة أحدٌ ممّن قال: ﴿إِنَّا لَنَنذِرُهَا أَبَدًا﴾، فلما انقضوا على رأس أربعين سنة، سار موسى بالمؤمنين نحو القرية إلى باب حطة، ومكتوب عليه اسم الله الأعظم، وأقبل المؤمنون فسجدوا عند الباب، ودخل أولاد الفاسقين، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم كما تقدّم في سورة البقرة، وغلب موسى على مدينة أريحا، ثم توفي موسى بعد وفاة هارون بأحد عشر شهراً.

وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَهُ، صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ

(١) «أرض» زيادة من «ظ».

(٢) «من ذلك» زيادة من «ظ».

(٣) «هارون» زيادة من «ظ».

وجل، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ! قَالَ^(١): فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ وَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبٍّ! ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَلَا أَنْ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ^(٢)، وتقدّم في سورة البقرة قَدْرُ عمره، وتاريخ وفاته، ومحلُّ قبره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

ولما توفي موسى عليه السلام، قام بعد وفاته بتدبير بني إسرائيل يوشع بن نون، بعثه الله نبياً، وأمره بقتل الجبارين، فتوجّه ببني إسرائيل إلى أريحا، وأحاط بها ستة أشهر، فلما كان الشهر^(٣) السابع، نفخوا في القرون، وضجّ الشعب ضجّةً واحدةً، فسقط السور، ودخلوا، فقاتلوهم، وهجموا على الجبارين فهزموهم وقتلوهم، وكان ذلك في^(٤) يوم الجمعة، وقد بقيت منهم بقية، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فدعا يوشع وقال: اللهم اِرْدُدِ الشَّمْسَ عَلَيَّ، وسأل الشمس أن تقف، والقمر أن يقيم^(٥) حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت^(٦)، فوقفت الشمس،

(١) «قال» ساقطة من «ظ».

(٢) رواه البخاري (١٢٧٤)، كتاب: الجنائز، باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، ومسلم (٢٣٧٢)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام.

(٣) «الشهر» زيادة من «ظ».

(٤) «ذلك في» زيادة من «ظ».

(٥) في «ظ»: «يقتمر».

(٦) «قبل دخول السبت» ساقطة من «ظ».

وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وتتبع ملوك الشام واستباحهم، وملك الشام، وفرق فيها عماله، واستمر يدبر بني إسرائيل ثمانى وعشرين سنة، ثم توفي وله مئة وعشر سنين، ودفن في كفل حارس: قرية من أعمال نابلس، وقيل: إنه مدفون في المعرة، وفي القصة اختلاف بين المفسرين والمؤرخين، والله أعلم^(١).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَاقُلْنَاكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٢٧].

[٢٧] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه^(٢) محمداً ﷺ أن يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد؛ ليركوه ويؤمنوا، فقال:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ﴾ هابيل وقايل.

﴿بِالْحَقِّ﴾ خبرهما متكسراً بالصدق. قرأ السوسي عن أبي عمرو (آدم بالحق) وشبهه بإسكان الميم عند الباء، وتقدم الكلام عليه في سورة البقرة. ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وكان سبب قربانهما أن حواء كانت تحمل^(٣) في كل بطن غلاماً وجارية، وجميع أولادها أربعون ولداً في عشرين بطناً، إلا شيئاً عليه السلام ولد مفرداً، وكان آدم عليه السلام^(٤) يزوج أنثى هذا البطن بغير ذكره، فقال لقايل: إن الله تعالى أمرني أن أنكح أختك إقليمياً بهابيل،

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٤١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٦١).

(٢) «نبيه» زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «تلد».

(٤) في «ظ» زيادة: «فإنه».

وَأُنْكَحَكَ أَخْتَهُ لِيُودَا^(١)، فَقَبِلَ هَابِيلُ، وَأَبَى^(٢) قَابِيلُ، وَكَانَتْ أُخْتُ قَابِيلَ أَحْسَنَ مِنْ أُخْتِ هَابِيلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَكَ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنْ اللَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُ بِهَذَا، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ رَأْيِهِ، فَقَالَ لَهَا آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قَرِّبَا قُرْبَانًا، فَأَتَيْكُمَا قَبْلَ قُرْبَانِهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِإِقْلِيمِيَا، وَكَانَتِ الْقَرَابِينِ إِذَا قُبِلَتْ، نَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضَاءُ فَأَكَلَتْهَا، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مَقْبُولَةً، لَمْ تَنْزَلِ النَّارُ إِلَيْهَا^(٣) وَتَأْكُلُهَا الطُّيُورُ وَالسَّبَاعُ، فَخَرَجَا لِيَقْرَبَا الْقُرْبَانَ، وَكَانَ قَابِيلُ صَاحِبَ زَرْعٍ، فَقَرَّبَ صُبْرَةً مِنْ طَعَامٍ مِنْ أَرْدَا زَرْعِهِ، وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ^(٤): مَا أَبَالِي أَتَقْبَلُ مِنِّي أَمْ لَا، لَا يَتَزَوَّجُ أُخْتِي أَبَدًا، وَكَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ غَنَمٍ، فَعَمَدَ إِلَى أَحْسَنِ كَبْشٍ فِي غَنِمِهِ، فَقَرَّبَ بِهِ^(٥)، وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ رِضَا اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَوَضَعَ قُرْبَانَهُمَا عَلَى الْجِبَلِ، ثُمَّ دَعَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَلَمْ تَأْكُلْ قُرْبَانَ قَابِيلَ، وَرُفِعَ قُرْبَانُ هَابِيلَ، فَبَقِيَ فِي الْجَنَّةِ يَرْعَى حَتَّى فُدِيَ بِهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾^(٦) يَعْنِي: هَابِيلَ

﴿وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ يَعْنِي: قَابِيلَ، فَازْدَادَ حَقًّا فِي هَابِيلَ وَتَهَدَّدَهُ.

﴿قَالَ لَا قُنُوتَ لَكَ﴾ قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ قَبَلَ قُرْبَانَكَ وَلَمْ يَقْبَلْ قُرْبَانِي،

(١) فِي «ظ»: «بِيُودَا».

(٢) فِي «ظ»: «وَلَمْ يَقْبَلَ».

(٣) «إِلَيْهَا» زِيَادَةٌ مِنْ «ظ».

(٤) «وَقَالَ» زِيَادَةٌ مِنْ «ظ».

(٥) فِي «ظ»: «فَقَرَّبَهُ».

(٦) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٦/ ١٨٨)، وَ«تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ» (١/ ٦٦٢-٦٦٣).

وتنكحُ أختي الحسناء، وأنكحُ أختك الذميمة، فيتحدثُ الناسُ أنك خيرُ مني .

﴿ قَالَ لَهُ هَابِيلُ : لَا ذَنْبَ لِي .

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَأَنْتَ غَيْرُ مُتَّقٍ .

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِلَيَّ
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٨)

[٢٨] وكان هابيلُ أقوى وأبطشَ من أخيه قابيل^(١)، ولكنْ كانَ في شريعتهم أنَّ الرجلَ إذا أرادَ قتله رجلٌ آخرُ، لا يمتنعُ عليه، فلذلك قال له :
﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ ﴾ مددت^(٢) .

﴿ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ ﴾ أي^(٣) : بمادَّ .

﴿ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ : (يَدِيَ إِلَيْكَ) بإسكانِ الياء، والباقون : بفتحها^(٤)، وقرأ حمزةٌ، وعاصمٌ، والكسائيُّ،

(١) «قابيل» زيادة من «ظ» .

(٢) «مددت» زيادة من «ظ» .

(٣) «أي» ساقطة من «ظ» .

(٤) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/٤٢٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص : ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٠٣) .

وخلف، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَخَافُ) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ:
بِفَتْحِهَا^(١).

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴾^(٢).

[٢٩] ولما صمَّ قَابِيلُ^(٢) على قتل أخيه ومخالفة الله تعالى، وأبيه، قال
له هابيل:

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ ﴾ ترجع. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر: (إِنِّي) بفتح الياء،
والباقون: بِإِسْكَانِهَا^(٣).

﴿ بِإِثْمِي ﴾ بِإِثْمٍ قَتَلِي إِذَا قَتَلْتَنِي.

﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ بِإِثْمٍ مَعَاصِيكَ.

﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ بِقَتْلِي.

﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ وهذا دليل على أنهم كانوا في ذلك الوقت
مكلفين قد لحقهم الوعد والوعيد.

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٣).

[٣٠] ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ ﴾ شَجَعَتْهُ وَزَيَّنَتْ لَهُ.

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) «قَابِيل» زيادة من «ظ».

(٣) انظر: المصادر السابقة.

﴿ قَتَلَ أَخِيهِ ﴾ فَجَاءَ اغْتِيالاً وَهُوَ نَائِمٌ عِنْدَ جَبَلٍ ثَوْرٍ بِمَكَّةَ ، وَقِيلَ غَيْرُهُ .

﴿ فَقَتَلَهُ ﴾ وَالْمَقْتُولُ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً .

﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ دِيناً وَدُنْيَا ، وَبَقِيَ مَدَّةَ عَمْرِهِ مَطْرُوداً مُحْزُوناً .

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ﴾
قَالَ يُنَوِّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ
مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ .

[٣١] فلما قتله، تركه بالعراء، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، وقصده السباع لتأكله^(١)، فحمله في جرابٍ على ظهره أربعين يوماً حتى أرواح وأنتن^(٢).

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا ﴾ أَي: غرابين تقاتلا^(٣) فقتل أحدهما الآخر، فجعل.

﴿ يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أَي: يحفر فيها^(٤) حُفِيرَةً، فوارى فيها الغراب المقتول، وفعل ذلك .

﴿ لِيُرِيَهُ ﴾ أَي: ليري قابيل .

﴿ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ﴾ أَي: جيفته، فثمَّ قال:

(١) «لتأكله» زيادة من «ظ» .

(٢) «وأنتن» زيادة من «ظ» .

(٣) «تقاتلا» زيادة من «ظ» .

(٤) «أَي: يحفر فيها» زيادة من «ظ» .

﴿ قَالَ يَوَيْلَیَّ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ على حمّله، لا على قتله. قرأ الدورقي عن الكسائي بخلاف عنه: (يُورِي) (فأورِي) بالإمالة، ووقف رويس بخلاف عنه: (يا وَيْلَتَاه) (يا أَسَفَاه) (يا حَسْرَتَاه) بزيادة هاء^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما قُتِلَ وَلَدُ آدَمَ عليه السلام وهو بمكة، اشتاك الشجر، وتغيرت الأطعمة، وحِمِضَتِ الفواكه، واغبرت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حدث، فكان قتل ولده^(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً^(٣): مَنْ قَالَ: إِنَّ آدَمَ قَالَ شعراً، فقد كذب؛ إِنَّ محمداً والأنبياء في النهي عن الشعر سَوَاءٌ، بل رثى ولده بالسريرية، فأخذها يعرب بن قحطان، وكان يتكلّم بالعربية والسريانية، وهو أول مَنْ خَطَّ بالعربية، وكان يقول الشعر، فرتّبها ووزنها شعراً، وهي:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهَ الْأَرْضِ مُغْبَرُّ قَيْحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْ وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الصَّبِيحُ

وزيد فيه أبيات منها:

وَمَا لِي لَا أَزِيدُ بِسَكْبٍ دَمْعٍ وَهَابِيلُ تَضَمَّنَهُ الضَّرِيحُ
أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ عَلَيَّ غَمًّا فَهَلْ أَنَا مِنْ حَيَاتِي مُسْتَرِيحُ

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٦٩، ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٦٥)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ١٣٩).

(٣) «أيضاً» زيادة من «ظ».

وبعد قتل هابيل بخمس سنين، ولدت حواء شيئاً، وتفسيره: هبة الله، يعني: أنه خلف من (١) هابيل، وأنزل عليه خمسون صحيفة، وصار وصي آدم وولي عهده، وبقي نسله، وأما قابيل فإنه (٢) هرب بأخته إقليما، وعبد النار، واتخذ أولاده آلات اللهو، وانهمكوا في اللهو (٣) وشرب الخمر والزنا والفواحش، وعبادة النار، حتى غرقهم الله تعالى بالطوفان أيام نوح عليه السلام (٤).

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢)

[٣٢] قال ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ (٥) الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» (٦)

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أي: بسبب ذلك القتل. قرأ أبو جعفر: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ)

(١) في «ظ»: «عن».

(٢) «فإنه» زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «الملاهي».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٦٥)، و«تفسير القرطبي» (٦/١٤٠).

(٥) «آدم» سقطت من «ظ».

(٦) رواه البخاري (٣١٥٧)، كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه

وذريته، ومسلم (١٦٧٧)، كتاب: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل، عن

ابن مسعود - رضي الله عنه -.

بكسر النون وحذف الهمزة ونَقَلَ حركتها إلى نون (من)، وهي لغة، وقراءة العامة: بجزم النون وفتح الهمزة مقطوعاً^(١).

﴿كَتَبْنَا﴾ قضينا.

﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وخصَّ بنو إسرائيل بالذكر؛ لأن قتل النفس فيهم كان محظوراً؛ لأنهم أولُ أمةٍ نزل الوعيدُ عليهم في قتلِ الأنفس بحسبِ طغيانهم وسفكهم الدماء.

﴿أَنَّهُم مِّن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ﴾ قتل.

﴿نَفْسٍ﴾ أي: لم يقتلها قصاصاً.

﴿أَوْ﴾ بغير.

﴿فَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ من كفر وزناً أو قطع طريق ونحو ذلك.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيث إن قتل الواحد والجميع

سواء في استجلاب غضب الله، والعذاب العظيم.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: استنقذها من هلكة.

﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: يجبُ على الكل شكره.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالآيات الواضحة تأكيداً للأمر. قرأ

أبو عمرو (رُسُلْنَا) بجزم السين، والباقون: برفعها، وكذلك (رسلهم) و(رسلكم) حيث وقع^(٢).

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢٠٩/١)، و«تفسير البغوي» (١/٦٦٦)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدماطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٠٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/٤٠٨)، و«الغيث» =

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: المكتوب عليهم.

﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ بالقتل وانتهاك المحارم، والإسراف: التباعد عن حد الاعتدال في الأمر.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٣٣] وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «أَنَّ قَوْمًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، [فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرَضُوا، وَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] ^(١) بِلِقَاحِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَانْطَلَقُوا، وَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا صَحُّوا، قَتَلُوا الرَّاعِيَ، وَسَاقُوا النَّعَمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ^(٢) النَّبِيَّ ﷺ خَبَرَهُمْ ^(٣) مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَرْسَلَ فِي إِثْرِهِمْ، فَمَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ حَتَّى جِيءَ بِهِمْ إِلَيْهِ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَسَمِرَ ^(٤) أَعْيُنُهُمْ، وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ».

= للصفاسي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٧).

(١) ما بين معكوفتين سقطت من «ش».

(٢) «ذلك» زيادة من «ظ».

(٣) «خبرهم» ساقطة من «ظ».

(٤) في «ظ»: «سملت».

وحكى أهل التاريخ أنهم قطعوا أيدي الراعي ورجليه، وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات، وأدخل المدينة ميتاً، وكان اسمه يساراً، وكان نوبياً رحمه الله، وكان هذا الفعل من هؤلاء^(١) المرتدين سنة ست من الهجرة الشريفة^(٢).

قال أبو قلابة: فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله^(٣). قال^(٤): فأنزل الله في ذلك:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ﴾ أي: أوليائه.

﴿ وَرَسُولَهُ ﴾ ومحاربة المسلمين في حكم محاربة رسوله.

﴿ وَيَسْعَوْنَ ﴾ أي: وسعوا ﴿ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي: مفسدين.

﴿ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ ﴾ الذي ذكرت من الحد.

﴿ لَهُمْ خِزْيٌ ﴾ ذل وفضيحة.

﴿ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لعظم ذنوبهم.

(١) «هؤلاء» زيادة من «ظ».

(٢) «الشريفة» زيادة من «ظ».

(٣) رواه البخاري (٦٤١٩)، كتاب: المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، ومسلم (١٦٧١)، كتاب القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين.

(٤) «قال» ساقطة من «ظ».

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: فإن جاؤوا قبل القدرة عليهم تائبين، استثناءً مخصوصاً بما هو حقُّ الله تعالى، يدلُّ عليه قوله عز وجل: ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

اتفق الأئمة رضي الله عنهم على أن حكم هذه الآية مرتَّبٌ^(١) في المحاربين، وهم قطاعُ الطريق من أهل الإسلام، وإن كانت نزلت في المرتدين، وقد ثبت في «صحيح مسلم»، و«كتاب النسائي»، وغيرهما: أن النبي ﷺ إنما سَمَلَ أعين أولئك؛ لأنهم سملوا أعين الرعاء^(٢)، فكان هذا^(٣) قصاصاً منه.

واختلفوا فيمن يستحقُّ اسمَ المحاربة، فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تكونُ المحاربةُ في المِصرِ، إنما تكون خارجاً من المِصرِ، وخالفه أبو يوسف فقال: لو كانَ في المِصرِ ليلاً، أو بينهم وبين المِصرِ أقلُّ من مسيرة سفر، فهم قطاعُ الطريق، وعليه الفتوى؛ نظراً لمصلحة الناس، وقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ رحمهم الله تعالى: حكمهم في المِصرِ والصحراءِ واحدٌ.

(١) في «ت»: «مرتَّب».

(٢) رواه مسلم (١٦٧١)، (١٢٩٨/٣)، كتاب: القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين، والنسائي (٤٠٤٣)، كتاب: تحريم الدم، باب: ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح على يحيى بن سعيد في هذا الحديث.

(٣) في «ظ»: «ذلك».

واختلفوا في حكم المحارب، فقال أبو حنيفة رحمه الله: إذا قُتل ولم يأخذ مالا، قُتل، وإن لم يكن المقتول مكافئاً له، وإن أخذ المال ولم يقتل، قُطعت يده ورجله من خلاف، وإذا أخذ المال وقُتل، فالسلطان مخيرٌ فيه، إن شاء قطع يده ورجله، وإن شاء لم يقطع، وقتله وصلبه، ولا يُصلب أكثر من ثلاثة أيام.

وقال مالك: الإمام مخيرٌ في الحكم على المحاربين، يحكمُ عليهم بما شاء من الأحكام التي أوجبها الله تعالى؛ من القتل، أو الصلب، أو القطع، أو النفي، وإن لم يقتلوا ولم يأخذوا مالا، على ما^(١) يراه فيهم ردعاً لهم، ولا يُشترط أن يكون المقتول مكافئاً له كقول أبي حنيفة رحمه الله.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا أخذ المال، قُطعت يده اليمنى ورجله اليسرى، فإن عاد، فیسراه ويُمناه، وإذا قُتل من يكافئه، قُتل حتماً، وإذا أخذ المال وقُتل، قُتل، ثم صُلب ثلاثاً.

وقال أحمد رحمه الله: إذا قُتل من يكافئه أولاً؛ كولدِه وعبد، وذمي، وأخذ المال، قُتل حتماً، ثم صُلب المكافئ دون غيره، وصلبه حتى يشتهر، ومن قُتل ولم يأخذ المال، قُتل حتماً، فلا أثر لعفو ولي، ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل، قُطعت يده اليمنى ورجله اليسرى في مقام واحد، وحُسمتا، وخُلِّي، فإن كانت يمينه مقطوعة، أو مستحقة في قصاص، أو شلاء، قُطعت رجله اليسرى فقط، فإذا أخاف السبيل ولم يأخذ المال ولم يقتل؛ نفي بالاتفاق. واختلفوا في معنى النفي.

فقال أبو حنيفة رحمه الله: نفيه سجنه، فينفي من سعة الدنيا إلى

(١) في «ظ»: «حكم بما».

ضيقها، وقال مالك: هو أن يُطلب أبداً^(١) بالخيَل والرَّجُل حتى يوجد^(٢) فيقام عليه حدُّ الله تعالى، أو يُخرج من دار الإسلام هرباً ممن يطلبه.

وقال الشافعي - رحمه الله -: يُخرج من بلد إلى بلد، ويُطلب لتقام عليه الحدود.

وقال أحمد: يُشَرَّد، فلا يُترك يأوي إلى بلد ولو عبداً حتى تظهر توبته، وإن كانوا جماعة نفوا متفرقين.

وهل يُعتبر النصاب في المال الذي يأخذه المحارب كما يُعتبر في السارق؟ فقال مالك: لا يُعتبر، وقال الثلاثة: يُعتبر، ويأتي ذكر النصاب قريباً عند تفسير آية السرقة.

واتفقوا على أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وأهله وماله، فإن كفَّ المحارب، تركه، وإن لم يكفَّ وقتله، فدمه هدر، فإن تاب المحاربون، وجأؤوا تائبين قبل القدرة عليهم، سقط عنهم ما كان حداً^(٣) لله تعالى، وأخذوا بحقوق الأدميين من نفس وجراح ومال، باتفاق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ 

[٣٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ القرية.

(١) «أبداً» سقطت من «ظ».

(٢) في «ظ»: «يؤخذ».

(٣) في «ظ»: «حقاً».

وَأَصْلُ الْوَسِيلَةِ: التَّوَصُّلُ إِلَى الشَّيْءِ رَغْبَةً فِيهِ.

﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بِالْوَصُولِ إِلَيْهِ، وَالْفُوزِ

بِكِرَامَتِهِ.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَى لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَى لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ﴾ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ.

﴿ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ لِيَجْعَلُوهُ فِدْيَةً لَأَنْفُسِهِمْ.

﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ ﴾ ذَلِكَ الْفِدَاءُ ﴿ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾

تَصْرِيحٌ، الْمَقْصُودُ مِنْهُ:

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابُ مُقِيمٌ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا ﴾ أَي: يَتَمَنُونَ الْخُرُوجَ.

﴿ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابُ مُقِيمٌ ﴾ دَائِمٌ لَا يَزُولُ.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ:

﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: أيماهما، وكذلك هو في مصحف
عبد الله بن مسعود، والمراد بأيديهما: يديهما، وُضِعَ الجمعُ موضعَ الاثنين
لثلاثي يجمع في كلمة واحدة بين تثنيتين نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾
[التحريم: ٤]. والسرقَةُ: أخذُ مالٍ الغير في خُفْيَةٍ.

واتفق الأئمة على أن من سرق نصاباً من المال من حرز لا شبهة له فيه،
تُقَطَّعُ يده اليمنى من الكوع، وتُحَسَمُ، ولا يجبُ القطعُ بسرقة ما دون
النصاب بالاتفاق.

واختلفوا في قَدْرِ النَّصَابِ.

فقال أبو حنيفة: هو دينارٌ، أو عشرة دراهم مضرورية من النُّقْرة، أو
ما قيمته عشرة دراهم.

وقال مالك وأحمد: ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الورق،
أو عرض يساوي أحدهما.

وقال الشافعي: ربع دينار خالصاً، أو قيمته من دراهم وغيرها.

ثم إذا سرق ثانياً، تُقَطَّعُ رجله اليسرى من مفصل القدم بالاتفاق، فإن
سرق ثالثاً ورابعاً، فقال أبو حنيفة وأحمد: يُحْبَسُ حتى يتوب، ولا يقطع أكثر
من يد ورجل، وقال مالك والشافعي: يُقَطَّعُ في الثالثة يده اليسرى، وفي
الرابعة رجله اليمنى، ثم إذا سرق بعده، يُعَزَّرُ ويُحْبَسُ حتى تظهر توبته.

واختلفوا في ثبوت حدِّ السرقَةِ بالإقرار، فقال الثلاثة: يثبت بإقرار
السارق مرّةً، وقال أحمد: لا يثبت إلا بإقرار^(١) مرتين، وهو قول

(١) في «ن»: «بإقراره».

أبي يوسف وزُفِرَ، فإن رجعَ عن الإقرار، قُبِلَ رجوعُهُ، وسقطَ القطعُ عندَ الثلاثة، وعندَ مالكٍ: إن رجعَ إلى شُبْهَةٍ، سقطَ عنه القطعُ، وإن رجعَ إلى غيرِ شُبْهَةٍ، فعنه روايتان، وأما المالُ، فلا يسقطُ بالاتفاق. ولا قطعَ على المنتهبِ والمختلسِ والغاصِبِ والخائنِ بالاتفاق.

﴿ جَزَاءُ يَمَّا كَسَبَا ﴾ نصبٌ على الحال، ومثله.

﴿ نَكَلًا ﴾ أي: عقوبةٌ ﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ يقال: نكلتُ به: إذا فعلتُ به ما يجبُ أن ينكلَ به عن ذلكَ الفعل.

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فيما يفعله.

﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[٣٩] ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ ﴾ رجعَ عن ارتكابِ السرقة. قرأ أبو عمرو: (مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ) بإدغامِ الدالِ في الظاء.

﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ العمل.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يقبلُ توبته، فلا يعذِّبه في الآخرة.

فأما القطعُ، فلا يسقطُ عنه بالتوبة عندَ أبي حنيفة ومالك، وفي الأظهر من مذهبِ الشافعي، وعندَ أحمد إذا تابَ قبلَ ثبوتِهِ، سقطَ بمجردِ التوبة قبلَ إصلاحِ العمل.

وإذا قطع السارق وكان المسروق قد تلف، فقال أبو حنيفة: لا يجب عليه ما سرق؛ لأنه لا يجتمع عنده قطع وضمان، وقال الثلاثة: يجتمع، إلا عند مالك إذا كان السارق مُعْسِراً، وأما إذا كان المسروق قائماً عنده، يُسْتَرَدُّ لمالكه بالاتفاق؛ لأنَّ القطع حقُّ الله، والغرم حقُّ العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[٤٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به الجميع.

﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ على الصغيرة.

﴿ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ الكبيرة.

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ونزل تسلياً للنبي ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ﴾ . قرأ
نافع: بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي^(١).

﴿الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلى موالاته الكفار.
تلخيصه: لا تهتم بمسارعة المنافقين في موالاته الكفار؛ فإنني ناصر
عليهم. قرأ الدوري عن الكسائي: (يُسَارِعُونَ) بالإمالة^(٢).

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون
﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني: اليهود.

﴿سَمَّعُونَ﴾ أي: قوم سمَّاعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أي: قابلون لما
يختلقه أحبارهم من الكذب على الله ورسوله؛ كقوله: سمع الله لمن
حمده؛ أي: قبل.

﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ﴾ أي: لأجل قوم.

﴿ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ﴾ المعنى: هؤلاء الجماعة الذين جاؤوك من اليهود
هم جواسيس لطائفة أخرى منهم لم تجئك؛ لأنه كان قد زنى يهودي
بيهوديّة، وكانا مُحْصَنَيْنِ شريفيين عند أهل خيبر، وكان حدُّهما الرجم،

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٠٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٩).

فكرهوا رَجَمَهُمَا، فأرسلوا بهما مع جماعة من قريظة والنضير ليسألوا النبي ﷺ عن حدِّهما عنده، وقالوا: إنَّ أَمْرَكُمْ مُحَمَّدٌ بِالْجَلْدِ، فاقبلوا، وإنَّ أَمْرَكُمْ بِالرَّجْمِ، فاحذروا، فعلى هذا (سَمَاعُونَ) الأولى لأهل خيبر، والثانية قريظة والنضير، فحكم ﷺ بالرجم، فرجما عند باب المسجد بعد إنكارهم ذلك، وبعد أن أراهم عبدُ الله بنُ سلام ذلك الحكم في التوراة، فكان الزاني بالمرأة حالة الرجم يَخْنَى على المرأة يقيها الحجارة، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»^(١).

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يميلونه عن مواضعه التي وُضع عليها من الصحة ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ أي: الحكم المغيّر، وهو الجلد ﴿فَخَذُوهُ﴾.

﴿وَإِنْ لَمْ تَوْتُوهُ فَأَحْذَرُوا﴾ محمداً وحكمه ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله وعذابه.

﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ لن تقدر على دفعه عنه.
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ﴾ من الكفر، فيه ردٌّ على من يُنكِرُ القدر.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوانٌ بالجزية، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه ما يكرهون ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الخلود في النار.

(١) رواه مسلم (١٧٠٠)، كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، عن البراء بن عازب - رضي الله عنه -.

﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤٢).

[٤٢] ونزل في كعب بن الأشرف وفيمن كان مثله يقبل شهادة الزور، ويحكم ويرتشي:

﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ﴿قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، والكسائي: (السُّحْتِ) بضم الحاء، والباقون: بسكونها^(١)، وهو الحرام الذي يلزم صاحبه العار، من سحتة: إذا استأصله؛ لأنه مسحوت البركة، وسُميت الرشوة سُحْتًا؛ لسحتها المروءة والدين، والرشوة في الحكم: إذا رشوته ليحق لك باطلاً، أو يبطل عنك حقاً.

ولا خلاف بين الأئمة أن أخذ الرشوة على إبطال حق أو ما لا يجوز سحت حرام، ولا ينفذ القضاء بالرشوة بالاتفاق، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ»^(٢)، وفي رواية: «وَالرَّائِشَ»، وهو الماشي بينهما^(٣)،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/٦٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٨٠)، كتاب: الأقضية، باب: في كراهية الرشوة، والترمذي (١٣٣٧)، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٣١٣)، كتاب الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» =

وأما إذا لم يكن للقاضي رزقٌ في بيت المال، فأخذَ جُعلاً من الخصم، جازَ إذا قضى بالحق، وهو مذهبُ الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة إذا أرادَ القاضي أن يكتبَ السجل، ويأخذَ على ذلك أجراً، يأخذُ منه مقدارَ ما يجوزُ أخذه لغيره، وكذا لو تولَّى القسمةَ بنفسه بأجرٍ، وعند مالكٍ لا ينبغي أن يأخذَ رزقه إلا من الحبس، أو من الجزية، أو من عُشورِ أهلِ الذمة.

﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ خَيْرَ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ في الحكم بينهم إن شاء، وإن شاء ترك.

واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيارُ في الحكم بين أهلِ الذمة إذا تحاكموا؟ فقال أكثرُ أهلِ العلم: هو حكمٌ ثابتٌ، وليس في سورة المائدة منسوخٌ، وحكامُ المسلمين بالخيارِ في الحكم^(١) بين أهلِ الكتاب، إن شأوا حكموا، وإن شأوا لم يحكموا، وهو قولُ مالكٍ والشافعي وأحمد، وقال قومٌ: حكمُ الآية منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ يَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]، فيجبُ على حاكم المسلمين الحكمَ بينهم، وهو قولُ أبي حنيفة وأصحابه، فأما إذا كانتِ الخصومةُ بين مسلمٍ وذميٍّ، فيجبُ الحكمُ بينهما بالاتفاق؛ لأنه لا يجوزُ لمسلمٍ الانقيادُ لحكم أهلِ الذمة.

﴿ وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: عن الحكم بينهم.

﴿ فَكَنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا ﴾ نصبٌ؛ لقيامه مقامَ المصدر؛ أي: ضرراً.

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل.

﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ العادلين.

= (١٤١٥)، والحاكم في «المستدرک» (٧٠٦٨)، عن ثوبان - رضي الله عنه - .

(١) «في الحكم» ساقطة من «ن» .

﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ ﴾ هذا تعجبٌ للنبي ﷺ ؛ أي : وكيف يجعلونك حَكَمًا بينهم .

﴿ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾ وهو الرجم .

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ الحكم .

﴿ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالمصدقين لك في الحكم .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بِبَايِعَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ يكشف ما استبهم من الأحكام .

﴿ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ يعني : أنبياء بني إسرائيل ﴿ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ وانقادوا لأمر الله .

﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ أي : يحكمون بها في تحاكمهم .

﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ ﴾ من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين ، وجانبوا دين اليهود .

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ العلماء، واحدُهم (حَبْرٌ) بكسرِ الحاءِ وفتحِها، وهو العالمُ المُحَكِّمُ.

﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا﴾ أي: استودِعُوا.

﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ وأَمَرُوا بحفظه من التضييع والتحريف.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ﴾ أي: على ما فيه من الأحكام.

﴿شُهَدَاءَ﴾ رقباء؛ لئلاً يبدل.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ﴾ في إظهارِ نعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجم، والحكم بالحقِّ خوفَ الظَّلمَةِ.

﴿وَآخِشُونَ﴾ في تركِ أحكامي. أثبتَ أبو عمرو، وأبو جعفرُ الياءَ في (وَآخِشُونِي) حالةِ الوصل، وأثبتها يعقوبُ وَصلاً وَوَقْفاً، وأسقطها الباقون في الحالين^(١). قالَ البيضاويُّ: نهْيٌ للحكَّامِ أَنْ يَخْشَوْا غَيْرَ اللَّهِ في حكوماتِهِمْ، ويُدَاهِنُوا فيها خشيةَ ظالمٍ، أو مراقبةً كبيرٍ^(٢).

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها.

﴿تَمَنَّا قَلِيلاً﴾ هو الرشوةُ والجاهُ.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مُسْتَهِيناً به، منكراً له.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لاستهانتِهِمْ به، وتمرُّدِهِمْ بأنَّ حكموا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١١).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/٣٢٨).

بغيره، ولذلك وصفهم بقوله: [(الكافرون)^(١)] (الظالمون) و(الفاسقون) فكفرهم لإنكاره، وفسقهم بالخروج عنه، وظلمهم بالحكم على خلافه، ويجوز أن تكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت إلى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها، أو لطائفة؛ كما قيل: هذه في المسلمين؛ لاتصالها بخطابهم، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى، انتهى تفسير البيضاوي.

وقال ابن عباس: «وليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعل ذلك، فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر»^(٢).
وعنه: «الكافرون والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين»^(٣).

﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْأَنفِ وَالْأَنفَ بِالْأَذْنِ وَالْأَذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فرضنا على اليهود.

﴿فِيهَا﴾ في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي: نفس القاتل بنفس المقتول.

﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ تَفَقُّأً بها ﴿وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ﴾ يُجَدِّعُ به.

(١) لم ترد هذه الكلمة في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٥٦/٦).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٦٨٠/١).

﴿وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ﴾ تَقْطَعُ بِهَا.

﴿وَاللِّسَنَ بِاللِّسَنِ﴾ تَقْلَعُ بِهَا، وَسَائِرُ الْجَوَارِحِ قِيَاسٌ عَلَيْهَا فِي الْقَصَاصِ.

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أَي: ذَاتُ قِصَاصٍ، فَبِهَذَا تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ.

قَرَأَ الْكَسَائِيُّ: (وَالْعَيْنُ) (وَالْأَنْفُ) (وَالْأُذُنُ) (وَالسِّنُّ) (وَالْجُرُوحُ) بِالرَّفْعِ عَلَى الْقَطْعِ مِمَّا قَبْلَهَا، وَالِاسْتِثْنَاءُ بِهَا، وَافَقَهُ فِي (وَالْجُرُوحِ) خَاصَّةً ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ الْخَمْسَةَ: بِالنَّصْبِ عَلَى الْعَطْفِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ (وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ) بِإِسْكَانِ الذَّالِ فِيهِمَا، وَالْبَاقُونَ: بِالرَّفْعِ^(١).

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أَي: الْقِصَاصِ.

﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لِلْمُتَصَدِّقِ بِأَنْ يَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ، كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَدْرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ»^(٢).

وَتَقَدَّمَ حَكْمُ الْقَتْلِ الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، وَقَدْرُ الدِّيَةِ، وَحَكْمُ الْكَفَّارَةِ، وَاخْتِلَافُ الْأَثْمَةِ فِي ذَلِكَ مُسْتَوْفَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ بَعْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [الْآيَةُ: ٩٢]، وَتَقَدَّمَ اخْتِلَافُ الْأَثْمَةِ فِي الْقِصَاصِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ، وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢، ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٤٦)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨/ ٢٩٩)، عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - بهذا اللفظ.

قوله تعالى: ﴿الْحَزْبُ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة، وتمردوا بأن حكموا بغيرها.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾.

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ وأتبعنا.

﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: آثار النبيين المتقدمي الذكر.

﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ حال من (عيسى).

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدّمه.

﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ يعني الإنجيل.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٧﴾.

[٤٧] ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ قرأ حمزة: (وَلِيَحْكُمَ)

بكسر اللام ونصب الميم؛ أي: لكي يحكم، وقرأ الباقون: بسكون اللام وجزم الميم على الأمر^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، =

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الخارجون عن أمر الله عز وجل، والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام، وأنه كان مستقلاً بالشرع، وحملها على: وليحكموا بما أنزل الله فيه؛ من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر.

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد.

﴿ الْكِتَابَ ﴾ القرآن.

﴿ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: من الكتب المنزلة من قبل.

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أي: رقيباً وشاهداً لها بالصحة، قال حسّان:

إِنَّ الْكِتَابَ مُهَيْمِنٌ لِنَبِينَا وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

= و«تفسير البغوي» (١/٦٨٣)، و«الكشف» لمكي (٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١٤).

﴿ فَأَحْكُمْ ﴾ يا محمد.

﴿ يَبَيِّنُهُمْ ﴾ أي: بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك.

﴿ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ أي: بالقرآن.

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ عادلاً.

﴿ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولا تعرض عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم.

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ سبيلاً واضحاً وسُنَّةً، وأراد بهذا: أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل مِلَّةٍ شريعة، قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وعيسى، وأمة محمد صلوات الله عليهم أجمعين: التوراة شريعة، والإنجيل شريعة، والقرآن شريعة، والدين واحد، وهو التوحيد.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ على دين واحد.

﴿ وَلَكِنْ ﴾ فَرَقَكُمْ فِرْقًا.

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ لِيختبركم.

﴿ فِي مَآءَاتِكُمْ ﴾ من الكتب والشرائع المختلفة ليظهر لكم أيكم الطائع من العاصي.

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ فابتدروا إلى العمل بالطاعات، وأصل السَّبْق: التقدم في السير.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق^(١)،
ووعدٌ ووعيدٌ للمبادرين والمقصرين.

﴿فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل،
والعامل والمقصر.

﴿وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿وَأَن أٰحْكُمَ﴾ التقدير: وأمرنا أن احكم.

﴿بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ أي: واحذر
فتنتهم.

﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أن يضلوكم ويصرفوك عنه. روي أن أحبار
اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمدٍ نفثته عن دينه، فقالوا: يا محمد! قد
عرفت أننا أحبار اليهود، وإنا إن اتبعناك، اتبعنا اليهود كلهم، وإن بيننا وبين
قومنا خصومة، فنتحاكم إليك، فافض لنا عليهم، ونحن نؤمن بك
ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فنزلت:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾^(٢) عن الحكم المنزل، وأرادوا غيره.

(١) في «ن»: «بالاستئناف».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧٣/٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١١٥٤/٤)،
و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٩).

﴿ فَأَعْلَمَ أَنهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ بأنَّ يعجلَ لهم العقوبة في الدنيا ببعضِ عملهم.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ يعني : اليهود.

﴿ لَفَاسِقُونَ ﴾ متمرّدون في الكفر، مُعْتَدُونَ فيه.

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

[٥٠] ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ يطلبون. قرأ ابنُ عامرٍ : (تَبْغُونَ) بالخطاب، والباقون : بالغيب^(١).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ خطابٌ للموقنين ؛ فإنهم الذين يتبينون أن لا أحد أحسنُ حكماً من الله.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

[٥١] ونزل نهياً عن موالاته الأعداء في الدين :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ فلا تعتمدوا عليهم، ولا تعاشرهم معاشرة الأحاب.

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص : ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/٦٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص : ٢٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١٦).

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنصرة؛ فإنهم متفقون على خلافكم ومضادّتكم.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ فيعينهم.

﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكافرين.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾

[٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق، وهم عبدُ الله بن أبي وأصحابه من المنافقين.

﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في موالاتهم ومعونتهم.

﴿يَقُولُونَ﴾ اعتذاراً:

﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ بأن يدور الدهر علينا من جذب وغلبة وغيرهما، ولا يتم أمر محمد، فنزل توبيخاً لهم، وإيماء إلى تامة أمره ﷺ:

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بنصر محمد ﷺ، وإظهار دينه.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ هو^(١) إجلاء اليهود من ديارهم.

(١) في «ت»: «من».

﴿فَيُضَيِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من موالاة الكفار .

﴿نَدِمِينَ﴾ فضلاً عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ أي : وحينئذ يقول .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوبُ : (ويقول) بالواو ونصب اللام عطفًا على (أَنْ يَأْتِيَ)؛ أي : وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ : (وَيَقُولُ) بالواو ورفع اللام على الاستئناف، وقرأ الباقون، وهم ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ : بغير واو، ورفع اللام، وكذلك هو في مصحفِ أهلِ العالية^(١)، واستُغني عن حرفِ العطفِ لمناسبةِ هذه الآية بما قبلها؛ يعني : يقولُ الذين آمنوا في وقتِ إظهارِ الله نفاقِ المنافقين :

﴿أَهْتَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي : حلفوا بأغلظِ الأيمان .

﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ مؤمنين مثلكم؟ ثم قال المؤمنون داعين متعجبين من صنيع المنافقين .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص : ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/٦٨٦-٦٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١٧-٢١٨) .

﴿ حِطَّتْ ﴾ بَطَلَتْ .

﴿ أَعْمَلُهُمْ ﴾ الصالحة .

﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ الدنيا بافتضاحهم ، والآخرة بالعذاب .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

[٥٤] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ ﴾ أي : يرجع .

﴿ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ كافرًا بعد موت النبي ﷺ . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن عامر : (يَرْتَدُّ) بدالين مظهرتين على الأصل ، الثانية مجزومة بـ (مَنْ) ، وقرأ الباقر : (يَرْتَدُّ) بدالٍ واحدة مشددة مفتوحة لالتقاء الساكنين ^(١) .

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ ﴾ غيرهم مكانهم .

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ والمراد بالقوم : أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة ، وروى أنهم قوم أبي موسى الأشعري ، وقيل : هم أحياء من اليمن جاهدوا يوم القادسية أيام عمر ^(٢) .

﴿ أَذِلَّةٌ ﴾ أرقاء رحماء .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٤٥) ، و«الكشف» لمكي (١/٤١٢) ، و«تفسير البغوي» (١/٦٨٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١٨) .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» (٦/٢٨٢) ، و«تفسير البغوي» (١/٦٨٧) .

﴿ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : هم لَيَّنُونَ متواضعون لهم .

﴿ أَعَزَّ ﴾ أشداء غلظاء .

﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ كالسَّبْعِ على فريسته .

﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ المعنى : إنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله ، والتصلُّب في دينه ؛ بخلاف المنافقين ؛ فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود ، فلا يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم ، واللَّومَةُ : المرَّةُ من اللُّوم .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : ما وُصِفَ به القوم من لين جانبهم للمؤمنين ، وشِدَّتِهم على الكافرين ، وعدم خوفهم .

﴿ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يمنحه ويوفِّق له .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ كثير الفضل .

﴿ عَلِيمٌ ﴾ من هو أهل .

﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ .

[٥٥] ولما نهى عن موالاته الكفرة ، ذَكَرَ عَقِبَهُ مَنْ هُوَ حَقِيقٌ بِهَا ، فقال :

﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وإنما قال : وَلِيُّكُمْ ولم يقل : أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة ، ولرسوله والمؤمنين على التبع ، رُوي أن عبد الله بن سلام جاء للنبي ﷺ وقال : إِنَّ قَوْمَنَا قُرَيْظَةَ والنضير قد أقسموا إنهم لا يُجالسوننا ، فنزلت هذه الآية ، فقرأها عليه رسول الله ﷺ

فَقَالَ: «رَضِينَا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ»^(١).

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ مُتَخَشِّعُونَ فِي صَلَاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ سَأَلَهُ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ فِي صَلَاتِهِ، فَطَرَحَ لَهُ خَاتَمَهُ^(٢)، وَاسْتَدَلَّ بِهَا الشَّيْعَةُ عَلَى إِمَامَتِهِ زَاعِمِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَلِيِّ: الْمَتَوَلَّى لِلْأُمُورِ، وَالْمُسْتَحَقُّ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٥٦).

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَمَنْ يَتَّخِذْهُمْ أَوْلِيَاءَ.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ.

﴿هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ لِأَنَّهُ تَعَالَى نَاصِرُهُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥٧).

[٥٧] وَنَزَلَ فِي رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ وَسُوَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ، أَظْهَرَا الْإِسْلَامَ، ثُمَّ نَافَقَا، وَكَانَ رَجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَادُّونَهُمَا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٨٨/٦). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزبيعي (٤٠٩/١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١٠٦/٣).

فَيَكْفُرُوا^(١) هُم الْيَهُودُ؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِالَّذِينَ .


﴿وَالْكَافِرَ﴾ أَي : لَا تَتَّخِذُوا الْمُسْتَهْزِئِينَ وَالْكَافِرَ .

﴿أُولَئِكَ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي: (وَالْكَافِرَ)^(٢) بخفضِ

الراء؛ يعني: من الكفار، وقرأ الباقر: بالنصب؛ أي: لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرَ أُولَئِكَ^(٣) .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك المناهي .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لَأَنَّ الْإِيمَانَ حَقًّا يَقْتَضِي ذَلِكَ .

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾  .

[٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا﴾ أَي : الصلاة أو المناداة .

﴿هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ لَأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلْمُسْلِمِينَ عِنْدَ قِيَامِهِمْ إِلَى الصلاة: قَامُوا لَا قَامُوا، صَلُّوا لَا صَلُّوا، وَقَالَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ لَمَّا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: أَحْرَقَ اللَّهَ الْكَاذِبَ، فَدَخَلَ خَادِمُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِنَارٍ، وَأَهْلُهُ نِيَامٌ، فَطَارَتْ شَرَارَةٌ فَأَحْرَقَتْهُ مَعَ بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ .

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩٠/٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١١٦٣/٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٠) .

(٢) «والكفار» سقطت من «ت» .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (٦٩١/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٢٠) .

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿يَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فَإِنَّ السَّفَهَ يُوْدِّي إِلَى الْجَهْلِ بِالْحَقِّ وَالْهَزْءَ بِهِ،
والعقل يمنع منه.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ
مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٥٩] ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: هل تُنكرون منا
وتعيبون إلّا إيماننا.

﴿يَاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ من الكتب المنزلة.

﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ تلخيصه: وما تُنكرون إلّا مخالفتنا إياكم؛ حيث
دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه. قرأ حمزة، والكسائي، وهشام: (هَلْ
تَنْقِمُونَ) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار^(١)، والآية خطابٌ
لليهود حين سألوا رسول الله ﷺ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ، فقال: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
[البقرة: ١٣٦]، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوته، وقالوا: لا نعلم ديناً شراً من
دينكم^(٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٢)، و«إملاء

ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١١)، و«تخريج أحاديث الكشاف»

للزبيعي (١/ ٤١٢).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ
السَّبِيلِ﴾ (٦٠).

[٦٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم.

﴿بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ الذي ذكرتم^(١)؛ يعني قولهم: لا نعلم ديناً شراً من
دينكم.

﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاء.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ والمثوبة به^(٢) مختصة بالخير، كالعقوبة بالشر، فوضعت
ها هنا موضعها توسعاً، ونصبها على التمييز.

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدَه من رحمته.

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني: اليهود، سخطَ عليهم بكفرهم، وانهماكهم في
المعاصي بعدَ وضوح الآيات.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ﴾ وهم أصحابُ السبت.

﴿وَالْخَنَازِيرَ﴾ وهم كفارُ أهلِ مائدةِ عيسى، وعن ابنِ عباس: «أَنَّ
المسخين كلاهما من أصحابِ السبت، مُسِخَتْ شبائهم قردةً، ومشايخُهم
خنَازيرٌ»^(٣).

(١) في «ن»: «ذكرتموه».

(٢) «به»: زيادة من «ن».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٩٣).

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أطاع الشيطان. قرأ حمزة: (وَعَبَدَ) بضم الباء وجرّ (الطَّاغُوتِ) إضافةً، جعله اسماً على فعلٍ؛ كَعَضِدٍ، فهو بناءٌ للمبالغة والكثرة، وقرأ الباقر: بفتح الباء والتاء، جعلوه فعلاً ماضياً، وعطفه على فعلٍ ماضٍ وهو (غَضِبَ) و(لَعَنَ)^(١)، والمعنى عندهم: ومن عبد الطاغوت.

﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الملعونون.

﴿شَرِّ مَكَانًا﴾ لأن مكانهم النار.

﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق الحق، ولما نزلت هذه الآية، قال المسلمون لهم: يا إخوة القردة والخنازير! فنكسوا رؤوسهم افتضاحاً.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

[٦١] ونزل فيمن كان يدخل على النبي ﷺ ويظهر الإيمان نفاقاً:

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ يعني: هؤلاء المنافقين.

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بك وصدقناك.

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرين.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/٦٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٢٢).

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي آلَائِهِمُ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لِيَتَّسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٦٢].

[٦٢] ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ يُسْرِعُونَ فِي آلَائِهِمُ ﴾ أي: الشرك.

﴿ وَالْعُدُونِ ﴾ الظلم.

﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ الرُّشَا. قرأ نافع، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، وخلفٌ: (السُّحْتَ) في الحرفين بجزم الحاء، والباقون: بالرفع^(١).

﴿ لِيَتَّسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لِيَتَّسَ شيئاً عملوه.

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لِيَتَّسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [٦٣].

[٦٣] ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ ﴾ يعني: العلماء.

﴿ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ ثم وَبَّخَ علماءهم في تركهم نهيتهم،

فقال:

﴿ لِيَتَّسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ودلَّتِ الآية على أن تارك النهي^(٢) عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخُ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) تقدمت عند تفسير الآية (٤٢) من هذه السورة.

(٢) «النهي» ساقطة من «ن».

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ .

[٦٤] قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَسَطَ عَلَى الْيَهُودِ حَتَّى كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ مَالًا، فَلَمَّا عَصَوْا اللَّهَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَفَّ عَنْهُمْ مَا بَسَطَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّعَةِ، فَقَالَ فَنَخَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وَلَمْ يَنْكَرِ الْيَهُودُ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ، وَأَشْرَكُوا مَعَهُ، فَتَزَلَّ:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(١) أَي: مَحْبُوسَةٌ عَنْ إِدْرَارِ الرِّزْقِ عَلَيْنَا، نَسْبُوهُ إِلَى الْبَخْلِ.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أُمْسِكَتْ وَمُنَعَتْ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَأَجَابَهُمْ تَعَالَى: أَنَا الْجَوَادُ وَهُمْ الْبَخَلَاءُ، وَأَيْدِيهِمْ هِيَ الْمَغْلُولَةُ.

﴿وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾ أَي: أُنْبِعِدُوا وَعُذِّبُوا بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةُ الْجَارِحَةِ الْمَتْرَكَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى مَنْزَعٌ عَنِ التَّرَكِيبِ، وَإِنَّمَا هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ؛ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ١٧٥]، وَقَالَ ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»^(٢)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِفَاتِهِ، فَعَلَى الْعِبَادِ فِيهَا الْإِيمَانُ وَالتَّسْلِيمُ، وَأَنْ يُمَرُّوْهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفَ؟

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٩٣-٦٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧)، كتاب: الإمامة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

﴿يُنْفِقُ﴾ أي: يرزق.

﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من التوسيع والتضييق، لا اعتراض عليه. قرأ أبو عمرو:
(يُنْفِقُ كَيْفَ) بإدغام القاف في الكاف

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود.

﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن.

﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي: كلما نزلت آية، كفروا بها؛ لحسدِهِم.

﴿وَالْقِيَنَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين اليهود والنصارى، أو بين طوائف اليهود.

﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ جعلهم مختلفين في دينهم، متباغضين،

وتقدّم اختلاف القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة عند
تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكذلك اختلافهم في
قوله ﴿وَالْبَغْضَاءَ إِلَى﴾.

﴿كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أي: لحرب النبي ﷺ بإفساد أمره.

﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ بقهرهم ونصر نبيه؛ أي: كلما حاربوا، غلبوا.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بكفرهم وإضلال غيرهم.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلا يجازيهم إلا شراً.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بمحمد وما^(١) جاء به.

(١) في «ت»: «وبما».

﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ﴾ التي فعلوها .

﴿وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ ولجعلناهم من الدّاخلين فيها ، فيه تنبيه أن الإسلام يجب ما قبله ، وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٦) .

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ عملوا بما فيهما .

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني : القرآن وجميع الكتب .

﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ بقطر السماء .

﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بالنبات ، والمراد : سعة الرزق .

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه .

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه .

﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ بشئ سيئاً عملهم .

﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧) .

[٦٧] ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي : جميع المنزل إليك .

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تخفْ إلا اللهَ، ومن خصائصِهِ ﷺ وبرَّ اللهِ تعالى به
 أَنَّ اللهَ تعالى خاطَبَ جميعَ الأنبياءِ بِأَسْمَائِهِمْ، فقال: (يا آدمُ) (يا نوحُ) (يا
 إبراهيمُ) (يا داوُدُ) (يا عيسى) (يا زكريا) (يا يحيى)، ولم يخاطَبْ هو إلا (يا
 أَيُّهَا الرِّسُولُ) (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ) (يا أَيُّهَا المَزْمَلُ) (يا أَيُّهَا المَدَّثَرُ).

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أي: إن لم تبلغْ مجموعَهُ.

﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فما أَدَيْتَ شيئاً منها؛ لأن كتمانَ بعضها يضيِّعُ
 ما أُدِي منها؛ كتركِ بعضِ أركانِ الصلاة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ
 عامرٍ، وأبو بكرٍ، ويعقوبُ: (رِسَالَتِهِ) على الجمعِ، والباقون: على
 التوحيد^(١)، ثم قال مشجَعاً له:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أي: يحفظُكَ.

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فلا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِقَتْلِ ولا غَيْرِهِ، ونزلت بعدمَا شُجَّ
 وجهُهُ، وكُسِرَت رِبَاعِيَّتُهُ، والمرادُ بالناسِ: الكفارُ؛ لقولِهِ بعدُ^(٢):

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَرِّسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ،
 فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ وَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! انصَرِفُوا؛
 فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ»^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)،
 و«تفسير البغوي» (١/٦٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٢/٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٨٨).

(٢) في «ت»: «بعده».

(٣) رواه الترمذي (٣٠٤٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المائدة، وقال: =

﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ [٦٨]

[٦٨] ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ من الدِّين وما أنتم عليه لا اعتداد به ، فهو كلا شيء .

﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ ٱلْكِتَآبِ نَاطِقَةٌ بِوُجُوبِ الطَّاعَةِ لَهُ .
﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ ﴾ فلا تحزن .

﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ ففي المؤمنين كفاية عنهم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِغُونَ وَٱلنَّصَرَىٰ مِّنْ ءَٰمَنِ ٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلْ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٦٩]

[٦٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على الحقيقة .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِغُونَ وَٱلنَّصَرَىٰ ﴾ تقدّم تفسيره ، واختلافُ القراء فيه في سورة البقرة .

﴿ مِّنْ ءَٰمَنِ ٱللَّهِ ﴾ أي : ثبت على الإيمان .

= غريب ، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٢١) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٩) .

﴿ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ تقديره: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا،
والذين هادوا، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والصابئون والنصارى
كذلك. قرأ يعقوبُ: (فَلَا خَوْفَ) بفتح الفاء وعدم التنوين، والباقون:
بالرفع والتنوين^(١).

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾.

[٧٠] ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ في التوحيد والنبوة.

﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ﴾ ليعينوا لهم أمر دينهم.

﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ ﴾ مما يخالف أهواءهم.

﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا ﴾ كمحمد وعيسى.

﴿ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ يعني: قتلوا؛ كزكريا ويحيى.

﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ
عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

[٧١] ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ظنوا أنهم لا يُعَذَّبُونَ بذنوبهم. قرأ
أبو عمرو، ويعقوبُ، وحمزة، والكسائيُّ: (تَكُونُ) برفع النون على معنى:

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤، ٢٠٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢/ ٢٣٠).

أنه لا تكون، وقرأ الباقون: بالنصب^(١)، كما لو لم تكن قبله (لا).

﴿فَعْمُوا وَصَمُّوا﴾ عن الحق بعبادة العجل.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قبل توبتهم حين تابوا.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ بسؤال الرؤية، المعنى: رماهم الله بالعمى والصمم.

﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فمجازيهم^(٢) وفق أعمالهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يعني:

الملكائيات واليعقوبية منهم.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: إني عبدٌ مربوبٌ مثلكم.

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في عبادته.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/٦٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٣١).

(٢) في «ن»: «فيجازيهم».

﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ يُمنَعُ من دخولها.

﴿وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا لَشَرٍّ مِمَّا فَعَلْتُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فإنها المعدة للمشركين.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ينصرونهم من النار.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ أي: أحد.

﴿ثَلَاثَةٌ﴾ يعني: المرقوسية؛ لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله، فهم ثلاثة، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ولم يرد الآلهة^(١)، لم يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، ولقوله ﷺ لأبي بكر: «مَا ظَنَنْتُكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا؟»^(٢)، ثم قال ردّاً عليهم:

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ وما في الموجودات إلا إله واحد متعال عن الشراكة، و(من) مزيدة للاستغراق.

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ ولم يوحّدوا.

(١) في «ن»: «الإلهية».

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم (٢٣٨١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، عن أبي بكر - رضي الله عنه -.

﴿ لِيَمَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: ليمسَّ الذين بقوا منهم على الكفر.

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٧٤]

[٧٤] ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ أي: ألا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد، ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه.

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يغفر لهم إن تابوا.

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّ يَتُفَكُّونَ ﴾ [٧٥]

[٧٥] ثم نفى عن عيسى الألوهية، وأثبت له ولأمه البشرية بقوله:

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مَضَتْ.

﴿ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ فهو رسولٌ من جنس الرسل الماضين، يموت ويمضي، ولو كان إلهاً، لكان دائماً.

﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ كثيرة الصِّدْق.

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ أي: يحتاجان إليه كالآدميين، ومن هذه

صفته، كيف يكون إلهاً؟! ثم عجب من كفرهم مع قيام البرهان على بشريتهما فقال:

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ أي: الدلالات على ذلك، ثم عجب ثانياً من تركهم الإيمان مع وضوح الدليل، فجاء بـ(ثم) للتراخي بين العجبتين فقال:

﴿ ثُمَّ أَنْظِرْ أَفَّ يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يُصْرَفُونَ عن الحق، وتقدم في سورة آل عمران أن (ثم) للترتيب بمهلة.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٧٦].

[٧٦] ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ هو عيسى وكل معبود غير الله.

﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يملك الضر والنفع، فهو الإله على الحقيقة.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ تتجاوزوا

﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ والغلو والتقصير كل منهما مذموم في الدين.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ ﴾ والأهواء جمع الهوى، وهو ما تدعو إليه شهوة النفس.

﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني : أسلافهم وأئمتهم الذين ضلُّوا قبل مبعث محمد ﷺ في شريعتهم ، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ .

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من أصحابهم .

﴿وَضَلُّوا﴾ ثانياً لما بُعث النبي ﷺ .

﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي : عن قصد طريق محمد ﷺ .

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ يعني : أهل أيلة ، لعنهم داود ، فمسخوا قرده ، وتقدّم ذكر قصتهم في البقرة .

﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي : وعلى لسان عيسى ؛ يعني : كفار أصحاب المائدة ، لعنهم عيسى ، فمسخوا خنازير ، ويأتي ذكر قصتهم أواخر السورة .

﴿ذَلِكَ﴾ المسخ .

﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي : بسبب اعتدائهم بما حرّم الله .

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي : لا ينهى بعضهم

بعضاً .

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ذَمُّ لتركهم النهي .

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ من اليهود: كعب بن الأشرف وأتباعه .

﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركي مكة يستمدُّونهم على النبي ﷺ .

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: لبس شيئاً قدَّموه لمعادهم .

﴿أَنْ سَخِطَ﴾ أي: غضب .

﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ابتداءً وخبرٌ .

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ .

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: القرآن .

﴿مَا اتَّخَذُواهُمْ﴾ يعني: الكفار .

﴿أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾ خارجون عن أمر الله تعالى .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكَ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

يعني: مشركي العرب؛ لشدة شكيמתهم وتضاعف كفرهم.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾

لِللّٰينِ جَانِبِهِمْ، وَقَلَّةٌ حَرَصِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ جَمِيعَ النَّصَارَى، بَلْ مَنْ أَسْلَمَ؛ كَالنَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْهَجْرَةِ الْأُولَى فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْمُ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةُ، وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيِّ عَطِيَّةٌ، وَإِنَّمَا النَّجَاشِيُّ اسْمُ الْمَلِكِ؛ كَقَوْلِهِمْ: قَيْصَرٌ، وَكَسْرَى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أَي: قَرَبُ الْمَوَدَّةِ.

﴿يَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِيْنَ﴾ عِلْمَاءَ.

﴿وَرُهْبَانًا﴾ عُبَادًا.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لَا يَتَعَظَّمُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [٨٣].

[٨٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ وَالْمُرَادُ: وَفْدُ النَّجَاشِيِّ

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ، رَقَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَفَاضَتْ عَيُونُهُمْ بِالدَّمْعِ.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الْمُقْرئينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ [٨٤]

[٨٤] ولما عَيَّرَهم اليهودُ بالإيمانِ، قالوا منكِرِينَ على أنفُسِهِم تركَ الإيمانِ بعدَ^(١) قيامِ البرهانِ:

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ وحدهُ.

﴿ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: في أمةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٨٥]

[٨٥] ﴿ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين أحسنوا النظرَ والعملَ.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [٨٦]

[٨٦] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ وهي النارُ الشديدةُ الاتِّقَادِ.

(١) في «ن»: «مع».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٨٧]

[٨٧] ونزل نهياً لجماعة من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - حين حلفوا أن يترهبوا، ويلبسوا المُسُوحَ، ويقوموا الليل، ويصوموا النهار، ويَجُبُّوا مذاكيرهم، وهم: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو ذر الغفاري، وسالم مولى [أبي] ^(١) حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومقل بن مقرن، وعثمان بن مظعون:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ^(٢) من اللذات التي تشتهيها النفوس مما أحلَّ الله.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ لا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

قال ﷺ: «إِنَّ خِصَاءَ أُمَّتِي الصِّيَامُ، وَإِنَّ سِيَاخَتَهُمُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ رَهْبَانِيَّتَهُمُ الْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ» ^(٣).

(١) لم ترد في جميع النسخ، والصواب إثباتها.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٧٠٤-٧٠٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٩٠)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٣٧٠/٢)، وفي «تفسيره» (٧٠٥/١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢٦/٢١)، عن عثمان بن مظعون - رضي الله عنه -.

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [٨٨]

[٨٨] ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ حُتَّ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْحَلَالِ .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْحُلُوءَ وَالْعَسَلَ » ^(١) .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٨٩]

[٨٩] ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ ﴾ كَائِنًا .

﴿ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ وَاجْتِلَافُ الْأَيْمَةِ فِيهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ نَظِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥١١٥)، كِتَابُ: الْأَطْعِمَةِ، بَابُ: الْحُلُوءِ وَالْعَسَلِ، وَمُسْلِمٌ (١٤٧٤)، كِتَابُ: الطَّلَاقِ، بَابُ: وَجُوبِ الْكُفَارَةِ عَلَى مَنْ حَرَّمَ امْرَأَتَهُ وَلَمْ يَنْوِ الطَّلَاقَ . وَانْظُرْ: «السَّبْعَةُ» لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٢٤٧)، وَ«التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِي (ص: ١٠٠)، وَ«تَفْسِيرُ الْبُغْيُو» (١/٧٠٧)، وَ«إِمْلَاءُ مَا مَنَّ بِهِ الرَّحْمَنُ» لِلْعَكْبَرِيِّ (١/١٣٠)، وَ«النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ» لِابْنِ الْجَزَرِيِّ (٢/٢٥٥)، وَ«مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» (٢/٢٣٤) .

﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ﴿ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر: (عَقَدْتُمْ) بالقصرِ والتخفيفِ، ورواهُ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ كذلك، إلا أنه بِالْفِ بعدَ العين، وقرأ الباقر: بالتشديد من غير ألف، وعقدُ اليمين: توثيقُها بِاللَّفْظِ معَ العزمِ عليها. المعنى: إنما يؤاخذكم بيمينكم إذا حنثتم فيها.

﴿ فَكَفَّرْنَاهُ ﴾ أي: سترُ الحنثِ.

﴿ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ﴾.

واختلفوا في قدرِ الكفارة وحكمِها:

فقال أبو حنيفة: نصفُ صاعٍ بُرٍّ لكلِّ مسكينٍ، أو صاعٌ من شعيرٍ أو تمرٍ أو زبيبٍ، أو قيمةُ ذلك، والصاعُ ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقي.

وقال أبو يوسف: خمسةُ أرطالٍ وثلاثُ، أو يُغَدِّيهم ويُعَشِّيهم، ولا بدَّ من شَبْعهم^(١) في الأكلتين، ويجوزُ عنده صرفُها إلى العبدِ والذميِّ، ولا يجوزُ عنده التكفيرُ قبلَ الحنثِ.

وقال مالكٌ: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ من حنطةٍ أو غيرها ممَّا هو قوتٌ لهم بالمدِّ الأصغرِ بمدِّ النبي ﷺ إذا أخرجَ الكفارةَ بالمدينة، وفي بقيةِ الأمصارِ وسطُ من الشَّعْبِ، وهو رطلانٍ بالبغدادِ من الخبزِ، وشيءٌ من الإدام.

وقال الشافعي: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ حَبٍّ من غالبِ قوتِ بلده.

وقال أحمدُ: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ من بُرٍّ، أو مُدَّانٍ من شعيرٍ أو تمرٍ أو

(١) «ولا بد من شبعهم» ساقطة من «ن».

زبيب^(١)، وقدر المد رطلٌ وثلاث عراقيّ، ورطلٌ وسبع رطلٍ وثلاث سبع رطلٍ مصريّ، وثلاث أواقٍ وثلاثة أسباعٍ أوقية دمشقية، وأوقيتان وستة أسباعٍ أوقية حلبية، وأوقيتان وأربعة أسباعٍ أوقية قدسية، ومئة وواحد وسبعون درهماً وثلاثة أسباعٍ درهم ومئة وعشرون مثقالاً، ويأتي ذكر الصاع في سورة التوبة عند ذكر الزكاة إن شاء الله تعالى.

واتفق مالكٌ والشافعيُّ وأحمدٌ على عدم جواز صرفها إلى رقيقٍ وذميّ، وعلى عدم جواز إخراج القيمة وغداء المساكين وعشائهم، وعلى أنه يجوز التكفير قبل الحنث وبعده.

﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ خير قوت عيالكم.

﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ فعند أبي حنيفة المقصود منها ردُّ العُزِّي، فكلُّ ثوب يصيرُ به مُكْتَسِباً يسمّى كسوةً، وعند مالكٍ إن كانوا رجالاً، ثوباً ثوباً، وإن كنَّ نساءً، فتوبين ثوبين، درعاً وخماراً لكلِّ امرأةٍ منهنّ، وعند الشافعيّ ما يُسمّى كسوةً؛ كقميص، أو عِمَامَةٍ، أو إزارٍ، وعند أحمدٍ للرجل ثوبٌ يجرّهُ أن يصلّي فيه، وللمرأة درعٌ وخمارٌ.

واختلفوا فيما إذا أطعم خمسةً وكسا خمسةً، فقال أبو حنيفة وأحمد: يجرّهُ، وقال مالكٌ والشافعيّ: لا يجرّهُ.

وكذلك اختلفهم فيما إذا أطعم من جنسين، فأطعم خمسةً برّاً، وخمسةً تمرّاً، أو خمسةً برّاً، وخمسةً شعيراً.

﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ سليمة من كلّ عيبٍ يضُرُّ بالعمل ضرراً بيّناً بالاتفاق،

(١) من قوله: «القرية وأصل الوسيلة...» في الآية (٣٥) من هذه السورة، (ص: ٢٩١) إلى هنا سقط من (ش)، وهو بمقدار (٨) لوحات من النسخ الخطية الأخرى.

والأئمة الثلاثة يشترطون الإيمان في عتق الرقبة قياساً على كفارة القتل، وأبو حنيفة جَوَّزَ عتق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات سوى كفارة القتل، فالحادث مخيرٌ بين الإطعام والكسوة والتحرير بالاتفاق إن وجد ما يفضل عن قوته وقوت عياله.

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً منها.

﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعات عند أبي حنيفة وأحمد، وقال مالك والشافعي في الأظهر: لا يجب التتابع.

﴿ذَلِكَ﴾ المذكور.

﴿كَفَرَهُ أَيْمَنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وَحَشْتُمْ.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ فلا تنكثوها إن لم تكن على ترك مندوبٍ أو فعلٍ مكروه، فإن كانت على شيءٍ منها، فالأولى الحنث، قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أوتيتها عن مسألة، وكُلتَ إليها، وإن أوتيتها عن غير مسألة، أُعنتَ عليها، وإذا حلفت على يمينٍ، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، وأت الذي هو خير»^(١). وقال ﷺ: «إني والله لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خيرٌ منها، وتحللْتُها»^(٢)، وقوله: «تحللتُها» من التحلل، وهو

(١) رواه البخاري (٦٢٤٨)، في أول كتاب: الإيمان والنذور، ومسلم (١٦٥٢)، كتاب: الإيمان، باب: نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها... عن عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه -.

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٤)، كتاب: أبواب الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، ومسلم (١٦٤٩)، كتاب: الإيمان، باب: نذب من =

التخلُّصُ من عَهْدَةِ اليمينِ ، والخروجُ من حرمَتِها إلى ما يحلُّ منها بالكفارةِ .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : مثلَ ذلكَ البيانِ .

﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أعلامَ شرائعِهِ .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمةَ التعليمِ .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ ﴾ جمعُ نُصْبٍ .

﴿ وَالْأَزْلَامُ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ الخمرِ والميسرِ في سورةِ البقرةِ ، وتقدَّمَ في صدرِ هذهِ السورةِ تفسيرُ الأنصابِ والأزلامِ .

﴿ رِجْسٌ ﴾ خبيثٌ .

﴿ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ من تزويجهِ .

﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ الضميرُ للرَّجْسِ .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تُفْلِحُوا بالاجتنابِ عنه .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ ﴿٩١﴾ .

= حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها... ، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله

عنه - .

[٩١] ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾

أي: بسببهما، أمّا العداوة في الخمر لأنّ الشاربين إذا سَكِرُوا، عَزَبُوا وتشاجروا كما فعل الأنصاريّ الذي شجّ رأس سعد بن أبي وقاص، وتقدّم ذكر قصته في سورة البقرة، وأمّا العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يُقامِرُ على الأهل والمال، ثمّ يبقى حزيناً مسلوب الأهل والمال.

﴿ وَيَصِدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ واختصاص الصلاة من بين الذكر، كأنه قيل: وعن الصلاة خصوصاً.

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ استفهام، ومعناه الأمر.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولنا أَلْبَلَعُ الْمِينُ ﴾.

[٩٢] ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا ﴾ المحارم.

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولنا أَلْبَلَعُ الْمِينُ ﴾ في تحريم ما أمر بتحريمه، وعلى المرسل أن يعاقب ويثيب بحسب ما يُعصى ويُطاع، قال ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَها فِي الآخِرَةِ»^(١).

(١) رواه البخاري (٥٣٥٣)، في أول كتاب: الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣)، كتاب: الأشربة، باب: عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها بمنعه إياها في الآخرة، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَعَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٩٣].

[٩٣] ونزلَ فيمن استعملَ شيئاً من الخمرِ والميسرِ من المؤمنينَ قبلَ
التحريمِ :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ أكلوا من مالِ
القمارِ، وشربوا من الخمرِ قبلَ التحريمِ . قرأ أبو عمرو : (الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ)
بإدغامِ التاءِ في الجيمِ^(١).

﴿ إِذَا مَا اتَّقَوْا ﴾ الشرك ﴿ وَعَامَنُوا ﴾ ثبتوا على الإيمانِ .
﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ﴾ الخمرَ والميسرَ بعدَ التحريمِ .
﴿ وَعَامَنُوا ﴾ ازدادوا إيماناً .

﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا ﴾ محارمَ الله تعالى ، وكرَرَ الالتقاءَ تأكيداً .
﴿ وَأَحْسَنُوا ﴾ طاعةَ الله تعالى .

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فلا يؤاخذُهُم بشيءٍ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٩٤].

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢/ ٢٣٦).

[٩٤] ولما كانوا محرّمين عامّ الحُدَيْيَةِ، ابتلاهم الله بالصيّد، وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث تمكّنوا من صيدها أخذاً بأيديهم، وطعنوا برماحهم وهم مُحرّمون، فنزلت:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ اللَّهُ﴾ ^(١) ليختبرنكم ليظهر المطيع من العاصي.

﴿يَشَى مِنَ الصَّيْدِ﴾ إنما خصّ فقال: ﴿بشيء﴾؛ لأنه ابتلاههم الله بصيد البرّ خاصّة.

﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ يعني: الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفرّ. قرأ أبو عمرو: (مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ) بإدغام الدال في التاء ^(٢).

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ تنال كبارهُ.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ لِيتميز الخائف من عقابه باجتناّب الصيّد ممّن لا يخافهُ؛ لضعف قلبه، وقلة إيمانه.

﴿فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ بِصَيْدِهِ بَعْدَ التَّحْرِيمِ﴾.

﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فالوعيد لاحق به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧١١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٣٦).

مَسْكِينَ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ
اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٩﴾ .

[٩٥] ونزل في رجل يُقال له: أبو اليسر شدَّ على حمارٍ وحشيٍّ وهو
محرمٌ فقتله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ^(١) جمعُ حرامٍ؛ أي:
محرمون بالحجِّ وبالعمرة.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ والمتعمدُ: القاصدُ للشيء مع العلم بالإحرام،
والمخطئُ: هو الذي يقصد شيئاً فيصيبُ صيداً، والناسي: هو الذي يتعمدُ
الصيدَ ولا يذكرُ إحرامه، فيجبُ الجزاءُ في العمدِ والخطأِ والنسيانِ
بالاتفاق، وعن أحمدَ روايةٌ: لا شيءَ على المخطئِ والناسي؛ لأن الله
سبحانه لما خصَّ المتعمدَ بالذكر، دلَّ على أنَّ غيره يخالفه، قال: والأصلُ
براءةُ الذمَّة، فمن ادَّعى شغلها، فعليه الدليلُ، والصحيحُ من مذهبه:
وجوبُ الجزاء.

﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ،
ويعقوبٌ: (فَجَزَاءٌ) منونٌ (مِثْلٌ) رَفَعٌ على البدل من الجزاء، وقرأ الباقون
بالإضافة ^(٢)؛ أي: يجبُ عليه ما يقربُ من الصيدِ المقتولِ شَبْهًا به من حيثِ
الخلقة، والذي يُجزىء من الصيدِ شيئان: دوابُّ، وطيْرٌ، فيجزىء ما كان

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧١٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)،
و«تفسير البغوي» (١/٧١٢-٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢/٢٣٧).

من الدوابّ بنظيره في الخِلْقَةِ والصورةِ عندَ الثلاثةِ، وقالَ أبو حنيفةَ: إنما يعتبرُ بالمثلِ في القيمةِ دونَ الخِلْقَةِ، فيَقْوَمُ الصيدُ بدراهمَ في المكانِ الذي قتلَه، وفي أقربِ موضعٍ إليه إن كانَ لا يباعُ الصيدُ في موضعٍ قُتِلَ، فيشتري بتلكَ القيمةِ هَدياً يذبحُه إن شاء، أو يشتري بها طعاماً، ويُطعمُ للمساكينِ، كُلُّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ، أو صاعاً من شعيرٍ أو تمرٍ، وإن شاء صامَ عن كُلِّ نصفِ صاعٍ يوماً.

وقال مالكٌ: في النِّعَامَةِ بَدَنَةٌ، وفي بقرِ الوحشِ وحمارِهِ بقرَةٌ، وفي الضَّبُعِ والثعلبِ شاةٌ، وفي نحوِ الضَّبِّ والأرنبِ القيمةُ طعاماً، وفي الحمامِ كُلُّ قيمتهُ، إلا حمامَ مكةَ، فإنَّ فيه شاةً أتباعاً للسلفِ في ذلكَ.

وقال الشافعيُّ: في النِّعَامَةِ وبقرِ الوحشِ وحمارِهِ كقولِ مالكٍ، وفي الغزالِ عَنَزٌ، وفي الأرنبِ عَنَاقٌ، واليربوعِ جَفْرَةٌ، وما لا نقلَ فيه يحكمُ بمثلهِ عَدْلَانِ، وفيما لا مثلَ لَهُ القيمةُ.

وقال أحمدُ في النِّعَامَةِ كقولِ مالكٍ والشافعيِّ، وفي حمارِ الوحشِ وبقرِهِ والأَيْلِ والثَّيْتَلِ والوَعِلِ بقرَةٌ، وفي الضبعِ كبشٌ، وفي الغزالِ شاةٌ، وفي الوَبْرِ والضَّبِّ جَدْيٌ، وفي اليربوعِ جفرةٌ لها أربعةُ أشهرٍ، وفي الأرنبِ عَنَاقٌ، وفي الحمامِ شاةٌ، وفيما لا مثلَ لَهُ وهي سائرُ الطيرِ قيمتهُ. واتفقَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على أَنه مَخَيَّرٌ في الصيدِ المِثْلِيِّ بينَ ذبحِ مثلهِ، والصدقةِ به على مساكينِ الحرمِ، أو بينَ أن يَقْوَمَ المثلُ وَيشتري به طعاماً، فيطعمَ كُلَّ مسكينٍ مُدّاً، أو يصومَ عن كُلِّ مُدٍّ يوماً.

واختلفوا في المحرَّمِ إذا دَلَّ حلالاً على صيدٍ فقتلَهُ الحلالُ، فقال مالكٌ والشافعيُّ: لا شيءَ عليه، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: عليه الجزاءُ.

﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بالجزاء.

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: عدلان من المسلمين، فينظران أشبه الأشياء إلى المقتول، فيحكمان به، ويجوز أن يكون القاتل أحد العدلين عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة ومالك: لا يجوز.

﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يبلغ بالهدي الحرم، فيُنْحَرُ فيه، ويُتَصَدَّقُ به على مساكينه عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة يُذْبَحُ بالحرم، ويُتَصَدَّقُ به حيث شاء، والاختيار عند مالك أن يطعم القاتل حيث وجب الجزاء عليه، فإن أطعم في مكان غيره، أجزأ عنه.

﴿أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامَ مَسْكِينٍ﴾ أي: هي طعام. قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: (كَفَّارَةً) بغير تنوين (طَعَامٍ) بالخفض على الإضافة، والباقون: بالتنوين، ورفع (طعام)^(١).

﴿أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ أو ما سواه من الصوم، والعَدْلُ بالفتح: المثل من غير جنسه، والمراد: أن الجاني مخير في جزاء الصيد بين ذبح المثل من النعم، والتصدق بلحمه، وبين أن يقوم المثل دراهم يشتري بها طعاماً، فيتصدق به، أو يصوم كما تقدّم ذكره قريباً في فقه الآية، وله أن يصوم حيث شاء بالاتفاق؛ لأنه لا نفع فيه للمساكين.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ جزاء معصيته، وأصل الوبال: الثقل.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفٌ﴾ قبل تحريم الصيد.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٨).

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى ما نهى عنه .

﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ في الآخرة .

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ مِمَّنْ أَصْرَ عَلَى عَصِيَانِهِ .

﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ
الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ .

[٩٦] ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ كلُّ ما صيد منه ، والمراد بالبحر: جميعُ

المياه .

﴿وَطَعَامَهُ﴾ المأكولُ منه .

﴿مَتَّعَا﴾ أي: تمتيعاً .

﴿لَكُمْ﴾ بأن تأكلوه طَرِيًّا .

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المارّة؛ بأن يتزوّدوه لأسفارِهِمْ، فكلُّ ما صيد من البحر
مما لا يعيش إلا في الماء حلالٌ عند مالكٍ والشافعيٍّ وأحمد؛ لقول
النبي ﷺ في البحر: «هُوَ الطَّهْوَرُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»^(١)، ويحرّم عند الشافعيِّ
ما يعيش في برٍّ وبحرٍ؛ كضفدعٍ، وسرطانٍ، وحيّةٍ، ويحرّم عند أحمدَ
الضفدعُ، والحيّةُ، والتمساحُ، ومالكٌ أباحَ جميعَهُ سواءً كانَ مما له شبهةٌ في

(١) رواه أبو داود (٨٣)، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، والنسائي

(٥٩)، كتاب: الطهارة، باب: ماء البحر، والترمذي (٦٩)، كتاب: الطهارة،

باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه

(٣٨٦)، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، عن أبي هريرة - رضي الله

عنه - .

البرِّ، أو مما لا شبهة له، من غير احتياجٍ إلى ذكَاةٍ، وسواءٌ تلفَ بنفسِه، أو بسبِّ، وتوقَّفَ في خنزيرِ الماءِ فقط، وقالَ أبو حنيفةٍ رضي الله عنه: لا يحلُّ مما في البحرِ إلَّا السمكُ.

﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ صيدُ البحرِ حلالٌ للمحرِّم كغيرِه بالاتفاق، وأما صيدُ البرِّ، فحرامٌ على المحرِّم، ويحرِّمُ في الحرِّم مطلقاً بالاتفاق، والصيْدُ: هو الحيوانُ الوحشيُّ الذي يحلُّ أكلُه، فلا يجوزُ للمحرِّم أن يأكلَ مما صاده، بالاتفاق، واختلفوا فيما اصطاده الحلال لأجلِه، فقالَ الثلاثةُ: لا يجوزُ للمحرِّم أكلُه، سواءٌ صيْدَ بعلمِه، أو بغيرِ علمِه، وقالَ أبو حنيفةٍ: يجوزُ له أكلُ ما صيْدَ له إذا لم يكنْ قد دَلَّ عليه، وأما إذا لم يُصدْ له، ولا من أجلِه، فيجوزُ أكلُه، بالاتفاق.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تشديدٌ وتنبيةٌ عقبَ هذا التحليل والتحريم.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ ذَلِكَ لِعَلَّامُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٩٧].

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ سميت كعبةً؛ لتربيعها، والعربُ تسمي كلَّ بيتٍ مربعٍ كعبةً. قرأ الكسائي: (الْكُعْبَةُ) بإمالة الباء حيث وقفَ على هاءِ التانيث.

﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (قِيَمًا) بغيرِ ألفٍ بعدَ الياءِ، والباقون:

بالألف؛ أي: قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم^(١).

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أي: الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم، ورجب.

﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ﴾ تقدّم تفسيرُهُما في أول السورة.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَالْقَلْبَيْدَ ذَلِكَ) بإدغام الدال في الذال في هذا الحرف لا غير.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ﴾ من مصالح الحكم، وجميع الوجود.

﴿عَلِيمٌ﴾ فتقونه.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾.

[٩٨] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أطاعه.

﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٩٩﴾.

[٩٩] ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾ التبليغ، ليس له الهداية والتوفيق.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي: تظهرونه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)،

و«تفسير البغوي» (١/٧١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٣٩).

﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: تُسِرُّونَ وَتُخْفُونَ من كفرٍ ونفاقٍ.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلَا لَبِيبٌ لَّعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.

[١٠٠] ونزل نهياً للمسلمين عن الإيقاع بحجاج المشركين، وتقدمت القصة في أول السورة:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ أي: الحرام والحلال.
﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإنَّ المحمودَ القليلَ خيرٌ من المذموم الكثير.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تتعرضوا للحجاج، وإن كانوا مشركين.
﴿يَتَأُولَىٰ أَلَا لَبِيبٌ لَّعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ راجين أن تبلغوا الفلاح.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠١] ونزل تأديباً للمؤمنين لما أكثروا على النبي ﷺ السؤال:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ﴾ أي: تظهر لكم، وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في حكم الهمزتين من كلمتين عند قوله: (وَالْبَغْضَاءِ إِلَى)، وكذلك اختلافهم في (أَشْيَاءِ إِنَّ).

﴿ تَسْؤُكُمْ ﴾ إِنَّ أَمْرَتُمْ بِالْعَمَلِ بِهَا .

﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا ﴾ أَي : التكاليف الضيقة .

﴿ حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ﴾ أَي : زمن الوحي .

﴿ تَبْدُلْكُمْ ﴾ أَي : تلك التكاليف التي تسؤكم ، وتؤمروا بتحملها .

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾ أَي : ما سَلَفَ من مسائلكم .

﴿ وَاللَّهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ ﴾ لَا يُعَاجِلُكُمْ بِعِقَابِهِ مَا يَفْرُطُ مِنْكُمْ .

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ ﴿١٠٢﴾

[١٠٢] ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾ الضميرُ للمسألة التي دلَّ عليها : (تسألوا) .

﴿ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ كما سألت ثمودُ صالحاً الناقة ، وسأل قومُ عيسى

المائدة .

﴿ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ فأهلكوا . قرأ أبو عمرو ، وحمزة ،

والكسائي ، وخلف ، وهشام : (قَدْ سَأَلَهَا) بإدغام الدال في السين ،

والباقون : بالإظهار^(١) .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾

[١٠٣] ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ ﴾ أَي : ما شرع .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٠٥) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص : ٢٠٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٠) .

﴿ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وَلَدَتِ النَّاقَةُ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ، بَحَرُوا أَذْنَهَا؛ أَي: شَقُّوْهَا، وَتُرِكَتْ، فَلَا تُرْكَبُ، وَلَا تُحَلَبُ.

﴿ وَلَا سَابِغَةٍ ﴾ الْبَعِيرُ يُسَبِّغُ بِنَذْرِ يَكُونُ عَلَى الرَّجُلِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْبَحِيرَةِ.

﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ الشَّاةُ إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا، كَانَ لِأَلْهَتِهِمْ، وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، فَهِيَ لَهُمْ، فَإِنْ وَلَدَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، قَالُوا: وَصَلْتُ أَخَاهَا، فَلَمْ تُذْبَحْ لِلْأَلْهَةِ.

﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ هُوَ مَنْ رُكِبَ وَلِدٌ وَلَدِهِ مِنَ الْبَعِيرِ، يُقَالُ: حَمَى ظَهْرَهُ، فَلَا يُرْكَبُ. فَمَعْنَى الْآيَةِ: الرَّدُّ وَالْإِنْكَارُ لِمَا ابْتَدَعَهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ. رُوِيَ عَنْ قَنْبَلٍ، وَيَعْقُوبَ: الْوَقْفُ بِالْيَاءِ عَلَى (حَامِي) ^(١).

﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بِتَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمَوْا.

﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ.

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، لَكِنَّهُمْ يَقْلُدُونَ كِبَارَهُمْ.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ فِي تَحْلِيلِ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ، وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤١/٢).

﴿ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ المعنى : إذا دُعِيَ الكفارُ إلى الإيمان ، قالوا : كافينا دينُ آبائنا .

﴿ أَوَلَوْ ﴾ واوُ الحالِ دخلتُ عليها همزةُ الإنكارِ ، وتقديرُهُ : أَحَسِبُهُمْ دِينُ آبَائِهِمْ وَلَوْ .

﴿ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ من التوحيد .

﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه . المعنى : لا يجوزُ الاقتداءُ إلا بالعالمِ المهتدي .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[١٠٥] ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي : الزموا صلاحَ أنفسكم .

﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وليست هذه الآيةُ نازلةً في تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ ؛ لما رُوي أن أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه قال : سمعتُ النبي ﷺ يقولُ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ »^(١) ، وعن ابنِ مسعودٍ في هذه الآية : « مَرُّوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مَا قُبِلَ مِنْكُمْ ، فَإِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ »^(٢) .

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٨) ، كتاب : الملاحم ، باب : الأمر والنهي ، والترمذي (٢١٦٨) ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ، وقال : صحيح ، وابن ماجه (٤٠٠٥) ، كتاب : الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢٧/٤) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥٢) .

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً، الضالُّ والمهتدي.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعدٌ ووعدٌ للفريقين، وتنبيهٌ على أن أحداً لا يؤاخذُ بذنبٍ غيره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ﴾.

[١٠٦] ولما سافرَ تميمٌ بنُ أوسٍ الداريُّ، وعديُّ بنُ بداءٍ إلى الشام، وهما نصرانيان، ومعهما بُدَيْلٌ مولى عمرو بنِ العاصِ، وكان مسلماً، فلما قَدِموا الشامَ، مرضَ بديلٌ، فكتبَ كتاباً فيه جميعُ ما معه، وألقاه في متاعه، ولم يخبرْ صاحبيه، فلما اشتدَّ وجعه، أمرهما أن يدفعَا متاعه إذا رجعا إلى أهله، وماتَ بديلٌ، ففتشَا متاعه، فأخذا منه إناءً من فضةٍ منقوشاً بالذهبِ فيه ثلاثُ مئةٍ مثقالِ فضةٍ، فعَيَّياهُ، ثم قَضَيَا حاجتهما، وانصرفا إلى المدينة، فدفعَا المتاعَ إلى أهلِ الميت، ففتشوا، وأصابوا الصحيفةَ فيها تسميةُ ما كان معه، فجاؤوا تميمًا وعديًا، فقالوا: هل باعَ صاحبنا شيئاً من متاعه؟ قالوا: لا، قالوا: فهل اتَّجَرَ تجارةً؟ قالوا: لا، قالوا: فهل طَالَ مرضه فأنفقَ على نفسه؟ قالوا: لا، قالوا: إنا وجدنا في متاعه صحيفةً فيها تسميةُ ما معه، وإنا فقدنا منها إناءً من فضةٍ مموهاً بالذهبِ، فيه ثلاثُ مئةٍ مثقالِ فضةٍ، فوجدنا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فأصرَّا على الإنكار، فأنزل الله تعالى:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ﴾^(١) أي: فيما أُمِرْتُمْ شهادةً بينكم، والمراد بالشهادة: الإشهاد.

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ﴾ إذا شارَفَهُ فَظَهَرَتْ أَمَارَتُهُ.

﴿أَلَوْصِيَّةً اثْنَانِ﴾ أي: ليشهد اثنين على الوصية.

﴿ذَوَاعَدِلٍ﴾ أي: أمانة وعقل.

﴿مِنْكُمْ﴾ أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين.

﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أو من غير دينكم ومِلَّتِكُمْ.

﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتُمْ فيها.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: قاربتم الأجل.

﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ أي: تَسْتَوْفُونَهُمَا.

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر؛ لَأَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَعْظُمُونَ ذلك الوقت، ويتجنبون فيه الحلف الكاذب.

﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يَعْلِفَانِ.

﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: شَكَّكْتُمْ، ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين، فلا يمين عليهما بالاتفاق.

(١) رواه البخاري (٢٦٢٨)، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ...﴾، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٧).

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ لا نحلف بالله كاذبين على عوضٍ نأخذُه، أو مالٍ نذهبُ به، أو حقٍّ نجحدُه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ولو كان المشهودُ له ذا قرابةٍ مِنَّا.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ وأضيفت الشهادةُ إلى الله تعالى لأمره بها. وقرأ يعقوبُ: (شَهَادَةٌ) بالتنوين (الله) ممدودٌ، جُعل الاستفهامُ عوضاً عن حرفِ القسم، ورُوي عن أبي جعفرٍ: (شَهَادَةٌ) منونة (الله) بقطع الألفِ وكسر الهاءِ من غيرِ استفهامٍ على ابتداءِ اليمين؛ أي: والله^(١).

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن كتمانها، فلما نزلت هذه الآية، صلى رسولُ الله ﷺ العصرَ، ودعا تميمًا وعديًا، فاستحلفَهُما عند المنبرِ بالله الذي لا إلهَ إلا هوَ أَنهما لم يختانا شيئاً مما دُفِعَ إليهما، فحلفا على ذلك، وخلقى رسولُ الله ﷺ سبيلَهُما.

﴿فَإِنْ عُرِيَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَیْنَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٠٧] ثم ظهر الإناءُ، واختلفوا في كيفية ظهوره، فرُوي عن ابنِ عباسٍ: «أنه وُجدَ بمكة، فقالوا: اشتريناه من تميمٍ وعدِيٍّ»، وقال آخرون: لما طالتِ المدة، أظهره، فبلغ ذلك بني سهم، فأتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشترينا منه هذا، فقالوا: ألم تزعما أنَّ صاحبنا لم يبع شيئاً من

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧٢٧).

متاعه؟! قالوا: لم يكن عندنا بينة، وكرهنا أن نقرَّ لكم به، فكتمنا ذلك،
فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿ فَإِنْ عُرِ ۖ اَطْلَع، وَأَصْلُ الْعَثْرَةِ: الْوُقُوعُ عَلَى الشَّيْءِ. ۖ

﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ۖ أَي: فَعَلَا مَا أَوْجَبَ إِثْمًا بِخِيَانَتِهِمَا وَبَايَمَانِهِمَا

الكاذبة.

﴿ فَآخَرَانِ ۖ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ.

﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ۖ أَي: مَقَامَ اللَّذَيْنِ خَانَ.

﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَي: اسْتَحَقَّ فِيهِمْ وَلَاجُلِهِمُ الْإِثْمُ،

وهم ورثة الميت، استحق الحالفان بسببهما الإثم، و(على) بمعنى (في).

قرأ حفص: (اسْتَحَقَّ) بفتح التاء والحاء، وقراءة العامة: بضم التاء على

المجهول و(الأُولَيَانِ) تشية الأولى، والأولى هو الأقرب؛ أَي: الْأَحَقُّ

بالشهادة؛ لقربته ومعرفته، وقرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم،

ويعقوب (الأُولَيْنِ) بالجمع، فيكون بدلاً من (الذين)^(٢)، والمراد منهم:

أولياء الميت، ومعنى الآية على القراءات كلها: إذا ظهرت خيانة الحالفين

يقوم اثنان آخران من أقارب الميت.

﴿ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا ۖ أَي: يَمِينُنَا أَحَقُّ مِنْ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٢٢١-٢٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)،

و«تفسير البغوي» (١/٧٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٣)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٢/٢٤٣-٢٤٤).

يمينهما؛ كقوله: ﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ [النور: ٦]؛ أي: يمينه.

﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ في قولنا: إِنَّ شَهَادَتَنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا.

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إِنَّ كُنَّا حَلَفْنَا عَلَى بَاطِلٍ، وَأَخَذْنَا مَا لَيْسَ لَنَا، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ، قَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالْمَطْلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ السَّهْمِيَّانِ، فَحَلَفَا بِاللَّهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَدَفَعَ الْإِنَاءُ إِلَيْهِمَا وَإِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ، فَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ بَعْدَمَا أَسْلَمَ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَنَا أَخَذْتُ الْإِنَاءَ، فَأَتَوْتُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَى وَجْهَهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾
وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الْحَكْمُ الَّذِي تَقَدَّمَ.

﴿أَدْنَى﴾ أَقْرَبُ.

﴿أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَى وَجْهَهَا﴾ عَلَى نَحْوِ مَا تَحَمَّلُوهَا مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَخِيَانَةٍ فِيهَا.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ أَنْ تُرَدَّ الْيَمِينُ عَلَى الْمَدَّعِينَ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ فَيَفْضَحُوا بِظُهُورِ الْخِيَانَةِ، وَالْيَمِينِ، وَإِنَّمَا جُمِعَ الضَّمِيرُ؛ لِأَنَّهُ حَكْمٌ يَعُمُّ الشُّهُودَ كُلَّهُمْ.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا﴾ سَمَاعَ قَبُولٍ.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

وَاخْتَلَفَ فِي حَكْمِ الْآيَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ مَنْسُوخٌ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ الذَّمِّيِّ

على مسلم، وإنما جازت أول الإسلام؛ لقلّة المسلمين، ثم نُسخَتْ بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي رضي الله عنهم، وقال قوم: حكمها ثابت، وقضى به أبو موسى الأشعري بالكوفة بعد وفاة النبي ﷺ، وعمل به القاضي سُريخ، وإليه ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، واستدلّ بالآية على جواز قبول شهادة أهل الكتاب الرجال في الوصية في السفر إذا لم يوجد غيرهم، وحضر الموصي الموت، مسلماً كان أو كافراً، ويحلفهما الحاكم بعد العصر وجوباً: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ وإنما لوصية الرجل، فإن أُطلع على خيانتيهما، قام آخران من أولياء الموصي، فحلفا بالله: ﴿لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِن شَهِدَتِيهِمَا﴾ ولقد خانا وكتما، ويقضى لهم، والله أعلم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنْكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾.

[١٠٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يومُ القيامة ظرفاً ليهدي؛ أي: لا يهديهم إلى الجنة يومئذ.

﴿فَيَقُولُ﴾ لهم.

﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ما الذي أجابتكم به أممكم حين دعوتهم إلى توحيد وطاعتي؟ وهذا السؤالُ للأنبياء الرسل إنما هو لتقوم الحجة على الأمم.

﴿قَالُوا﴾ أي: فيقولون.

﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ قال ابن عباس: «معناه: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إلا علم أنت أعلم به مِنَّا»^(١).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ فتعلم ما نعلم مما أجابونا وأظهروا لنا، وما لم نعلم مما أضمرُوا في قلوبهم. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم (الغُيُوبِ) بكسر الغين حيث وقع، وضمَّها الباقون^(٢).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

[١١٠] ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ هذا من صفة يوم القيامة؛ كأنه قال: اذكر يوم يجمعُ الله الرسل، وإذ يقولُ الله لعيسى، وذكرُ النعمة: شكرها، والمراد: النعم، لفظه واحد، ومعناه جمعٌ.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٣٦/٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٥٥، ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٤٥).

﴿وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ﴾ مريم، ثم ذكر النعم فقال :
 ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ يعني : جبريل عليه السلام .
 ﴿تُكَلِّمُ﴾ يعني : وتكلّم .
 ﴿النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ صبيّاً .
 ﴿وَكَهْلًا﴾ نبيّاً، قال ابن عباس : «أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة،
 فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله إليه»^(١) .
 ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ يعني : الخطّ .
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني : العلم .
 ﴿وَالتَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ كصورة .
 ﴿الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ حياً يطير .
 ﴿بِإِذْنِي﴾ وتقدّم اختلاف القراء في (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) و(طَيْرًا) في سورة آل
 عمران عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾
 وكذلك اختلافهم هاهنا .
 ﴿وَتُبْرِئُ﴾ تصحّح .
 ﴿الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياء .
 ﴿بِإِذْنِي﴾ وتقدّم تفسيره في سورة آل عمران .
 ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ منعت .
 ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعني : اليهود .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٧٣٠) .

﴿عَنْكَ﴾ حِينَ هَمُّوا بِقَتْلِكَ .

﴿إِذْ جِثَّتْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدَّلَالَاتِ الْمَعْجَزَاتِ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَّرْنَا .

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾ يَعْنِي : مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ .

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وَقَرَأَ حَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَخَلَفٌ : سَاحِرٌ بَعْدَ السَّيْنِ ، فَيَكُونُ رَاجِعاً إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١) .

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا أَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾^(١١١) .

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ أَي : أَلْهَمْتُهُمْ ، وَهُمْ^(٢) خَوَاصُّ

أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ . قَرَأَ ابْنُ ذَكْوَانَ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ بِخِلَافِ عَنْهُ : (الْخَوَارِجِ) بِالْإِمَالَةِ .

﴿أَنْ آمِنُوا بِرِسُولِي﴾ عِيسَى .

﴿قَالُوا أَمَنَّا﴾ حِينَ وَفَّقْتُهُمْ .

﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ مُخْلِصُونَ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٤٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠١) ،

و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٠-٧٣١) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٦٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٧) .

(٢) في «ن» و«ت» : «وهو» .

﴿ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ۖ ﴾

[١١٢] ﴿ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ ﴾ والمائدة: الخوان الذي عليه الطعام. قرأ الكسائي: (هل تَسْتَطِيعُ) بالناء وإدغام لام (هل) (رَبُّكَ) بنصب الباء؛ أي: هل تستطيع أن تدعو وتسال ربك، وقرأ الباقون: (يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ) برفع الباء^(١)، ولم يقولوه شاكِّينَ في قدرة الله تعالى، ولكن معناه: هل يُنْزِلُ أم لا؟

﴿ قَالَ ۖ لَهُم عِيسَى ۖ ﴾

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ ﴾ من أمثال هذا السؤال.

﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ بكمال قدرته، وصحّة نبوتى.

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ۖ ﴾

[١١٣] ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ۖ ﴾ أكل تبرُّك لا أكل حاجة.

﴿ وَتَطْمَئِنَّ ۖ ﴾ تسكن.

﴿ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ۖ ﴾ أي: نزداد إيماناً ويقيناً بأنك رسول الله.

﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ ﴾ لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة

والرسالة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٧).

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١١٤) .

[١١٤] ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه.

﴿ لِأَوَّلِنَا ﴾ لمن في زماننا.

﴿ وَآخِرِنَا ﴾ لمن يأتي بعدنا، قالوا: نزلت يوم الأحد، فلذلك اتَّخَذَهُ النصراني عيداً.

﴿ وَآيَةً مِنْكَ ﴾ دلالة وحجّة.

﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أي: خير من أعطى ورزق.

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٥) .

[١١٥] ﴿ قَالَ اللَّهُ ﴾ مُجِيباً لِعِيسَى:

﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: المائدة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم: (مُنَزِّلُهَا) بالتشديد؛ لأنها نزلت مرات، والتَّعْيِيلُ يدلُّ على التدبير مرة بعد أخرى، وقرأ الباقر: بالتخفيف؛ لقوله: ﴿ أَنْزِلْ عَلَيْنَا ﴾ (١).

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ﴾ أي: بعد نزولها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٩).

﴿فَإِنِّي﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفر: (فَإِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿أَعَذَّبُهُ عَذَابًا﴾ أي: جنس عذاب.

﴿لَا أَعَذَّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني عالمي زمانهم، والصحيح أنها نزلت، رُوي أن عيسى عليه السلام لما سأله نزول المائدة، لبس صوفاً وتضرّع وبكى، وقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غماتين من فوقها وتحتها، وهم ينظرون، وهي تهوي مُنْقَضَةً حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمةً، ولا تجعلها عقوبةً، فقال عيسى: لِيَقُمْ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا فَلْيَكْشِفْ عنها، ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعونُ رأسُ الحواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى فصلّى وبكى طويلاً، ثم كشف المنديل عنها، وقال: باسم الله خير الراقين، فإذا هو بسمكة ليس عليها فُلُوسُهَا، تسيلُ دسماً، عند رأسها ملحٌ، وعند ذنبها خلٌّ، وحولها من جميع ألوان البقول ما خلا الكُرَّاثَ، وخمسة أرغفة على واحد زيتونٌ، وواحد عسلٌ، وواحد سمنٌ، وواحد جبنٌ، وواحد قديدٌ، فقال شمعونُ: أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى: ليس منهما، ولكنه شيءٌ افتعله الله بالقدرة الغالبة، كلوا مما سألتُم يُمدِّدكم ربكم، فقالوا: كن أول

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٤٩).

أَكَلَ مِنْهَا، فَقَالَ: مُعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَكَلَ، لَكِنْ يَأْكُلُ مِنْهَا مَنْ سَأَلَهَا، فَخَافُوا فَلَمْ يَأْكُلُوا، فَأُطْعِمَهَا أَهْلَ الْفَاقَةِ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ، فِيهِمُ الْمَرْضَى وَالْفُقَرَاءُ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَإِذَا هِيَ كَهَيْئَتِهَا حِينَ نَزَلْتُ، ثُمَّ طَارَتْ وَمَا أَكَلَ مِنْهَا فَقِيرٌ إِلَّا اسْتَغْنَى، وَلَا مَرِيضٌ إِلَّا عُوفِيَ، [وَكَانَتْ تَنْزِلُ ضَحَى، فَيَأْكُلُ مِنْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ، فَإِذَا فَاءَ الْفَيْءِ، طَارَتْ] ^(١)، وَكَانَتْ تَنْزِلُ يَوْمًا وَتَغِيْبُ يَوْمًا كَنَاقَةِ ثُمُودَ، تَرعى يَوْمًا، وَتَرِدُ يَوْمًا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ اجْعَلْ رِزْقِي فِي الْفُقَرَاءِ دُونَ الْأَغْنِيَاءِ، فَفَعَلَ، فَعَظُمَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، وَأَذَاعُوا الْقَبِيحَ حَتَّى شَكُّوا وَشَكَّوْا فِيهِ النَّاسَ، فَوَقَعَتْ فِيهِ الْفِتْنَةُ فِي قُلُوبِ الْمَرْتَدِّينَ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى أَنْي أَخِذْ بِشَرْطِي مِنَ الْمَكْذِبِينَ، قَدْ اشْتَرَطْتُ عَلَيْهِمْ أَنِّي مُعَذِّبٌ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ بَعْدَ نَزُولِهَا، فَقَالَ عِيسَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَمُسَخَّ مِنْهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا، بَاتُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى فُرُشِهِمْ مَعَ نِسَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا خَنَازِيرَ يَسْعَوْنَ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَيَأْكُلُونَ الْعَذَرَاتِ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ، فَزَعُوا إِلَى عِيسَى، وَبَكَوْا، فَلَمَّا أَبْصَرَتْ الْخَنَازِيرُ عِيسَى، بَكَتْ وَجَعَلَتْ تُطِيفُ بِعِيسَى، وَجَعَلَ عِيسَى يَدْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فَيُشِيرُونَ بِرُؤُوسِهِمْ وَيَبْكُونَ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْأَمْثَلُ﴾ [الرعد: ٦١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، فَسَأَلَ

(١) من قوله: «وكانت تنزل ضحى...» إلى قوله: «طارَتْ» ساقط من «ن».

عيسى رَبَّهُ أَنْ يُمِيتَهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَمَا رَأَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهُمْ جِيْفَةً فِي الْأَرْضِ^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي ﴿١﴾ أَي: صَيِّرُونِي.

﴿وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ والصحيح أَنَّ هذا القولَ إِنَّمَا يُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]؛ لِأَنَّ هَذَا اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ وَإِثْبَاتُ الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِ عِيسَى؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ أَنَّ عِيسَى لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ فِي حُكْمِ الهمزتينِ مِنْ كَلِمَةٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾، وَكَذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي (أَأَنْتَ). قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزة، والكسائي، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، ويعقوبٌ: (وَأُمِّي) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ: بِفَتْحِهَا^(٢)، قَالُوا: فَإِذَا سَمِعَ عِيسَى هَذَا

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧٣٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٥٠).

الخطاب، أرعدت مفاصله، وانفجرت من أصل كل شعرة عين دم، ثم ﴿قَالَ﴾ منزهاً مبرهنًا عن نفسه :

﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك .

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ أي : ما ينبغي لي قول ما لم يثبت لي قوله . قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن عامر، ويعقوب : (لي) بإسكان الياء : والباقون : بفتحها^(١) .

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي : تعلم معلومي ، ولا أعلم معلومك .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون .

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ ثم فسر ما أمر به فقال :

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وحثوه، ولا تشركوا به شيئاً .

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيباً أمنعهم من الكفر .

﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي : وقت دوامي فيهم .

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قبضتني إليك .

(١) انظر : المصادر السابقة .

﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ تحفظ أعمالهم .

﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ من مقالتي ومقالاتهم .

﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [١١٨]

[١١٨] ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ﴾ لا اعتراض عليك ، وفيه تنبيه على أنهم استحقوا التعذيب .

﴿ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي : للمؤمنين منهم .

﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ ﴾ في الملك .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في القضاء ، معناه : إن تعذب ، فعدل ، وإن تغفر ، ففضل .

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١١٩]

[١١٩] ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ ﴾ قرأ الجميع سوى نافع : (يَوْمٌ) برفع الميم على خبر (هذا) ، وقرأ نافع : بنصب الميم ظرفاً لخبر (هذا)^(١) ، وهو محذوف تقديره : هذا المذكور من كلام عيسى يقع يوم .

﴿ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ في الدنيا .

﴿ صِدْقُهُمْ ﴾ في الآخرة .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٥٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠١) و«تفسير البغوي» (١/٧٣٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢١٦) .

﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي : من تحت غرفها وأشجارها .
 ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ أي : الظَّفَرُ .
 ﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي عَظُمَ خَيْرُهُ وَكَثُرَ .

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ .

[١٢٠] ثم عَظَّمَ نَفْسَهُ تَعَالَى فَقَالَ :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تنبيه على كذب
 النصارى ، وفسادِ دعواهم في المسيح أَنَّهُ إِلَهٌ ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مُلْكَ
 السمواتِ والأرضِ له دون عيسى ، ودون سائر المخلوقين ، والله أعلم .

* * *



مكية، وآيها مئة وخمسون وستون آية، وحروفها اثنا عشر ألفاً وأربع مئة واثنان وعشرون حرفاً، وكلمتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة، نزلت ليلاً جملةً، حولها سبعون ألف ملك يسبحون، فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَخَرَّ سَاجِداً»^(١).

وعنه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَنْعَامِ لَمْ يَقْطَعْهَا بِكَلَامٍ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ عَمَلٍ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِمَكَّةَ، إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ آيَاتٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فَهَذِهِ السُّتُ آيَاتِ مَدَنِيَّاتٍ»^(٣).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٣٣)، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - . وفي الباب: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - . وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/٤٥٠)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/٦٢٨).

(٢) ذكره العيني في «عمدة القاري» (٢١٨/١٨)، وعزاه إلى أبي القاسم عبد المحسن القيسي في كتاب «الفائق في اللفظ الرائق».

(٣) انظر: «الدر المثور» للسيوطي (٢/٢٤٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بدأ سبحانه بحمد نفسه تنبيهاً على أن الحمد كله له، لا شريك له فيه، وتقدم تفسيره في الفاتحة.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ أي: اخترع وأوجد.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصَّهما بالذكر؛ لأنهما أعظم الموجودات، وجمع السموات لأنها سبع طباق، ووحد الأرض لاتصال بعضها ببعض طولاً وعرضاً.

﴿وَجَعَلَ﴾ أي: وخلق.

﴿الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر.

﴿وَالنُّورَ﴾ الإيمان، وجمع الظلمة ووحد النور؛ لأن التوحيد متحد، والكفر ملل، وهما كنياتان عنهما، وقال الجمهور من المفسرين: المراد بهما سواد الليل وضياء النهار، قال ابن عطية: والنور هنا للجنس فإفراذه بمثابة جمعه^(١).

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعد هذا البيان.

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يساوون بينه وبين أصنامهم، وأصل العدل: المساواة، وعن كعب قال: «فاتحة التوراة فاتحة الأنعام» ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/٢٦٦).

﴿يَعْدِلُونَ﴾ وخاتمة التوراة خاتمة هود ﴿يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١)

[هود: ١٢٣].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾^(٢).

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام، والخلق نسله، والفرع يضاف إلى أصله، فلذلك خاطبهم بالجمع إذ كانوا ولده، روي: «أن الله عز وجل بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض: إني أعود بالله منك أن تنقص مني، فرجع ولم يأخذ، قال: يا رب! إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل فاستعادت، فرجع، فبعث الله ملك الموت، فعادت منه بالله، فقال: وأنا أعود بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض، فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، فلذا اختلفت أخلاقهم، فقال الله لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها، لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خلق الله آدم من تراب، وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمأ مسنوناً، ثم خلقه وصورة وتركه حتى كان

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٧٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»

(٣٧٨/٥)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/٤٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٦/٢).

صَلْصَالاً كَالْفَخَّارِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ» (١).

﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي: قَدَّرَ مَدَّةً إِلَى الْمَوْتِ.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ، وَهُوَ الْبَرْزَخُ.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تَشْكُونَ فِي الْبَعْثِ لِاسْتِعَادِ الْإِيمَانِ بَعْدَ نَصْبِ

الدَّلَائِلِ.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (٢).

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ الْمَعْبُودُ.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَالْمَدْعُوُّ بِالْأُلُوهِيَّةِ.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فُثِّبُ عَلَيْهِ، وَيَعَاقِبُ.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤).

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ.

﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَآيِ الْقُرْآنِ.

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تَارِكِينَ لَهَا غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إِلَيْهَا.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٥٨٠).

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنتَؤُا مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِؤْنَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ يعني : القرآن .

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنتَؤُا ﴾ أخبار ، جمعُ نبأ .

﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ ﴾ أي : سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبوا .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ
وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ أهل كل عصر ، وهم الجماعة
المقترون في زمان واحد .

﴿ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ أعطيناهم ما لم نعطيكم .

﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : المطر .

﴿ مِدْرَارًا ﴾ أي : دارًا .

﴿ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ أي : تحت بساطينهم ، فكفروا .

﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا ﴾ خلقنا .

﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ بدلًا منهم .

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [٧]

[٧] ولما قيل للنبي ﷺ: لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله، وأنتك رسوله، أنزل الله تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾ ^(١) أي: مكتوباً في صحيفة.

﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ولم يقتصروا على الرؤية؛ لأن اللمس أنفى للشك.

﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ تعنتاً وعناداً.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ [٨]

[٨] ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي: هلا أنزل على محمد.

﴿ مَلَكٌ ﴾ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴿ لوجب العذاب؛ فإن سنة الله جرت في

الكفار بإهلاكهم عند وجود ما يقترحون.

﴿ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ لا يُمهلون طرفة عين.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُ ﴾ [٩]

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٩/٢).

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المرسل إليهم.

﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: على صورة رجل؛ لئتمكنوا من رؤيته؛ لأن البشر يضعفون عن مشاهدة الملائكة.

﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيشُونَ﴾ أي: خلطنا عليهم ما يخلطون، وشبهنا عليهم، فلا يدرون أملك هو أم آدمي؟!

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلَ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

[١٠] ثم قال مسلياً نبيّه ﷺ:

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلَ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزىء بك. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بضم الدال حيث وقع، وأبو جعفر: بنصب الياء بغير همز^(١)).
﴿فَحَاقَ﴾ أحاط.

﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: جزاء استهزائهم من العذاب.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١٣٧/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣، ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٥٦).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١).

[١١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المستهزئين :

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ معتبرين .

﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الهالكين قبلكم .

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ
لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد توبيخاً للكفار :

﴿لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن سكتوا، كانت تقريراً لهم .

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ ثم قال استعطافاً لهم ليؤمنوا :

﴿كُنَّ﴾ أي : أوجب .

﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة، في الحديث : «إِنَّ رَحْمَتِي
سَبَقَتْ غَضَبِي» (١) .

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ نونُ التوكيد، مجازةً : والله
لِيَجْمَعَنَّكُمْ .

(١) رواه البخاري (٦٩٨٦)، كتاب : التوحيد، باب : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾،
ومسلم (٢٧٥١)، كتاب : التوبة، باب : في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه،
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

﴿إِلَىٰ﴾ أي : في .

﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ فيجازيكم على شريككم .

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه .

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ غَبَوْها ؛ لا اختيارهم الكفر .

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم محكوم عليهم بالعذاب .

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ أي : ما استقرَّ .

﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ والمراد : ما سَكَنَ وما تحرَّك .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل مسموع .

﴿الْعَلِيمُ﴾ لكل معلوم .

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي

أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ولما دُعِيَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الشَّرِكِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ .

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا﴾ رَبًّا وَمَعْبُودًا .

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَبْدِعُهُمَا بِلَا مِثَالٍ .

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي : يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ .

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ من هذه الأمة، وقيل لي:
﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّي) بفتح الياء،
والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ بعبادة غيره.

﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني: يوم القيامة. قرأ عاصم، وحمزة،
والكسائي، وخلف، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي) بإسكان الياء،
والباقون: بفتحها^(٢).

﴿ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ مَيْدٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ ﴾ يعني: العذاب. قرأ نافع، وابن كثير،
وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: (يُصْرِفُ) بضم الياء
وفتح الراء، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف، ويعقوب:
(مَنْ يُصْرِفُ) بفتح الياء وكسر الراء^(٣)؛ أي: من يصرف الله عنه العذاب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر»
للدماطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، =

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني : يوم القيامة .
 ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نَجَّاهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ .
 ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة .

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي : يُنْزِلُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ شِدَّةً وَبَلِيَّةً .

﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ لا دافع .
 ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ .
 ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الخير والضرر .

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ القادرُ الغالبُ ، والمرادُ بِفَوْقَ : علوُ القدرةِ والشأنِ ؛ كقوله : ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره .
 ﴿الْخَبِيرُ﴾ بالعباد .

= و«تفسير البغوي» (١٢/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٨/٢) .

﴿قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا تُذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

[١٩] ولما أتى أهل مكة رسول الله ﷺ، وقالوا: أَرْنَا مَنْ يَشْهَدُ بِصَدَقِكَ، فَإِنَّا لَا نَرَى أَحَدًا يَصْدُقُكَ .

﴿قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً﴾ أي : أَيُّ شَهِيدٍ أَعْظَمُ شَهَادَةً؟ فَإِنْ أَجَابُوكَ، وَإِلَّا .
﴿قُلْ اللَّهُ﴾ هو .

﴿شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يَشْهَدُ لِي بِالْحَقِّ، وَعَلَيْكُمْ بِالْبَاطِلِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ إِذَا كَانَ الشَّهِيدَ، كَانَ أَكْبَرَ شَيْءٍ شَهَادَةً .

﴿وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا تُذِرَكُمْ﴾ لِأَخَوْفِكُمْ .

﴿بِهِ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ .

﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي : وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ تَعْمُ الْمَوْجُودِينَ وَقَتَ نَزُولِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ بِهَا مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ، ثُمَّ اسْتَفْهَمَ مُؤَبَّخًا فَقَالَ :

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ فَإِنْ شَهِدُوا، فَأَنْتَ .

﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ مِثْلَ شَهَادَتِكُمْ .

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ أي : بَلْ أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

﴿وَإِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ يَعْنِي : الْأَصْنَامَ . وَاخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي (أَئِنَّكُمْ)

فَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ :
بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ الْأُولَى، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَ بَيْنَ ؛ أَي : بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ،

وفصل بين الهمزتين بألف أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين^(١).

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢٠).

[٢٠] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: النبي ﷺ.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ من الصبيان.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ غبنوها.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لتضييعهم ما يكتسب به الإيمان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢١).

[٢١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ﴾ الافتراء العظيم من الكذب.

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فأشرك به غيره.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يعني: القرآن.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٠٦)، و«تفسير القرطبي» (٦/٤٠٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٥٩).

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ فضلاً ممن لا أحد أظلم منه .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢٢)

[٢٢] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ مَنْ عَبْدَ وَمَنْ عَبْدَ .

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ ﴾ آلِهَتِكُمْ .

﴿ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم شركاء الله ، فيشفعوا لكم؟ والزعم قول بالظن شبه الكذب ، والمراد من الاستفهام : التوبيخ . قرأ يعقوب : (يَحْشُرُهُمْ) (ثُمَّ يَقُولُ) بالياء فيهما ، والباقون : بالنون فيهما^(١) .

﴿ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣)

[٢٣] ﴿ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ أي : قولهم وجوابهم . قرأ حمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وأبو بكر عن عاصم : (يَكُنْ) بالياء على التذكير ؛ لأنَّ الفتنَةَ بمعنى الافتتان ، وقرأ الباقر : بالتاء ، لتأنيثِ الفتنَةِ^(٢) ، وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع ، وجعلوه اسم

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١٤/٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٥٧/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٠٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٩/٢) .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (٥٤٠/١) ، و«تفسير البغوي» (١٤/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٠٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٩/٢) .

كان، وقرأ الباقون: بالنصب، فجعلوا اسمَ كانَ قوله: (إِلَّا أَنْ قَالُوا)،
(وَفَتَنَهُمُ) الخبر^(١).

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (رَبَّنَا) بالنصب
على النداء المضاف، وقرأ الباقون: بالخفض على نعت (والله)^(٢)،
وجواب القسم.

﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فثمَّ يُختم على أفواههم، وتشهد عليهم جوارحهم.

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

[٢٤] ثم عجب تعالى منهم فقال:

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ باعتذارهم بالباطل.

﴿وَضَلَّ﴾ ذهب.

﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يختلقون من الشركاء.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص:

٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (١٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)،

و«تفسير البغوي» (١٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦١).

[٢٥] ولما قال النصرُ بنُ الحارث: والله ما أدري ما يقولُ محمدٌ، إلا أني أراه يحركُ لسانه، ويقولُ أساطيرَ الأولين مثلما كنتُ أحدثُكم عن القرونِ الماضية، فقال أبو سفيان: إني أرى بعضَ ما يقولُ حقاً، نزل:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾^(١) حينَ تتلو القرآنَ.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطيةً، جمعُ كِنَان.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لئلاً يفهموا القرآنَ.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً وثِقلاً.

﴿وَأَن يَرَوْا كَلَاءِي﴾ أي: دلالةً على صدقِكَ.

﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَجِدُلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما القرآنُ.

﴿إِلَّا آسَاطِيرُ﴾ أباطيلُ.

﴿الْأَوَّلِينَ﴾ جمعُ أسطورة، وأسطارة، وهو ما سُطر، وقيل: هي

الترّهات.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآنِ والرسولِ واتباعِهِ.

﴿وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ بأنفسِهِمْ؛ أي: يبعدون، فيضلُّون ويضلُّون، نزلت في

كفار مكة، وقال ابن عباس: نزلت في أبي طالب، كان ينهى الناسَ عن أذى

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥).

النبي ﷺ، وينأى عن الإيمان به، ورؤي عنه: أنه ﷺ لما عرض عليه الإسلام، قال: لولا أن تُعيرني قريش، لأقررتُ بها عينك، ولكن أذبُ عنك ما حييتُ، وقال في ذلك آياتاً:

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوْا اِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتّٰى اَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِيْنَا
فَاَصْدَعْ بِاَمْرِكَ مَا عَلَيْنِكَ غَضَاضَةٌ وَاَنْشُرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُوْنَا
وَدَعَوْتِنِيْ وَعَرَفْتُ اَنَّكَ نَاصِحِيْ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ اَمِيْنَا
وَعَرَضْتَ دِيْنًا قَدْ عَلِمْتُ بِاَنَّهُ مِنْ خَيْرِ اَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِيْنَا
لَوْ لَا الْمَلَاْمَةُ اَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِيْ سَمْحًا بِذَاكَ مُيْنًا^(١)

﴿وَاِنْ يُهْلِكُوْنَ﴾ أي: وما يُهلكونَ بذلك.

﴿اِلَّا اَنْفُسُهُمْ﴾ أي: لا يرجعُ وِبَالُ فعلِهِمْ اِلَّا عَلَيْهِمْ.

﴿وَمَا يَشْعُرُوْنَ﴾ اَنَّ ضَرَرَهُ لَا يَتَعَدَّاهُمْ اِلَى غَيْرِهِمْ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ اِذْ وَقَفُوْا عَلٰى النَّارِ فَقَالُوْا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ 

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ اِذْ وَقَفُوْا عَلٰى النَّارِ﴾ حُبِسُوا عَلَى الصِّرَاطِ، معناه: لو تَرَاهُمْ في تلك الحالة، لرَأَيْتَ عَجَباً.

﴿فَقَالُوْا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ﴾ تمنياً للرجوعِ إِلَى الدُّنْيَا.

﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ قرأ العامة: (وَلَا نَكْذِبُ)

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨-١١٩)، و«تفسير البغوي»

(١٦/٢)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/٤٣٥).

(وَنُكُونُ) بالرفع على معنى: ياليتنا نُرُدُّ ونحنُ لا نَكْذِبُ ونكونُ من المؤمنين، وأبو عمرو: على أصله في إدغام الباء في الباء، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم، ويعقوب (وَلَا نُكْذِبُ) (وَنُكُونُ): بنصب الباء والنون بإضمار (أن) على جواب التمني؛ أي: ليت رَدَّنَا وقعَ وألا نَكْذِبَ ونكونَ، والعربُ تنصبُ جوابَ التمني بالواو كما تنصبُ بالفاء، وقرأ ابنُ عامرٍ: (نَكْذِبُ) بالرفع إخبارًا، (ونكونَ) بالنصب تمنياً؛ لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم إن رُدُّوا إلى الدنيا^(١).

﴿بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

[٢٨] ﴿بَلْ﴾ رَدُّ لقولهم؛ أي: ليسَ على ما قالوا: أنهم لو رُدُّوا لآمنوا،

بل.

﴿بَدَاهُمْ﴾ أي: ظهرَ لهم.

﴿مَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ﴾ يُسِرُّونَ.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من نفاقهم وقبائح فعالهم بشهادة جوارحهم عليهم، فتمنَّوا ذلك ضَجَرًا، لا عَزَمًا على أنهم لو رُدُّوا لآمنوا.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٥٤٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/١٦-١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦٢-٢٦٣).

﴿ وَلَوْ رُدُّوْا ﴾ إِلَى الدُّنْيَا .

﴿ لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ ﴾ فِي قَوْلِهِمْ .

﴿ وَقَالُوْا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿ وَقَالُوْا ﴾ عَظُفٌ عَلَى (لَعَادُوا) :

﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ الضَّمِيرُ لِلْحَيَاةِ .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ ﴾ كَمَا كَانُوا يَقُولُوْنَ قَبْلَ مَعَايِنَةِ الْقِيَامَةِ .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُّوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ اٰلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوْا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُّوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أَي : حُسِبُوا لِلتَّوْبِيخِ وَالسُّؤَالِ .

﴿ قَالَ اٰلَيْسَ هٰذَا ﴾ أَي : الْبَعْثُ وَالْعَذَابُ .

﴿ بِالْحَقِّ قَالُوْا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ إِقْرَارٌ مُّوَكَّدٌ بِالْيَمِيْنِ .

﴿ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ ﴾ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِلِقَاءِ اللّٰهِ حَتّٰىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوْا يٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيْهَا وَهُمْ يَحْمِلُوْنَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُوْنَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ إذا فاتهم النعيم، ولقاء الله: البعث.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة، وسميت ساعة؛ لسرعة الحساب.
﴿بَغْتَةً﴾ فجأة.

﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا﴾ ندامتنا.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصّرنا.

﴿فِيهَا﴾ في الحياة الدنيا.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم.

﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ قيّده بالظهر؛ لأن الحمل غالباً يكون عليه.

﴿أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ﴾ أي: بشس الحمل حملوا.

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٣٢].

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ باطلٌ وغرورٌ.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الآخرة أفضل من الدنيا. قرأ ابن عامر: (وَلَدَارُ

الْآخِرَةِ) بلام واحدةٍ وجرّ (الْآخِرَةِ) إضافةً؛ أي: دارُ الساعةِ الآخرة،

وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقر: بلامين وتشديد الدال

للإدغام، وبالرفع على النعت، وكذا هو في مصاحفهم^(١)، وسميت آخرة؛

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، =

لتأخّرها على الدار الأولى، كما سُميت الأولى دُنْيَا؛ لدنوّها من الخلق الأول، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصم: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، وقرأ الباقون: بالغيب^(١).

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾^(٣٣).

[٣٣] ولما قال أبو جهل: إِنَّا لَا نَكْذِبُكَ يَا مُحَمَّدُ، بل نَكْذِبُ مَا جِئْتَ بِهِ، نَزَلَ تَسْلِيَةً لَهُ، ووعداً ووعيداً لهم:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ فيكَ، وفيما جِئْتَ بِهِ؛ من التكذيب؛ لأنَّهم إِذَا كَذَّبُوا مَا جَاءَ بِهِ، فقد كَذَّبُوهُ. قرأ نافع: (لَيَحْزَنُكَ) بضمِّ الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضمِّ الزاي^(٢)، وكلُّ ما جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ الْعِلْمِ لَفْظَةً (إِنَّ)، فهي بفتحِ الهمزةِ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ:

أحدهما: هنا: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ والثاني:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ فِي هَذَيْنِ

= و«تفسير البغوي» (١٨/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٥٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٤/٢).

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٤، ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦٥).

الموضعين؛ لأنه يأتي بعدهما لامُ الخبر، فلذا انكسرا.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: في الحقيقة؛ إذ جحدُهم عنادٌ؛ أي: إنما يكذبون الله بجحدِهم. قرأ نافعٌ، والكسائيُّ: (يُكَذِّبُونَكَ) بسكونِ الكافِ وتخفيفِ الدالِ؛ من الإكذابِ، وهو أن يجده كاذباً، وقرأ الباقر: بالتشديد؛ من التكذيبِ، وهو أن ينسبه إلى الكذب، ويقول له: كذبت^(١).

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على صدقك ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٣٤﴾.

[٣٤] ثم آنسه بقوله:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كَذَّبَهُم قومُهم كما كَذَّبَكَ قومُكَ قريشٌ.
﴿فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ الذي كُنَّا وعدناهم به في قولنا: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، وهذا تسليّة له.
﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ المتضمنة للنصر.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من أخبارهم ما تسكنُ به نفسك.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (١٩/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٥٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٥/٢).

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطْعَتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بِثَايَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] وكان ﷺ يكره كفرهم ، ويحب مجيء الآيات لئیسلموا ، فنزل :

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَظُمَ وَشَقَّ عَلَيْكَ .

﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام .

﴿فَإِنْ أُسْتَطْعَتَ أَنْ تَبْنِيَ﴾ تطلب .

﴿نَفَقًا﴾ سِرْبًا تستتر فيه .

﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَمًا﴾ مصعداً .

﴿فِي السَّمَاءِ﴾ فتصعد فيه .

﴿فَتَأْتِيهِمْ بِثَايَةٍ﴾ فافعل ، ثم عَرَفَهُ تعالى أنه ليس بيده شيءٌ من أمرهم

فقال :

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة قدرة وقهر .

﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ فآمنوا كلهم ، وهذا ردُّ على القدرة المفوضة

الذين يقولون : إن القدرة لا تقتضي أن يؤمن الكافرون ، وإنَّ ما يأتيه

الإنسان من جميع أفعاله لا خلق الله فيه ، تعالى الله عن قولهم .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ليس المراد لا تكونن ممن يجهل أن الله لو

شاء لجمعهم على الهدى ؛ إذ فيه إثبات الجهل لصفة من صفات الله ، وذلك

لا يجوز على الأنبياء ، وإنما المقصود وعظه ألاَّ يتشبه في أمره بسمات

الجاهلين .

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [٣٦]

[٣٦] ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لا ينفع؛ لعدم سمعهم كالموتى بقوله :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ يعني : المؤمنين الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به .

﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَهُمُ اللَّهُ ﴾ يعني : الكفار .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فيجزئهم بأعمالهم .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٧]

[٣٧] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : رؤساء قريش .

﴿ لَوْلَا ﴾ هلاً .

﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي : مما اقترحوه .

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً ﴾ تضطربهم إلى الإيمان؛ كنتق الجبل لبني إسرائيل . قرأ ابن كثير : (يُنْزَل) بالتخفيف ، والباقون : بالتشديد^(١) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٠٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٤ و ٢٠٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٧) .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما عليهم من إنزالها ؛ لأنها لو نزلت ولم يؤمنوا ، لأهلكوا .

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .

[٣٨] ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ تدبُّ على وجهها .

﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ في الهواء ، وقيد بالجنح ؛ لنفي المجاز ؛ لأنه يقال لغير الطائر : طارَ : إذا أسرع .

﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ في كونها مرزوقةً مقدراً^(١) آجالها .

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي : ما غفلنا في اللوح المحفوظ ؛ لأن جميع الأشياء مكتوبة فيه .

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ قال ابن عباس : « حَشَرُهَا مَوْتُهَا »^(٢) ، وقال أبو هريرة : « يحشرُ الله تعالى الخلق كلَّهم يومَ القيامةِ البهائم والدوابَّ والطيرَ وكلَّ شيءٍ ، فيؤخذُ للجَمَاءِ من القَرَنَاءِ ، ثمَّ يُقال : كوني تُراباً ، فحينئذ يتمنى الكافرُ أن لو كان تُراباً »^(٣) .

(١) في «ن» : «مقدرة» .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٨٦/٤) ، وانظر : «الدر المنثور» للسيوطي (٢٦٧/٣) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٨٦/٤) ، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٣١) .

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا صُؤُوبُكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا﴾ مبتدأ، خبره:

﴿صُؤُوبُكُمْ﴾ لا يسمعون خيراً، ولا يقولونه.

﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ في الضلالت.

﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿يُضِلَّهُ﴾ بخذلانه.

﴿وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بأن يرشده إلى الهدى.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَكُمْ) و(أَرَأَيْتُمْ) و(أَرَأَيْتَ) (أَفَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة التي بعد الراء، وجعلها بين الهمزة والألف تخفيفاً؛ لئلا يجتمع همزتان في فعلٍ مع اتصال الضمير به، وعن ورش إبدالها ألفاً، والكسائي يُسقطها أصلاً حيث وقع، والباقون بتحقيقها على الأصل، والتاء مفتوحة مع الكاف والهاء في الواحد والاثنين، وجمع المذكر والمؤنث، نحو: (أَرَأَيْتَكَ) (أَرَأَيْتُكُمَا) ^(١) (أَرَأَيْتُكُنَّ) ^(٢)، ولا محلاً

(١) «أَرَأَيْتُكُمَا» ساقطة من «ش» و«ظ».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، =

للكاف من الإعراب، ولا يجوز أن يكون مرفوعاً، تقديره: أرايتُمْ أنفسكم، وليس الغرض أن يَرَوْا أنفسهم، إنما الغرض أن يروا غيرهم، ومعنى أرايتُكُمْ: أخبروني، ومفعوله محذوف تقديره: أرايتُكُمْ عبادتُكُمْ الأصنام هل تنفعُكُمْ.

﴿إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ﴾ عند الموت.

﴿أَوْ أَتَيْتُمْ السَّاعَةَ﴾ أي: القيامة.

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ في صرف العذاب عنكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الأصنام تنفعُكُمْ؟ وجوابه محذوف؛ أي: فادعوه.

﴿بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٤١).

[٤١] ثم أخبر أنهم لا يدعون سواه في الشدائد فقال:

﴿بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصُّونه بالدعاء.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: ما تدعون إلى كشفه.

﴿إِنْ شَاءَ﴾ أن يتفضل عليهم، ولا يشاء في الآخرة.

﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وتركوا آلهتكم في ذلك الوقت.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ ﴿٤١﴾ ۞ .

[٤٢] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ۞ فَلَِمَ يُؤْمِنُوا .

﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ ۞ بِالشَّدَّةِ وَالْجُوعِ .

﴿ وَالضَّرَّاءِ ۞ الْمَرَضِ وَالزَّمَانَةِ .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ۞ أَي : يَتُوبُونَ ، وَالتَّضَرُّعُ : السُّؤَالُ بِالتَّذَلُّلِ .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ۞ .

[٤٣] ﴿ فَلَوْلَا ۞ فَهَلَا .

﴿ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ۞ عَذَابُنَا .

﴿ تَضَرَّعُوا ۞ فَأَمَّنُوا ، مَعْنَاهُ : نَفَى التَّضَرُّعِ ؛ أَي : لَمْ يَتَضَرَّعُوا إِذْ جَاءَهُمْ
بَأْسُنَا .

﴿ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۞ فَلَمْ يُؤْمِنُوا .

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ۞ .

[٤٤] ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ۞ تَرَكُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْإِنذَارِ .

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من نِعَمِ الدُّنْيَا، وهذا فتحُ ابتلاء. قرأ ابنُ عامرٍ، وابنُ وردانُ عن أبي جعفرٍ: (فَتَحْنَا) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف (١).

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا ﴾ أُعْجِبُوا.

﴿ يَمَّا أُوتُوا ﴾ من النعم، وبَطَرُوا فلم يتوبوا.

﴿ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ فجأةً.

﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون، والإبلاسُ: الحزنُ المعترضُ من شدةِ اليأسِ، وأصله الإطراقُ ومن الحزنِ والندمِ.

﴿ فَفُتِّعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٥).

[٤٥] ﴿ فَفُتِّعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ المتخلفُ في أدبارهم؛ أي: استؤصلوا فلم يبقَ لهم (٢) باقيةٌ.

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ على إهلاكهم.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَابْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٤٦).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» للبداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦٨).

(٢) «لهم» ساقطة من «ش».

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها المشركون.

﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أي: أصمَّكم.

﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أعماكم.

﴿وَحُخِّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تفقهون شيئاً.

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ بما أخذ منكم.

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ الدالة^(١) على صدقك.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عنها. قرأ ورش (به انظر) بضم الهاء^(٢)،

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس بخلاف عنه: (يَصْدِفُونَ) بإشمام
الصاد الزاي^(٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ
الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأة.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينة ترونها، ثم استفهم مقررّاً فقال:

(١) في «ش»: «والدلالات».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٦/٤٢٨)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٢/٢٦٩).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/٢٥١، ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٧٠).

﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ هلاكِ سخطٍ وتعذيبٍ .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨) .

[٤٨] ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ المؤمنين بالجنة .

﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ الكافرين بالنار .

﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ ما يجبُ إصلاحه .

﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من العذاب .

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بفوتِ الثواب .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩) .

[٤٩] ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ كفروا و :

﴿ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ ﴾ يُصِيبُهُمْ .

﴿ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ يكفرون .

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠) .

[٥٠] ونزل حين اقترحوا الآيات :

﴿ قُلْ لَهُمْ ﴾

﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ مقدوراته ، فَأَنْزِلُ مَا اقترحتموه .

﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ فأخبركم به .

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فَأَقْدِرُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْبَشَرُ .

﴿ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ من الله ، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى ﴾ الكافر .

﴿ وَالْبَصِيرُ ﴾ المؤمن .

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ أنهما لا يستويان؟!

﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٥١﴾

[٥١] ﴿ وَأَنْذِرْ ﴾ خَوْفٌ .

﴿ بِهِ ﴾ أي : بالقرآن .

﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا ﴾ يُبْعَثُوا .

﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ واللفظ يعم كل مؤمن بالبعث من مسلم ويهودي ونصراني .

﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي : من دون الله .

﴿ وَلِيٌّ ﴾ قريب ينفعهم .

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفعُ لهم . تلخيصه : خَوْفُهُم بِالْقُرْآنِ .

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ فينزعجوا .

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٢] .

[٥٢] ولما أُمِرَ ﷺ بإنذارِ غيرِ المتقين ليتقوا، أُمِرَ بعدَ ذلكَ بتقريبِ المتقين، ونُهي عن طردهم؛ تكريماً لهم، وذلك أنه ﷺ كان قد عزمَ على إزالةِ بلالٍ وأصحابه الفقراءِ من مجلسه، ومجالسةِ الأقرعِ بنِ حابسٍ وأصحابه رجاءَ حسنِ إسلامهم، قالوا: وكتبَ لابنِ حابسٍ بذلكَ كتاباً، فنزل:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ^(١) يعبدون .

﴿رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ والمرادُ: الدوامُ على ذلك . قرأ ابنُ عامرٍ (بالْغَدَاةِ) بضمِّ الغينِ وسكونِ الدال، وواوٍ بعدها، وقرأ الباقون: بفتح الغين والدال، وألفٍ بعدها ^(٢) .

﴿يُرِيدُونَ﴾ بعملهم .

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، عن خباب - رضي الله عنه - . وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٩) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«المحتسب» لابن جني (٣٠٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٥٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧١/٢) .

﴿وَجْهَهُ﴾ أي: يخلصون عملهم لله تعالى، ولما طُعِنَ في هؤلاء، وتكلمَ فيهم عند النبي ﷺ، نزل:

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ.

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لا تُؤْخَذُ بحسابهم، ولا هم بحسابك حتى يهَمَّكَ إيمانهم بحيثُ تطرُدُ المؤمنين طمعاً فيه.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ فتبعدهم، جوابٌ للنفي، وهو قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إِنَّ فَعَلْتَ ذَلِكَ، جوابٌ للنهي، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدْ﴾ فدعاهم ﷺ وهو يقول: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: مثل ذلك الاختبار اختبرنا بعضَ الناسِ ببعضٍ، فابتلينا الغنيَّ بالفقير، والشريفَ بالوضيع، فإذا رأى الشرفاءُ والأغنياءُ الوضعاءَ والفقراءَ سبقوهم إلى الإيمان، تكبروا، فكان ذلك فتنةً لهم، فذلك قوله:

﴿لِيَقُولُوا﴾ يعني: المشركين.

﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: أهؤلاء الذين أنعمَ عليهم

بالإسلام دوننا، وميّزوا به علينا، ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحاف: ١١]، فقال تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: الله أعلمُ بمن يشكرُ الإسلام إذا هداه. قرأ السوسي عن أبي عمرو: (بِأَعْلَمَ) بإسكان الميم عند الباء، وتقدم الكلامُ عليه في سورة البقرة.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِشَايِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥٤] ثم أمر ﷺ بالسّلام عليهم إكراماً لهم فقل:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِشَايِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ثم قل لهم: ﴿كَتَبَ﴾ أي: أوجب.

﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فكان ﷺ إذا رآهم، بدأهم بالسّلام وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أبدأهم بالسّلام»^(١).

﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾ أي: جاهلاً بتحريمه.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله المعصية.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ أخلص توبته.

﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي،

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢١).

وخلف: (إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ) (فَإِنَّهُ) بكسر الألف فيهما على الاستئناف، وقرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: بفتح الألف فيهما بدلاً من الرحمة؛ أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى؛ كقوله: ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]. وقرأ نافع، وأبو جعفر: بفتح الأولى بدلاً من الرحمة، وكسر الثانية على الاستئناف؛ لأنها بعد الفاء^(١)، قال القرطبي: وهي قراءة بينة^(٢).

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ أي: ليظهر.

﴿سَبِيلٌ﴾ طريق.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ العاصين. قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء، و(سَبِيلٌ) نصب على خطاب النبي ﷺ؛ أي: لتعرف يا محمد طريق المجرمين، يقال: استنبت الشيء وتبينته: إذا عرفته، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف (وَلَيْسْتَبِينَ) بالياء (سَبِيلٌ) رفع، وقرأ الباقون: (ولتستبين) بالتاء (سَبِيلٌ) رفع؛ أي: ليظهر ويتضح،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (١/٢٦-٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٦/٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٧٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/٤٣٦).

و^(١) السَّبِيلُ يُذَكِّرُ؛ لقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾
[الأعراف: ١٤٦]، ويؤنَّثُ؛ لقوله: ﴿لَمْ تَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا
عَوَجًا﴾^(٢) [آل عمران: ٩٩].

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ
قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٥٦).

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ بما أنزل عليَّ من الآيات في أمر التوحيد.

﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في طرد الفقراء وعبادة الأوثان.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ إن اتبعت أهواءكم.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ
بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾^(٥٧).

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ ويقين.

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)،

و«تفسير البغوي» (٢٧/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٧٣).

﴿مَنْ رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ أي: بما جئتُ به، وكانوا قد استعجلوا العذاب، فقال ﷺ:

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب.
﴿إِنَّ الْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ لا لي.

﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾ من القضاء: الحكم؛ أي: يقضي القضاء الحق. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وعاصم: (يَقْضُ الْحَقُّ) بضم القاف والصاد المهملة مشدداً؛ أي: يقول الحق؛ لأنه في جميع المصاحف بغير ياء، ولأنه قال: (الحق) ولم يقل: بالحق، وقرأ الباقر (يَقْضُ) بسكون القاف وكسر الصاد المعجمة^(١)؛ من قضيتُ؛ أي: يحكم بالحق؛ بدليل أنه قال:

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ﴾ أي: الحاكمين، وحذفت الياء لاستثقال الألف واللام؛ كقوله: ﴿صَالِ الْجَنِيمِ﴾ [الصفات: ١٦٣]، ونحوها، وأثبت يعقوب الياء وقفاً. والقضاء شرعاً: هو الإلزام وفصل الحكومات، ومنصب القضاء فرض كفاية بالاتفاق، ويجب على من يصلح له إذا طلب ولم يوجد غيره ممن يوثق به الدخول فيه بغير خلاف، قال الإمام أحمد: إلا أن يشغله عمّا هو أهمّ منه. ويُشترط في القاضي: العدالة والاجتهاد عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: يجوز قضاء الفاسق، ولا ينبغي أن يؤلّى، ويجوز تقليد الجاهل؛ لأنه يقدر على القضاء بالاستفتاء، والأولى أن يكون عالماً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٧٤).

واختلفوا في صحّة قضاء المرأة، فقال أبو حنيفة: يصحّ قضاؤها فيما تقبلُ فيه شهادتها، وهو ما عدا الحدودَ والقصاصَ، وقال الثلاثة: لا يصحّ قضاؤها مطلقاً.

ويجوز القضاء على الغائبِ عندَ الثلاثةِ خلافاً لأبي حنيفة.

ويصحّ التحكيمُ لمن يصلحُ للقضاء بالاتفاق، واختلفوا في حكمه، فقال أحمد: ينفذُ حتى في حدٍّ وقَوْدٍ، فهو كحاكم الإمام مطلقاً، وقال مالك: حكمه ماضٍ في الأموال، فلو حكم بقتلٍ، أو اقتصَّ أو حدَّ أو لاعنَ أدبَ ومضى ما لم يكن جوراً بيناً، قال الشافعي: يصحّ مطلقاً في غير حدٍّ لله تعالى، وقال أبو حنيفة مثله، لكن إذا رُفِعَ إلى حاكمٍ آخر أمضاه إن وافق مذهبه، وإن لم يُوافقهُ أبطله، والحكمُ شرعاً: أمرٌ ونهيٌ يتضمَّن إلزاماً.

﴿ قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ من العذاب.

﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: لو كان عندي ما استعجلتم به من العذاب عندي، لأنزلته وتخلّصت منكم.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أي: بالمشرّكين، وبوقت عقوبتهم.

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه، جمعُ مِفْتَاحٍ بكسر الميم، وهو المفتاحُ، قال الكواشي: وزعم بعضهم أنه جمع مَفْتَحٍ بفتح الميم، وهو المخزنُ، ومفاتيحُ الغيب: الطرقُ الموصلةُ إلى علمه تشبيهاً بمفتاح الدار؛ لأن به يُفتح الباب، فَيُوصَلُ إلى ما فيها، والمراد: علمُ كلِّ ما غاب؛ كقيام الساعة، ومتى يأتي المطرُ، وما تغيضُ الأرحامُ، وما في غدٍ، والموتُ.

﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ أي: الطرقُ الموصلةُ إلى الغيب.

﴿إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾ من المفاوِزِ والقِفَارِ.

﴿وَالْبَحْرِ﴾ من القرى والأمصارِ خَصَّهما بالذكر لأنهما أعظمُ المخلوقاتِ المجاورةِ للبشرِ.

﴿وَمَا نَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ يريد: ساقطة وثابتة.

﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات.

﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ من الحباتِ المعروفة.

﴿فِي ظُلُمَتِ الْأَرْضِ﴾ بطونها.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «الرَّطْبُ الماءُ، واليابسُ البادية»^(١).

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: في اللوحِ المحفوظِ ليعتبرَ الملائكةُ بذلك، لا أنه سبحانه كتبَ ذلكَ لنسيانٍ يلحقه، تعالى عن ذلكَ المعنى، ما من شيءٍ من الأشياءِ إلا وهو يعلمه حيثما كان.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٢٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٢٧٩).

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ بأن يقبض أرواحكم إذا نمتُم .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم ﴾ كَسَبْتُم من الآثام وغيرها .

﴿ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي : يوقظكم بالنهار .

﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي : يتم ، وهو مدة الحياة .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ بعد الممات .

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم ﴾ يخبركم .

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاة عليه .

﴿ وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ ﴾ تقدّم تفسيره في أول السورة .

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ملائكة ، لكل إنسان ملكين بالليل ، وملكين

بالنهار يحفظون أعمال بني آدم .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ تقدّم اختلاف القراء في حكم الهمزتين من

كلمتين في سورة النساء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَوُثُّوا الشُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾

[النساء : ٥] ، وكذلك ^(١) اختلافهم في ﴿ جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ .

(١) في «ت» : «وكذا» .

﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ، رُوي أَنَّ الدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيِ مَلِكِ الْمَوْتِ كَالْمَائِدَةِ الصَّغِيرَةِ يَقْبِضُ مِنْ هُنَا وَهُنَا، فَإِذَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُ. قَرَأَ حَمْزَةُ: (تَوَفَّاهُ) بِأَلْفٍ مِمَالَةٍ^(١).

﴿وَهُمْ لَا يَفْرُطُونَ﴾ أَي: يُضَيِّقُونَ وَيُقَصِّرُونَ، وَمَعْنَى فَرَطَ: قَدِمَ الْعَجَزَ.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِبِينَ﴾^(٦٢).

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوْا﴾ أَي: جَمِيعُ الْعِبَادِ.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿مَوْلَهُمُ الْحَقُّ﴾ أَي: مَالِكُهُمْ وَمَتَوَلَّى أُمُورِهِمْ حَقِيقَةً، وَالْحَقُّ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالشَّيْءُ الْحَقُّ: هُوَ الثَّابِتُ حَقِيقَةً، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الصَّدَقِ وَالصَّوَابِ أَيْضًا، يُقَالُ: قَوْلٌ حَقٌّ؛ أَي: صَدَقٌ وَصَوَابٌ.

﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يَوْمَئِذٍ لَا حَكَمَ لغيرِهِ فِيهِ^(٢).

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِبِينَ﴾ يَحَاسِبُ الْخَلَائِقَ فِي مِقْدَارِ حَلَبِ شَاةٍ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرَةٍ وَلَا عَدٍّ.

﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٦٣).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٩/٢).

(٢) «فيه» ساقطة من «ت».

[٦٣] ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ﴾ قرأ يعقوب: بالتخفيف، والباقون: بالتشديد^(١).

﴿مَنْ ظَلَمْتَ الْيَرَّ وَالْبَحْرَ﴾ شدائدهما، وكانوا إذا سافروا في البرِّ والبحر، وصلوا الطريق، وخافوا الهلاك، دعوا الله مخلصين، فينجيهم، فذلك قوله:

﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية.

﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًا. قرأ أبو بكر عن عاصم: (خَفِيَّةً) بكسر الخاء، والباقون: بضمها، وهما لغتان^(٢).

﴿لَيْنَ أَنْجَنَّا مِنْ هَذِهِ﴾ خَلَّصْنَا^(٣). قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: (أَنْجَنَّا) بِالْفِ بَيْنَ النونِ والجيمِ من غير تاء؛ أي: لئن أنجانا الله من هذه الظلمة، وقرأ الباقر: بالياء، والتاء المفتوحة بين الجيم والنون، وكذلك هو في مصاحفهم^(٤).

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله تعالى، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحققها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) «ت» و«ظ» و«ن»: «خلصتنا».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩-٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٩).

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشامٌ. (يُنَجِّيكُمْ) بالتشديد، والباقون: بالتخفيف^(١).

﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: غمٍّ.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأصنام به، وهي لا تضرُّ ولا تنفعُ.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الصَّيْحَةُ، والريحُ، والحجارةُ، والطوفانُ؛ كعَادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ نوحٍ وأصحابِ الفيلِ .
﴿أَوْ مِن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسفُ والرجفةُ؛ كقارونَ وقومِ شعيبِ .
﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيْعًا﴾ يَخْلِطُكُمْ فِرْقًا مختلفينَ .

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالحربِ والقتلِ في الفتنةِ .
﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبيِّنُ لهم بالحججِ والدَّلالاتِ .
﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمونَ ما هم عليه من الشركِ والمعاصيِ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٩).

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ أي: القرآن .

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق لا محالة .

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بمسلطٍ أُلجئكم إلى الإيمان، إنما أنا منذرٌ .

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ﴾ خبر .

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ منتهى ، فيتبين الصدق من الكذب ، والحق من الباطل .

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد .

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾ بالاستهزاء .

﴿فِي آيَاتِنَا﴾ يعني: القرآن .

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعالجهم .

﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ غير الاستهزاء .

﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ﴾ المعنى: إن شغلك .

﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته حتى تنسى النهي . قرأ ابنُ عامرٍ (يُنْسِيَنَّكَ) بفتح

النون وتشديد السين، من نَسَى، وقرأ الباقون: بسكون النون وتخفيف السين^(١)، من أَنْسى^(٢).

﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ أي: التذكير للنهي.

﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بالكذب والاستهزاء.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [٦٩].

[٦٩] ولما تحرَّج المسلمون من مجالسة المشركين بعد النهي، نزل:

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.

﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ آثامهم.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما يلزمهم بمجالستهم إثمٌ يحاسبون عليه.

﴿وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ﴾ أي: عليهم أن يُذكروهم بإظهار الكراهة لهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ﴾ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا

(١) في «ن»: «النون».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٠).

شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا
لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٧٠] ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ ﴾ أي: الذي كان يجبُ عليهم أن
يَتَّخِذُوهُ، وهو دينُ الإسلامِ والقرآنِ.

﴿ لَعِبَاءٌ وَلَهُوٌّ ﴾ لأنهم كانوا إذا سمعوا القرآنَ، تلاعبوا استهزاءً ولَهُوًّا
عنه.

﴿ وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ حتى أنكروا البعثَ، المعنى: أعرض عن
المشركين، ولا تلتفت إليهم.

﴿ وَذَكَرِيهِ ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ أي: مخافةً أَنْ تُسَلَّمَ لِلْهَلَاكِ.

﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وأصلُ الإبسالِ: المنعُ، ومنه: أَسَدٌ بَاسِلٌ، لأن فريسته
لا تُقْلَبُ منه.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يدفعُ عنها العذابَ.

﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ أي: تَفْتَدِ كُلَّ فِدَاءٍ.

﴿ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ ﴾ إشارةً إلى الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً.
﴿ الَّذِينَ أُبْسِلُوا ﴾ ارتهنوا.

﴿ بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ شديد الحرارة.

﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفرهم.

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ ۖ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ ۖ إِلَى الْهُدَىٰ اثْنًا ۖ قُلْ إِنَّا هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١).

[٧١] قيل : ونزل لما دعا أبا بكر ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأصنام :

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ۖ ﴾ إن عبدناه .

﴿ وَلَا يَضُرُّنَا ۖ ﴾ إن تركناه .

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ۖ ﴾ إلى الشرك مرتدين .

﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ۖ ﴾ بإنقاذنا منه .

﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ۖ ﴾ هَوَتْ به ؛ أي : طلبت هَوِيَّه وضلَّالته . قرأ حمزة : (اسْتَهْوَاهُ) بألف مماله^(١) .

﴿ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ ۖ ﴾ مترددٌ ، لا يدرى أين يذهب .

﴿ لَهُ ۖ أَصْحَابٌ ۖ ﴾ على الطريق .

﴿ يَدْعُونَهُ ۖ إِلَى الْهُدَىٰ ۖ ﴾ يقولون له :

﴿ اثْنًا ۖ ﴾ ارجع إلينا ، فلا يلتفت إليهم ، وهذا مثلٌ ضربهُ الله لمن يدعو إلى الآلهة ، ولمن يدعو إلى الله .

﴿ قُلْ إِنَّا هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ ﴾ يزجرُ عن عبادة الأصنام .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٦٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٣) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٤) .

﴿وَأْمَرْنَا لِسُلَيْمَ﴾ أي: وقُل: وَأْمَرْنَا أَنْ نَسْلَمَ ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواْ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواْ﴾ أي: وَأْمَرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ

وتقوى الله.

﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تَجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿٧٣﴾.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: حقاً.

﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ والمعنى: فيكون جميع ما أَرَادَ مِنْ مَوْتِ النَّاسِ

وحياتهم.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الواقع لا محالة.

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني: ملكُ الملوك يومئذٍ زائلٌ،

كقوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، والأمرُ لله في كلِّ وقتٍ،

والصورُ: القرنُ الذي يُنْفَخُ فيه، وهو كهيئة البوق.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: ما غابَ عن العبادِ وما يشاهدونه.

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ سبحانه .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْنَمَاءَ إِلَهَةٍ إِنِّي أَخَافُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي : واذكرْ إِذْ قَالَ .

﴿ لِأَبِيهِ أَسْنَمَاءَ ﴾ واسمُهُ تَارْحُ، وَأَزْرُ لَقَبٌ، ومعناه: المعوجُّ، واشتقاقه من الوِزْرِ: الإِثْمُ. قرأ يعقوبُ: بضمِّ الرَّاءِ؛ يعني: يَا أَزْرُ، وقرأ الباقرُ: بالنصبِ في محلِّ الخفضِ؛ لأنَّه أعجميٌّ لا ينصرفُ^(١).

﴿ أَتَتَّخِذُ ﴾ أي : تعبدُ.

﴿ أَصْنَمَاءَ إِلَهَةٍ ﴾ دونَ الله .

﴿ إِنِّي أَخَافُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ ﴾ عن الحقِّ .

﴿ مُبِينٍ ﴾ ظاهرِ الدلالةِ. قرأ عاصمٌ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي) بِاسْكَانِ الياءِ، والباقرُ: بفتحها^(٢).

(١) انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٨٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٤٨).

﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٧٥﴾.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: كما أريناهُ البصيرةَ في دينه، والحقَّ في خلافِ قومِهِ، نُرِيهِ.

﴿مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقَهُما وخلقَ ما فيهِما الدَّالُّ على الربوبيةِ والوحدانيةِ، رُوي أَنه رأى جميعَ السمواتِ والأرضِ وما فيهِما حتى العرشِ، وأسفلَ السفلى، فرأى عاصياً، فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فأراد أن يدعوَ عليه، فقال تعالى: أنت مُستجابُ الدعوةِ، فلم تدعُني على عبادي، فإنما أنا من أعبدي علي ثلاثِ خلالٍ^(١): إما أن يتوبَ إليَّ فأتوبَ عليه، وإما أن أُخرجَ منه نسمةً تعبدني، وإما أن يُبعثَ إليَّ، فإن شئتُ عفوتُ عنه، وإن شئتُ عاقبته^(٢).

﴿وَلِيَكُونَ﴾ عطفٌ على المعنى، معناه: نُرِيهِ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ؛ ليستدلَّ به.

﴿مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ من الموقنين، الموقنُ: العالمُ بالشيءِ علماً لا يمكنُ أن يطرأَ له فيه شكٌ.

(١) «ت»: «خصال».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦-٢٥٧، ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣-١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٨٤-٢٨٦).

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ
الْأَفْلَاقَ﴾ ﴿٧٦﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أي: أظلم.

﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف،
وورش، وابنُ ذكوان: (رَأَىٰ كَوْكَبًا) و(رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ) وشبهه بإمالة الراء
والهمزة حيث وقع، وافقهم أبو عمرو في إمالة الهمزة فقط، ورؤي عن
السوسي أربعة أوجه: فتحُ الراء والهمزة وكسرهما، وفتحُ الراء وكسرُ
الهمزة، وعكسه، ورؤي عن أبي بكر وجهان: كسرُ الراء وفتحُ الهمزة،
وكسرهما، ورؤي عن حمزة: كسرُ الراء وفتحُ الهمزة، والباقون: بفتحهما
وكذلك (رَأَى الشَّمْسَ)، و(رَأَى الَّذِينَ) في النحل، و(رَأَى الْمُجْرِمُونَ) في
الكهف، و(رَأَى الْمُؤْمِنُونَ) في الأحزاب^(١).

رُوي أن إبراهيم عليه السلام ولد في زمنِ نمرود بنِ كنعان بن
سبحاريب بن كوش بن سام بن نوح، وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسه،
ودعا الناسَ إلى عبادته، حُكي أنه رأى له منجموه أن مولوداً يولد له في سنةٍ
كذا في عمله يكونُ خرابُ الملكِ على يديه، فجعل يتتبع الجبالِ، ويوكُلُ
بهنَّ حُرَّاساً، فمن وضعتْ أنثى تُركت، ومن وضعت ذكراً حُمِلَ إلى الملكِ
فذبحه، وإنَّ أُمَّ إبراهيم حملتْ به، واسمها يُونَّا، وقيلَ غيرُ ذلك، وكانت
شابةً قويةً، فسترتْ حملها، فلما قُرِبَتْ ولادتها بعثت تارح أباً إبراهيم إلى
سفر، فمضى إليه، ثم خرجت هي إلى غار، فولدت فيه إبراهيم وتركته في
الغار، وكان مولده عليه السلام بكوثى، من إقليم بابل، من أرضِ العراقِ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٦/٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣٠٢/٣).

على أرجح الأقوال، في ليلة الجمعة ليلة عاشوراء لمضي ألف وإحدى وثمانين سنة من الطوفان، وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفين ومئتين واثنين وأربعين سنة، وبين مولد إبراهيم عليه السلام والهجرة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ألفان وثمان مئة وثلاث وتسعون سنة على اختيار المؤرخين، والاختلاف في ذلك كثير، وتقدم ذكر وفاته وقدر عمره ومحل قبره في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [الآية: ١٢٤]، وكانت تفتقده في الغار، فتجده يغتذي بأن يمص أصابعه فيخرج منها عسل وسمن ونحو هذا، وكان يشب شباباً لا تشبه الغلمان، يومه كالشهر، وشهره كالسنة، ولم يمكث في الغار إلا خمسة عشر شهراً، وتكلم فقال لأمه يوماً: من ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت: نمرود قال: فمن رب نمرود؟ قالت له: اسكت، فسكت فرجعت إلى زوجها، فقالت له: أرايت الغلام الذي كنا نتحدث به أنه يغير دين أهل الأرض؟ فإنه ابنك، ثم أخبرته بأمره ومكانه، فأتاه ونظرة وفرح به، فقال له إبراهيم: يا أبتاه! من ربي؟ فقال: أمك، قال: من رب أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربك؟ قال: النمرود، قال: فمن رب النمرود؟ فلطمه لطمه، وقال له: اسكت، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، ثم إن إبراهيم قال لأمه يوماً: أخرجيني من الغار، فأخرجته عشياً، فلما خرج نظر وتفكر في خلق السموات والأرض، ثم قال: إن الذي خلقني ورزقني ويطعمني ويسقيني لربي، ما لي إله غيره، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً، قيل: إنه الزهرة، وقيل: المشتري^(١).

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢٧٧٦/٨).

﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ ثم أتبعه بصره ينظر إليه .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ أي : غاب سئمه .

﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ أي : لا أحبُّ رباً لا يدوم ، وهذا يدلُّ على إعمال عقله وعلمه ؛ إذ الآفل لا يجوز أن يكون إلهاً .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [٧٧]

[٧٧] ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ طالعا أول طلوعه .

﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ فأتبعه بصره .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ سئمه ورجع بفكره متوجّهاً إلى ربه ، ﴿ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ أي : يشنني على الهدى .

﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ استعجز نفسه ، واستعاذ بربه في درك الحق ؛ لأن الهداية والتوفيق بيده سبحانه .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَلْقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [٧٨]

[٧٨] ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا ﴾ أي : الطالع .

﴿ رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ من الكواكب والقمر .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ سئمها وتوجّه إلى ربّه بقلب سليم ، ووجّه وجهه للحقّ

بالصدق واليقين، و﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ من الأجرام المحدثّة.

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم (وَجْهِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا ﴾ مائلاً إلى الحقّ.

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فنقله الله من علم اليقين إلى عين اليقين.

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٠).

[٨٠] ثم إن أباه ضمّه إليه، فشبّ شاباً حسناً، وروي أن القصة التي وقعت له في حال مراهقته، وأن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يُنبههم على الخطأ في دينهم، ويرشدهم إلى الحقّ من طريق النظر والاستدلال، فقال له على وجه الاستفهام والتوبيخ لهم، وإقامة الحجّة عليهم في عبادة الأصنام والكواكب؛ كأنه قال لهم: أهذا ربي بزعمكم؟! أو مثل هذا يكون رباً؟! ثم عرض إبراهيم عليه السلام

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٨٦).

عليهم في حركته وأفوله أماراة الحدوث، وأنه لا يصلح أن يكون رباً، ثم في أخرى أعظم منه، ثم في الشمس كذلك، فكأنه يقول: فإذا بان في هذه المنيرات أنها لا تصلح للربوبية، فأصنامكم التي هي خشبٌ وحجارةٌ أخرى أن يبين ذلك فيها، ولا زال ﷺ في جميع أحواله مجملاً مكملاً حتى أكرمه الله تعالى بما أكرمه من الآيات البينات، والكرامات الباهرات، ثم ألبسه خلعة الخلّة، وجعله من أولي العزم من الرسل، وجعله أبا الأنبياء، وتاج الأصفياء، ونور أهل الأرض، وشرف أهل السماء، وكان أبوه آزر يصنع الأصنام ويعطيها له لبيعها، فكان إبراهيم يقول: مَنْ يشتري مَنْ يضرُّه ولا ينفعه؟! فلا يشتريها أحدٌ، فإذا بارت عليه، ذهب بها إلى نهر، فصوّب فيه رؤوسها، وقال لها^(١): اشربي؛ استهزاءً بقومه وما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته.

﴿وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ﴾ خاصّموه في دينه.

﴿قَالَ اتَّخَذُونِي فِي اللَّهِ﴾ أتجادلونني في توحيد الله.

﴿وَقَدْ هَدَيْنِ﴾ للتوحيد والحق. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر:

(أَتَحَاجُونِي) بتخفيف النون، بخلاف عن هشام، والباقون: بتشديدها إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى، ومن خَفَّفَ حذف إحدى النونين تخفيفاً^(٢)، وأثبت أبو عمرو، وأبو جعفر الياء في: (هَدَانِي) وصلاً،

(١) «لها» ساقطة من «ت» و«ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٦).

وأثبتها يعقوبُ في الحاليين، وقرأ الكسائيُّ: (هَذَا) بالإمالة^(١).

﴿وَلَا أَخَافُ مَا﴾ أي: الذي .

﴿تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: لا أخافُ معبوداتكم؛ لأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ، وذلك أنهم قالوا له: احذر الأصنام؛ فإننا نخافُ أن تمسَّك بسوءٍ من خَبَلٍ أو جنونٍ؛ لعيبك إياها، فأجابهم بذلك .

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: إلا أن يشاء أن يُلْحِقَنِي بشيءٍ من المكروهِ بذنبٍ عملته، فتتم مشيئته .

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاطَ علمه بكلِّ شيء .

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون الحقَّ من الباطل .

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١).

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلق به ضررٌ .

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة .
المعنى: لم تنكروا عليَّ الأمنَ في محله، ولا تنكروا على أنفسكم الأمنَ في محلِّ العطبِ لأنكم تُشركون بالله .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٧).

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ الموحّدون أم المشركون؟ وإنما لم يقل: أئنا أنا أم أنتم؛ احترازاً من تزكية نفسه.

﴿ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ صدق القول.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢).

[٨٢] فقال الله تعالى قاضياً بينهم:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ﴾ يخلطوا.

﴿ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ بشرك.

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ فلما نزلت الآية، شقّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله! فأئنا لم يظلم نفسه؟ فقال: «ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ^(١) الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) [لقمان: ١٣].

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣).

[٨٣] ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلى ما احتجّ به إبراهيم على قومه من قوله:

(١) «هو» ساقطة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٨)، كتاب: استتابة المرتدين، باب: ما جاء في المتأولين، عن ابن مسعود - رضي الله عنه -.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾.

﴿ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ حجة.

﴿ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ حتى خصمهم.

﴿ نَزَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ بالعلم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ يضع كل شيء في موضعه. قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (دَرَجَاتٍ) بالتنوين، والباقون: بغير تنوين^(١)، وتقدم اختلاف القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة من تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن يَشَأْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وكذلك اختلافهم في (نَشَأٌ إِنَّ رَبَّكَ).

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

[٨٤] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ تقدم ذكرهما في سورة البقرة.

﴿ كُلًّا ﴾ منهما.

﴿ هَدَيْنَا ﴾ ووفقنا وأرشدنا.

﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ أي: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ إبراهيم، وتقدم ذكره في سورة آل عمران.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ يعني: نوحاً؛ لأنه ذكر في جملتهم يونس ولوطاً، ولم يكونا من ذرية إبراهيم و﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ تقدم ذكر سليمان في سورة البقرة، وداود وأيوب في سورة النساء.

﴿يُوسُفَ﴾ هو ابنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم الخليل عليهم السلام، ولد لما كان لأبيه من العمر إحدى وتسعون سنة، ووقع له مع إخوته وفي ملك مصر ما سنذكره في سورة يوسف إن شاء الله تعالى، وعاش مئة وعشرين سنة، وبينه وبين موسى أربع مئة سنة، وتوفي بمصر، ودُفن بها في وسط بحر النيل في صندوق من الرخام، وذلك أنه لما مات، تشاحن عليه الناس حتى هموا أن يقتلوا، كلُّ يحبُّ أن يُدفن في محلِّته رجاء بركته، ثم رأوا أن يُدفن في النيل، فيمرَّ عليه الماء، ثم يصلُّ إلى جميع مصر، فتعمُّهم بركته، ففعلوا ذلك، ولم يزل مدفوناً ثمَّ حتى كان زمنُ موسى وفرعون، فلما سار موسى ببني إسرائيل، نبشهُ كما تقدَّم ذكره ملخصاً في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية: ٥٠]، وحَمَلَهُ على عجلٍ من حديد، ودفنه بحبرون^(١) في البقيع خلف المغارة التي بُني عليها الحيزُ السليمانيُّ حذاء قبر يعقوب وجوار جدِّه إبراهيم وإسحاق عليهم السلام، وقيل: دُفن بقرب نابلس، والأول هو المشهورُ عند الناس، وقد استفاض فلم ينكر.

﴿وَمُوسَى﴾ تقدَّم ذكره في سورة البقرة.

(١) في «ن»: «جبرون».

﴿وَهَارُونَ﴾ في سورة النساء، تلخيصه: ومن ذرية نوح هَدَيْنَا جميعَ المذكورين بعدُ.

﴿وَكُذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ونجزِي المحسنين جزاءً مثلَ جزاءِ إبراهيمَ برفعِ درجاتِهِ وكثرةِ أولادِهِ والنبوةِ فيهِم.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٥﴾.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى﴾ تقدّم ذكرُهُم في آلِ عمرانَ، والمائدة، وفي ذكرِ عيسى دليلٌ على أَنَّ أولادَ البناتِ من الذريةِ، فإذا وقفَ على ذريتهِ، دخلَ أولادُ البناتِ، وهو مذهبُ مالكٍ، وبه قالَ أبو يوسفَ، وعن أبي حنيفةَ روايتان، والراجحُ المقدّمُ من مذهبِ أحمدَ المنصوصُ عنه أَنهم لا يدخلونَ إلا بقرينةٍ؛ كقوله: من ماتَ فنصيبُهُ لولده ونحوه، وعنه روايةٌ ثانيةٌ أَنهم يدخلون، اختاره جماعةٌ من أصحابِهِ، وعليه العملُ.

﴿وَالْيَاسَ﴾ هو ابنُ بشرِ بنِ فنحاصِ بنِ العيزارِ بنِ هارونَ بنِ عمرانَ، أرسلَ إلى أهلِ بعلبك، وسيأتي ذكرُهُ في سورةِ الصافاتِ إن شاء الله تعالى.

﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾.

[٨٦] ﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾ هو ابنُ إبراهيمَ، تقدّم ذكرُهُ في سورةِ البقرة.

﴿وَالْيَسَعَ﴾ هو ابنُ أخطوبَ بنِ العجوزِ، استحفظه إلياسُ على بني

إسرائيل، ثم استنبى. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَالْيَسَعَ) بتشديد اللام وسكون الياء، وقرأ الباكون: مخففاً بفتح الياء وسكون اللام^(١)، وهما لغتان، فمن قرأ بلامين، فأصل الاسم: لَيْسَعُ، ثم دخلت الألف واللام للتعريف، ومن قرأ بلام واحدة، فالاسم يُسَعُ، ودخلت الألف واللام زائدتين، كزيادتهما في نحو الخمسة عشر، قال وهب: اليسع صاحب إلياس، وكانا قبل زكريا عليه السلام.

﴿يُوشَعَ﴾ هو ابن متى، وتقدم ذكره في سورة النساء. ﴿وَلُوطًا﴾ هو ابن هاران بن آزر، سمي لوطاً؛ لأن حبه ليط بقلب عمه إبراهيم؛ أي: تعلق ولصق، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً، وكان ممن آمن به، وهاجر معه إلى مصر، وعاد إلى الشام، وأرسله الله إلى أهل سدوم، وكانوا أهل كفر وفاحشة، وسنذكر ملخص أخبارهم في محله إن شاء الله تعالى، وقبره في قرية كفر بريك، [تبعداً]^(٢) عن حبرون نحواً من فرسخ من جهة الشرق.

﴿وَكَلَّا فَضْلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨٧).

[٨٧] ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على (كلأ)؛ أي: وفضلنا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٩).

(٢) لم ترد في جميع النسخ والسياق يقتضيها.

بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم؛ فإنَّ منهم من لم يكن نبياً ولا مهدياً.

﴿وَأَجْبَيْتَهُمْ﴾ واختَرناهم.

﴿وَهَدَيْتَهُمْ﴾ أرشدناهم.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تكريرٌ لبيان ما هُودوا إليه.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٨٨]

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما دانو به.

﴿هُدَى اللَّهِ﴾ دينُ الله.

﴿يَهْدِي﴾ يرشدُ.

﴿بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ لأنه المتفضلُ بالهداية.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي: المذكورون مع جلالَةِ قدرهم.

﴿لَحِطَ﴾ لبطل.

﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وكانوا كغيرهم في سقوطِ ثوابِ أعمالهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ
وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [٨٩]

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: الكتب المنزلة عليهم.

﴿وَالْحُكْمَ﴾ العلم.

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ الرسالة.

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بهذه الثلاثة.

﴿هُؤُلَاءِ﴾ يعني: كفار مكة.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أي: بمراعاتها.

﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ يعني: الأنصار، وأهل المدينة، وقيل: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم هاهنا، والباء في ﴿بكافرين﴾ زائدة لتأكيد النفي، والمعنى: جميع من ذكر وفقنا للإيمان بهذه الأشياء، وليسوا كافرين بها، بل يحفظونها.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقَدَّةٌ قُلْ لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني: الأنبياء المتقدم ذكرهم.

﴿فَبِهِدَّتْهُمْ﴾ فبستتهم.

﴿أَقَدَّةٌ﴾ اتبع طريقتهم في التوحيد والصبر على الميثاق دون الشرائع؛ لأنها مختلفة، والهاء فيه هاء الوقف. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (اقتد قل) بحذف الهاء في الوصل استغناءً به عنها، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: بإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء في الوصل، وهشام: باختلاس كسرتها في الوصل بغير صلة تشبيهاً لها بما هو أصل،

وقرأ الباقر: بإثباتها في الحالين؛ لثبوتها في المصاحف، وسكّنها
وَصَلَاً؛ لأنها لِلسَّكْتِ^(١).

﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْكُفْرَةُ الْمَعَانِدِينَ:

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن.

﴿أَجْرًا﴾ جُعَلًا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: تذكير وعظة لهم.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ
الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا
وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حقَّ عَظَمَتِهِ فيما وجب
لَهُ، واستحالَ عليه.

﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ رُوي أن مالك بن الصيف من أحناب
اليهود ورؤسائهم جاء يخاصم النبي ﷺ بزعمه، فقال رسول الله ﷺ:
«أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى! هَلْ تَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ يُنْغِضُ الْحَبَرَ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٢١٣)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٠-٢٩١).

السَّمِينِ؟! فَأَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ، قَدْ سَمِنْتَ مِنْ مَالِكَ الَّذِي يُطْعِمُكَ الْيَهُودُ، فضحك القومُ، فغضب، ثم التفتَ إلى عمرَ فقال: ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ من شيءٍ، فقال له قومه: وَيَلَّكَ! ما هذا الذي بلغنا عنكَ؟! فقال: إنه أغضبني، فقلتُ ذلك، فقالوا له: وأنتَ إذا غضبتَ تقولُ على الله غيرَ الحقِّ؟! فنزعوه من الحبرية، وجعلوا مكانه كعبَ بنَ الأشرفِ، فنزلت الآية^(١)، ثم قالَ نَقْضاً لقولهم، ورَدّاً عليهم:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ يعني: التوراة.

﴿نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ نَيْرًا وَهَادِيًا.

﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ دفاترَ مبددة.

﴿يُبْدُونَهَا﴾ تُظْهِرُونَ ما تحبون.

﴿وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ من نعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: (يَجْعَلُونَهُ) (يُبْدُونَهَا) (وَيُخْفُونَ) بالغيبِ في الثلاثة؛ لقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وقرأ الباقر: بالخطاب فيهن^(٢)؛ لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، وقوله:

﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ يَلَّمُوا﴾ بالخطابِ لليهود؛ أي: علمتم على لسانِ محمدٍ ﷺ ما لم تعلموا.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١٣٤٢)، عن سعيد بن جبیر، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٩٢-٣٩٣).

﴿أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ زيادةً على ما في التوراة، وبياناً لما التبسَ عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلمَ منكم.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا راجعُ إلى قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، فَإِنْ أَجَابُوكَ، وَإِلَّا أَنْتَ: ف﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أَنْزَلَهُ.
﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم وجهلهم.

﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: لاعبين، ومعنى الكلام التهديدُ.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

[٩٢] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ يعني: القرآن.

﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثيرُ الفائدةِ والنفع.

﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتبِ المنزلةِ قبله.

﴿وَلِتُنْذِرَ﴾ يا محمد. قراءة الجمهور: بالخطابِ للنبي ﷺ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالغيبِ إخباراً عنه ﷺ^(١).

﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ أصلُ البلادِ مكة.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم أهلُ شرقِ الأرضِ وغربها.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالكتاب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، وباقي المصادر السابقة.

﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ الخمس .

﴿يُحَافِظُونَ﴾ يداومون .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٩٣]

[٩٣] ونزل في مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة حين زعم أنه نبي يوحى

إليه :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾ اختلق .

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أن الله بعثه نبياً .

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وهو عبدُ الله بنُ سعد بن سرح ، كان يكتبُ لرسولِ الله ﷺ ، فلما نزلت : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ فلما بلغ قوله : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ قال عبدُ الله : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] تعجباً من تفصيلِ خلقِ الإنسان ، فقال عليه الصلاة والسلام : «اكتُبْهَا ، فَكَذَلِكَ أَنْزَلْتُ» ، فشكَّ عبدُ الله وقال : لئن كانَ محمدٌ صادقاً ، لقد أوحى إليَّ كما أوحى إليه ، ولئن كانَ كاذباً ، لقد قلتُ كما قال ، ولحقَ بالمشرَكين مرتدأً ، ثم أسلمَ قبلَ الفتحِ والنبي ﷺ بِمَرَّ الظَّهْرَانِ^(١) .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٢٢) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥) ، =

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يريدُ المستهزئين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد.

﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده، وأصله من: غمر الشيء.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض أرواحهم، ويقولون إزعاجاً لهم:

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أرواحكم؛ لنقبضها، والجواب محذوف، أي:

ولو تراهم في هذه الحالة لرأيت عجباً.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: الهوان.

﴿يَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من ادعاء الولد والشريك له، ودعوى

النبوة والوحي.

﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتعظمون فلا تؤمنون.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ

ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ وحداناً بلا مالٍ ولا شافعٍ، جمع وحدان

كسكران، هذا خبرٌ من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئة التي ولدتهم عليها.

= و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٣١٧).

﴿وَرَكَّعْتُمْ مَا حَولَ لَنَّاكُمْ﴾ أعطيناكم .

﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم .

﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ﴾ أي : الأصنام .

﴿الَّذِينَ رَعَيْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ لله .

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ، والكسائي ، وحفص عن

عاصم : (بَيْنَكُمْ) بنصب النون ؛ أي : تقطَّع ما بينكم من الوصل ، وقرأ نافع

والباقون : بضم النون ؛ أي : تقطع^(١) .

﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾ ضاع وبطل .

﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنها شفعاؤكم .

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ

الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ .

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي : شاقَّهما بالنبات بين الزرع

والنخل .

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي : البشر الحي من النطفة الميتة .

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي : النطفة الميتة من البشر الحي ، وكذلك

الطير من البيض ، والحوث ، وسائر الحيوان . قرأ نافع ، وأبو جعفر ،

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٦٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٥) ،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٦) .

وحمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: (الْمَيِّتِ) بتشديد الياء في الحرفين، والباقون: بالتخفيف^(١).

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: المحيي المميت.

﴿فَأَنَّى تُؤَفَّكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن الحقِّ إلى ضده؟

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٩٦].

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: شاقُّه حينَ يَتَبَيَّنُ الصُّبْحُ.

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكنُ فيه خلقه. قرأ الكوفيون: (وَجَعَلَ) على الماضي (اللَّيْلَ) نصباً اتباعاً للمُصحف، وقرأ الباقر: بالالف وكسر العين ورفع اللام وخفض (اللَّيْلَ) إضافة^(٢).

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: علّمي حُسبانٍ يُعَلِّمُ بدورهما حسابُ الأوقات.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي سَيَّرهما.

﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)،

و«تفسير البغوي» (٢/٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٩٨).

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٧).

[٩٧] ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ ﴾ أي: خلقها لكم.

﴿ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ فِي.

﴿ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾ لأن راکب البحر والسائر في القفار يهتدي بها في الليل

إلى مقاصده.

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ﴾ بيّناها فصلاً فصلاً.

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنهم المتفعلون به.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨).

[٩٨] ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴾ خلقكم، والإنشاء: إثبات شيء لم يكن

قبله.

﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وروح عن يعقوب:

(فَمُسْتَقَرٌّ) بكسر القاف؛ أي: فمنكم مستقرٌّ، ومنكم مستودعٌ، وقرأ

الباقون: بفتحهما؛ أي: فمنكم مستقرٌّ ومستودعٌ، والمستقرُّ: أرحامُ

الأمهات، والمستودعُ: أصلابُ الآباء، وقيل غير ذلك، واتفقوا على فتح

الدال من مستودع^(١)؛ لأن المعنى أن الله استودعه، فهو مفعولٌ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٩).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ أي: بيّنا.

﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾ والفقه لغة: الفهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السحاب.

﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بالماء.

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات.

﴿خَضِرًا﴾ أي: زرعاً رطباً.

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ بعضه فوق بعضٍ مثل سنابل البرِّ والشعير وسائر الحبوب.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾ والطلع: أول ما يخرج من ثمر النخل.

﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قِنْوٍ، وهو العِذْق.

﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة المتناول.

﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ قرأ العامة: (جَنَاتٍ) نصباً عطفاً على (نَبَاتٍ)، وقرأ الأعشى عن عاصم: (وَجَنَاتٍ) بالرفع نسقاً على قوله: (قِنْوَانٌ)^(١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤٩/٢)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري

(١/١٤٨)، و«تحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٤)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٣٠٠/٢).

﴿وَالزَّيْتُونُ وَالرُّمَّانُ﴾ أي: وأخرجنا شجرتيهما.

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهِ﴾ المعنى: مشتبهاً ورقهما، مختلفاً ثمرهما؛ لأنَّ ورق الزيتون يشبه ورق الرمان.

﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ثَمَرِهِ) بضمّ الثاء والميم على جمع الثمار، والباقون: بفتحهما على جمع الثمرة^(١).

﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ إذا خرج ثمره لا يكاد ينتفع به.

﴿وَيَبْعُهُ﴾ نضجه كيف يعود فحماً ذا نفع ولذة.

وأما الحكم في بيع الثمرة منفردة عن الشجر، فإذا بدا صلاحها، جاز بيعها مطلقاً، وبشرط التبقية، وبشرط القطع عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة يجب القطع في الحال، فإذا شرط التبقية، بطل البيع، وإذا لم يبدُ صلاحها، يجوز بيعها إذا كانت منتفعاً بها بشرط القطع في الحال، فإن باع بشرط التبقية بطل البيع بالاتفاق، وإن لم يشترط القطع، بطل عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: البيع صحيح، ويؤمر بالقطع.

وأما الزرع إذا اشتدَّ حبُّه، صحَّ بيعه عند الثلاثة، وعند الشافعي لا يصحُّ بيعه دون سنبله، ولا معه في الجديد.

إذا أصابت الثمار جائحة بأمر سماوي، وهي التي لا صنع لآدمي فيها، فهي من ضمان المشتري عند أبي حنيفة، والشافعي لا يجب له وضع شيء

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠١).

من الثمن، وعند مالك إن أتلقت الجائحة ثلث الثمرة فصاعداً، سقط عن المشتري بقدر ما تلف، وإن كان دون الثلث، لم يرجع على البائع بشيء، وعند أحمد إن تلفت أو بعضها ولو بعد قبضها وتسليمها رجع على البائع ما لم يشترها مع أصلها، ويؤخرها عن وقت أخذها المعتاد، ولكن يسامح في الشيء اليسير الذي لا ينضب، ولو تعينت به، خير بين الإمضاء مع الأرض، وبين الرد وأخذ الثمن كاملاً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تنبيه وتذكير، ونزل توبيخاً لمن أشرك بالله، ورداً عليه.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ يعني: الكافرين صيروا الجن شركاء لله.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يعني: وهو خلق الجن.

﴿وَخَرَقُوا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَخَرَقُوا) بتشديد الراء على الكثير، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ أي: اختلقوا^(١).

﴿لَمْ يَنْبِئْ وَبَنَتْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل تخرصاً؛ كقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وقول كفار العرب: الملائكة بنات الله، ثم نزه نفسه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٣).

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من وصفهم الفاسد المستحيل عليه
تبارك وتعالى .

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

[١٠١] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : مبدعهما لا على مثال سبق .

﴿أَنَّى﴾ أي : كيف .

﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ زوجة .

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات مع عدم حاجته إليها . قرأ أبو عمرو :
(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (وَخَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) وشبهه بإدغام القاف في الكاف حيث
تحرك ما قبلها ، فإن سكن ما قبلها ، لم يدغمها ، نحو قوله : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٧٦] وشبهه .

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا تخفى عليه خافية .

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ .

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات ، وهو مبتدأ .

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أخبار مترادفة، تلخيصه:
 ذلكم الله المنعوت بهذه النعوت لا يجوز أن يُعبدَ غيره.
 ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ فأطيعوه.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ رقيب على أعمالكم، فيجازيكم عليها.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
 الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣].

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط به.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ لا يفوته منها شيء، فيبصر ما لا يبصر خلقه،
 وخلقُه لا يُبصرون ما يُبصر، والمعتزلة يتمسكون بظاهر هذه الآية في نفي
 رؤية الله عز وجل، ومذهب أهل السنة إثبات رؤيته سبحانه في الآخرة، جاء
 به القرآن والسنة، وعليه اتفاق الأئمة، قال الله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾
 [القيامة: ٢٣] وقال في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]،
 وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا»^(١)، وقال مالك: لو لم ير المؤمنون
 ربهم يوم القيامة، لم يُعَيِّرُوا الكفار بالحجاب، وقال أبو حنيفة: والله تعالى
 يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون في الجنة بأعين رؤوسهم بلا شبهة
 ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة، وقال الشافعي: لما حُجب قومٌ
 بالسخط، دلَّ على أن قوماً يرونه بالرضا، وقال أحمد: إِنَّ الله تعالى يتجلى

(١) رواه البخاري (٦٩٩٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
 نَّاضِرَةٌ﴾، عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه -.

في القيامة لعباده الأبرار، فيرونه بالعيون والأبصار.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ الرفيق بعباده.

﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ ﴿١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ حُجَجٌ.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تُبْصِرُونَ بها الهدى من الضلالة.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي: عرفها، وآمن بها.

﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل.

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها، فلم يصدّقها.

﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسه، ولها خسر.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم، إن عليّ إلا البلاغ.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نُبَيِّنُهَا.

﴿وَلِيَقُولُوا﴾ أي: لتلا يقولوا.

﴿دَرَسْتَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بألفٍ بعد الدالِ وإسكانِ السينِ

وفتح التاء؛ يعني: قرأت، وقرئ عليك؛ أي: قارأت أهل الكتاب بأن أعتهم وأعانونك، نحو: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، وقرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر: (دَرَسْتَ) بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء؛ أي: قرأت كتب الأولين وجئت بالقرآن منها، وقرأ ابن عامر، ويعقوب: (دَرَسْتُ) بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء؛ أي: انمحت الأخبار التي تأتينا بها^(١).

﴿وَلْيُبَيِّنَنَّ﴾ أي: القرآن.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الحق من الباطل، فيسعد قَوْمٌ، ويشقى آخرون.

﴿أَتَبَعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٦].

[١٠٦] ﴿أَتَبَعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالتدوين به.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: منفرداً.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تجادلهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [١٠٧].

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ توحيدهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ وهو دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ مُرَاعِيًا أَعْمَالَهُمْ .

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ مُسَلِّطٌ عَلَى إِكْرَاهِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ.

﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[١٠٨] قال قتادة: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَوْثَانَ الْكُفَّارِ، فَهَاجَمَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لَثَلَا يَسْبُوا اللَّهَ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ جَهْلَةٌ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: المدعوين آلهة.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداءً وظلماً.

﴿يَغْيِرْ عَلِمٌ﴾ بجهلٍ . قرأ يعقوبُ : (عُدُّوْا) بضمِّ العين والذال وتشديد الواو^(١) ، فلما نزلت قال ﷺ : « لَا تَسْبُوا رَبَّكُمْ » ، ونهوا عن سبِّ الآلهة^(٢) ، وإنَّ كَانَ طَاعَةً ؛ لإفضائه إلى مفسدةٍ أعظمَ منه ، قال القرطبيُّ في «تفسيره» : إنَّ الحكمَ بالنهي باقٍ في هذه الأمة ، فمتى خِيفَ أَنَّ الكافرَ يسبُّ الإسلامَ والنبيَّ ﷺ واللهَ جَلَّ جلالُهُ ، فلا يحلُّ لمسلمٍ أن يسبَّ دينَهُم ،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٠٧).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٣).

ولا صُلبانهم، ولا كَنائسهم، ولا يتعرَّضَ إلى ما يؤدِّي إلى ذلك^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما.

﴿زَيْنًا﴾ لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الكفار.

﴿عَمَلُهُمْ﴾ وفيه ردٌّ على القدرية.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٠٩).

[١٠٩] ولما طلبت قريشُ منه ﷺ نزول الملائكة، وإحياء الموتى، وجعل الصِّفا ذهباً، وحلفوا أنهم يؤمنون عند ذلك، وكان المؤمنون يحبون ذلك ليؤمن المشركون، نزل:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ مجتهدين في الحلف.

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ يا محمد.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا عندي، وهو القادرُ على المجيء بها، لا أنا.

﴿وَمَا﴾ استفهامٌ مبتدأ، خبره:

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٦١/٧).

﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: يدریکم أيها المؤمنون. روي عن أبي عمرو: (يُشْعِرُكُمْ) بإسكانِ الراء، وروي عنه باختلاسها، وقرأ الباقون: بإشباع الحركة، وتقدم في سورة البقرة^(١).

﴿أَنهَآ﴾ أي: الآية المقترحة.

﴿إِذَا جَاءَتْ﴾ الكفار^(٢).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها؛ لسبق علمه بعدم إيمانهم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وخلف، وعاصم بخلاف عن راويه أبي بكر (إنهآ) بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تمَّ الكلام عند قوله: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ)، وقرأ الباقون: بفتح الألف بمعنى لعل، وقرأ ابن عامر: (لَا تُؤْمِنُونَ) بالتاء على خطاب الكفار، والباقون: بالياء على الخبر^(٣).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١١٠).

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أي: نحول بينهم وبين الإيمان، فلا يؤمنون عند نزول الآيات.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما جاءهم.

(١) عند تفسير الآية (٦٧)، وانظر: «تفسير البغوي» (٥٤/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ١٣٦، ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠٨/٢).

(٢) «الكفار» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٥٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠٩-٣٠٨/٢).

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من الآيات؛ كانشقاق القمر وغيره.

﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ نَدَعُهُمْ.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضَلَالَتِهِمْ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يَتِمَادُونَ عَمَهَةً لَا يَبْصُرُونَ.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (١١١).

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ﴾ فرأوهم عياناً.

﴿وَكََلَّمَهُمُ الْمَوْقُ﴾ كما طلبوا.

﴿وَحَشَرْنَا﴾ جميعاً.

﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طلبوه.

﴿قُبُلًا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (قُبُلًا) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: معاينة، وقرأ الباقر: بضمهما؛ أي: أولاً^(١).

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنهم لو أوتوا بكل آية، لم يؤمنوا، فيحلفون

أنهم يؤمنون عند نزول الآيات، أو المؤمنون يجهلون أن الكافرين لا يؤمنون، فيطلبون نزول الآيات طمعاً في إيمانهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١١).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١١٢﴾.

[١١٢] ثم سُلِّيَ رسول الله ^(١) ﷺ فُقِيلَ له :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [أي : كما جَعَلْنَا لك أعداء، فكذلك جَعَلْنَا لمن تَقَدَّمَكَ من الأنبياء، ثم فَسَّرَهُمْ فقال :] ^(٢)

﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ وللإنس شياطينُ كما أن للجنَّ شياطينَ، وكلُّ عاتٍ شيطانٌ، قال ﷺ لأبي ذرٍّ : «هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟»، قال : وهل للإنسِ من شياطينٍ؟! قال : «نَعَمْ، هُمْ شَرٌّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ» ^(٣).

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي : يوسوس ويلقي شياطينُ الجنِّ إلى شياطينِ الإنسِ، وبالعكس.

﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ مَمُوءَةٌ لا معنى تحته.

﴿غَرُورًا﴾ خدعاً.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي : الإيحاء من الزخرفة والغرور وعداوة الأنبياء.

(١) «رسول الله» سقطت من «ظ».

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٧/٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط»

(٤٧٢١)، (٤٧٢١)، عن أبي ذر - رضي الله عنه -.

﴿ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أمر فيه معنى التهديد .

﴿ وَلِصَّغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾ (١١٣) .

[١١٣] ﴿ وَلِصَّغَىٰ ﴾ لتميل .

﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي : إلى زخرف القول .

﴿ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ ﴾ لأنفسهم .

﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴾ يكتسبوا .

﴿ مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الذنب .

﴿ أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١١٤) .

[١١٤] ﴿ أَفْغَيْرَ اللَّهِ ﴾ فيه إضمار؛ أي : قل لهم يا محمد : أفغير الله .

﴿ أَبْتَغَىٰ ﴾ أطلب .

﴿ حَكَمًا ﴾ قاضياً بيني وبينكم ؛ لأنهم قد طلبوا منه قاضياً يقضي بينهم وبينه ، فأجابهم به .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴾ أي : القرآن .

﴿ مُفَصَّلًا ﴾ أي : مبيناً فيه الحق من الباطل .

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني : علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل .

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يعني : القرآن .

﴿مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ : (مُنْزَلٌ) بالتشديد مبالغة ؛ لأنه نزلَ نجوماً متفرقةً، وقرأ الباقر : بالتخفيف ، من الإنزال ؛ لأنه نزلَ مرةً واحدةً إلى بيتِ العزة^(١) ، والمعنى : العالمون يعلمون أن القرآن منزلٌ من ربِّكَ .

﴿بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّينَ في أنهم يعلمون ذلك .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١١٥) .

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالوعدِ والوعيد . قرأ الكوفيون ، ويعقوبُ : (كَلِمَةٌ) على التوحيد ، والباقر : (كَلِمَاتٌ) بالجمع^(٢) .

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ فيما وعدَ، وعدلاً فيما حكمَ .

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا رادَّ لقضائه ، ولا مُغَيِّرَ لحكمه .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون .

﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يُضمرون .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٦٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٦) ،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٣) .

(٢) المصادر السابقة عدا «السبعة» لابن مجاهد .

﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [١١٦].

[١١٦] ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: الكفار.

﴿ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يَصْرِفُوكَ عَنْ دِينِهِ.

﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ وهو ظَنُّهُمْ أَنْ آبَاءَهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ.

﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يَحْزَرُونَ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [١١٧].

[١١٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ ﴾ و(من) في محل نصب بنزع حرف الصفة؛ أي: بـ(مَنْ يَضِلُّ)، أو في محل رفع بالابتداء، ولفظه لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ.

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: أعلم بالفريقين، فيجازي كلا بما يستحقه.

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١١٨].

[١١٨] ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أي: كلوا مما ذبح على اسم الله.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك أنهم كانوا يُحَرِّمُونَ أَصْنَافاً مِنَ النَّعَمِ، وَيُحِلُّونَ الْأَمْوَاتَ.

﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ .

[١١٩] ثم وَيَخَهُم على ترك الأكل منه فقال :

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وأي مانع لكم من .

﴿إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا﴾ شيئاً .

﴿وَمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح .

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو :

بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل ؛ لقوله : (ذُكِرَ)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم : (فَصَّلَ) و(حَرَّمَ) بالفتح فيهما ؛ أي : فَصَّلَ اللهُ ما حَرَّمَهُ عليكم ؛ لقوله (اسمُ الله)، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر : (فَصَّلَ) بالفتح، و(حَرَّمَ) بالضم^(١)، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَمُ﴾ [المائدة : ٣] .

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ من هذه الأشياء ؛ فإنه حلالٌ لكم عند الاضطرار .
قرأ أبو جعفر بخلاف عنه : (اضْطُرِرْتُمْ) بكسر الطاء^(٢) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٤) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦، ٢٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥) .

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ﴾ قرأ الكوفيون: بضم الباء؛ أي: يُضِلُّونَ غيرهم،
وقرأ الباقون: بالفتح؛ أي: يَضِلُّونَ هم^(١).

﴿يَاهَوَايَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بِتَشْهِيهِمْ من غير تعلُّقٍ بدليل يفيد العلم.
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١٢).

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ سِرُّهُ وَعِلَانِيَتُهُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يكتسبون^(٢) في الدنيا.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ
لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الميتات وما في

معناها من المنخقة وغيرها، وما ذُبح على اسم غير الله.

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه.

﴿لَفِسْقٌ﴾ لمعصية.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

(٢) في «ن»: «يكسبون».

واختلف الأئمة في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها، فقال الشافعي: تحل، سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً؛ لأن التسمية عنده سنة، وقال الثلاثة: إن تركها عمداً، لم تحل، وإن تركها ناسياً، حلت، وتقدم اختلافهم في التسمية على الصيد والذبيحة أيضاً في سورة المائدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: ٤].

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ لِيُوشِوْا سُونَ.

﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمُ﴾ المشركين.

﴿لِيَجْذَلُواكُمْ﴾ بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم، وتدعون ما قتله الله؟! يعنون الميتة.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في أكل الميتة.

﴿إِنَّكُمْ لَشُرِكُونَ﴾ فيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله، وحرّم شيئاً مما أحل الله، فهو مشرك.

﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢).

[١٢٢] ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا﴾ بالكفر. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب:

(ميتاً) بالتشديد، والباقون: بالتخفيف^(١).

(١) وقد تقدم. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» للداني =

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ هَدَيْنَاهُ.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ أي: الإيمان.

﴿يَمْشِي بِهِ، فِي النَّاسِ﴾ بينهم متبصراً به^(١)، فيعرف الحق من الباطل.

﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: كمن هو في الظلمات.

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^٤ يعني: في ظلمة الكفر.

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعصية.

قال ابن عباس: «﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ يريد: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يريد: أبا جهل بن هشام، وذلك أن أبا جهل رَمَى رسولَ الله ﷺ بِفَرْثٍ، فَأُخْبِرَ حمزةُ بما فعل أبو جهل وهو راجعٌ من قَتْنِهِ، وبِيَدِهِ قَوْسٌ، وحمزةُ لم يؤمن بعد، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرعُ إليه ويقول: يا أبا يعلى! أما ترى ما جاء به؟ سَفَّهَ عقولنا، وسبَّ آلهتنا، وخالف آباءنا! فقال حمزة: وَمَنْ أَسَفُهُ مِنْكُمْ؟! تعبدون الحجارة من دون الله! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فأنزل الله هذه الآية»^(٢).

= (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١٥/٢).

(١) «به» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٤).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ .

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها؛ أي: عظماءها، جمع أكبر، وخصّ الأكابر بالذكر؛ لأنهم الصادقون عن الدين، ثم قال معللاً:

﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالصدّ عن الإيمان، ورمي النبي ﷺ بالكذب والسحر.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن وبال كفرهم راجع عليهم .
﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ .

[١٢٤] ولما قال الوليد بن المغيرة: لو كانت النبوة حقاً، لكنت أولى بها منك؛ لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً، فقال أبو جهل: والله لن نرضى به، ولن نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزل:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ ^(١) حجة على صدق محمد ﷺ .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٦١/٢) .

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَ مَثَلًا مَّا أَوْفَىٰ رَسُولُ اللَّهِ﴾ من النبوة، وتقدّم الكلام على تغليظ اللام من اسم الله في قوله (رُسُلُ اللَّهِ) وشبهه في أول سورة الفاتحة، ثم استأنف منكراً أنهم لا يصلحون للرسالة فقال:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص: (رِسَالَتَهُ) بحذف الألف بعد اللام ونصب التاء على التوحيد، وقرأ الباقون: بالألف وكسر التاء على الجمع^(١)؛ يعني: الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة، ثم قال متهدداً:

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ من الكفار.

﴿صَعَارٌ﴾ أشدُّ الذلِّ.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الآخرة.

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الأسر والقتل ثم النار.

﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ في الدنيا.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ ينور قلبه ويفتحه.

﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ فيشسع به، ويفسح فيه مجاله.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣١٦).

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ قرأ ابن كثير: (ضَيِّقًا) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد.

﴿حَرَجًا﴾ وهما لغتان؛ مثل: هَيْن، وهَيْن، حَرَجًا: أَشَدَّ الضِّيقِ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو بكر: بكسر الراء، والباقون: بفتحها، وهما لغتان أيضاً؛ مثل: الدَّنْف، والدَّنِف؛ يعني: لا ينور قلبه، ولا يفتح له لقبول الإسلام.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ قرأ ابن كثير (يَصَّعَّدُ) بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف، من الصعود، وقرأ أبو بكر عن عاصم: (يَصَّاعِدُ) بفتح الياء والصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين؛ أي: يتصاعد، وقرأ الباقر: بتشديد الصاد والعين من غير ألف؛ أي: يَتَصَّعَّدُ^(١)؛ يعني: يَشْقُ عليه الإيمان كما يشقُّ عليه صعود السماء، وأصل الصُّعُود: المشقة.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كهذا الجعل.

﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾ أي: العذاب.

﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأصل الرَّجْسِ في اللغة: النتن.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ أي: الذي أنت عليه يا محمد.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢-٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٨-٣١٦).

﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ الطريقُ الذي ارتضاه .

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاج فيه .

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر هو الله .

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ .

[١٢٧] ﴿لَهُمْ﴾ أي : المتذكرين .

﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ الجنة ؛ لأن كل من دخلها سلم من البلاء والرزايا .

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي : مضمونة لهم عنده أن يوصلهم إليها بفضله .

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ ناصرهم .

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يتولاهم في الدنيا بالتوفيق ، وفي الآخرة بالجزاء .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ .

[١٢٨] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي : واذكر يوم نحشرهم جميعاً . قرأ

حفص عن عاصم ، وروح عن يعقوب : (يُحْشَرُهُمْ) بالياء ، والباقون : بالنون^(١) .

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ﴾ أي : ثم يقال : يا معشر الجن ؛ أي : الشياطين .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٦٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٧) ،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٨) .

﴿ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ أي : من إغوائهم .

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ ﴾ أي : أولياء الشياطين .

﴿ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ الذين أطاعوهم :

﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ بأن وافق بعضنا ببعض ^(١) .

﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ يعني : القيامة .

﴿ قَالَ النَّارُ مَثَوْنُكُمْ ﴾ مقامكم .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي : مدة العرض والحساب .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في أفعاله .

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأعمال الثقلين وأحوالهم .

﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ .

[١٢٩] ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ نسلط بعضهم على بعض .

﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي .

﴿ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ

ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ .

[١٣٠] ﴿ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ أي : يوم نحشرهم نقول :

(١) في «ت» و«ن» : «بعض بعضاً» .

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ ﴾ ومعنى منكم: في الخلق والتكليف والمخاطبة، ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل، قال: (منكم)، وإن كانت الرسل من الإنس، وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث، ورؤي أن الله تعالى أرسل رسلاً من الجن كما أرسل من الإنس؛ لظاهر الآية.

﴿ يَقُصُّونَ ﴾ يقرؤون.

﴿ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ كتبي.

﴿ وَيُنذِرُوكُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿ قَالُوا ﴾ جواباً.

﴿ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ أنهم قد بلغوا.

﴿ وَغَرَّبْنَاهُمْ ﴾ خدعتهم.

﴿ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴾ وظنوا أنها تدوم، فلم يؤمنوا.

﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ذمهم على سوء نظرهم

وخطأ رأيهم.

﴿ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ (١٣١).

[١٣١] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكور من بعث الرسل والتعذيب.

﴿ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ﴾ أي: لم يهلك قرية بشرك.

﴿ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ لم يُنذروا ببعث رسل تنذرهم.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ .

[١٣٢] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من العاملين .

﴿دَرَجَتٌ﴾ جزاء .

﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من الثواب والعقاب .

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فيخفى عليه عمل . قرأ ابنُ عامرٍ :
(تَعْمَلُونَ) بالخطاب ، والباقون : بالغيب^(١) .

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ .

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه .

﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بأوليائه .

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يُهْلِكُكُمْ ، وعيدٌ لأهل مكة .

﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ ينشئ .

﴿مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ خلقاً غيركم أمثلاً وأطوعاً .

﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يعني : أباؤهم الماضين .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٦٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٧) ،
و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٩) .

﴿إِن مَّا تَوْعَدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾.

[١٣٤] ﴿إِن مَّا تَوْعَدُونَ﴾ من مجيء الساعة.

﴿لَأَتِيَنَّكُمْ﴾ كائنٌ، رُوي عن قنبل، ويعقوب: بالوقف بالياء على (لَأَتِي).

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بغائبين.

﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿يَتَقَوَّمُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ تمكُّنكم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ) بالجمع؛ أي: حالاتكم، وقرأ الباقر: بالأول^(١)، وهذا أمرٌ وعيدٌ على المبالغة.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ما أمرني به ربي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ﴾ أي: الجنة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالياء على التذكير؛ لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي، والباقر: بالتاء لتأنيث العاقبة^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٠).

(٢) المصادر السابقة.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا ينجح سعيهم.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [١٣٦].

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: مشركو العرب.

﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق.

﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ وذلك أنهم كانوا يجعلون نصيباً من زروعهم وأنعامهم لله، ونصيب منها لأصنامهم، فنصيب الله للضيفان والمساكين، ونصيب آلهتهم لخدمها، فما سقط بهبوب الريح ونحوه من نصيب الله في نصيب آلهتهم ترك، وقالوا: إن الله غني عن هذا، وما سقط من نصيب آلهتهم في نصيب الله رد، ويقولون: هي محتاجة. قرأ الكسائي: (بِزَعْمِهِمْ) بضم الزاي، والباقون: بفتحها، وهما لغتان^(١)، وقوله: (بِزَعْمِهِمْ) تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه، لم يأمرهم به الله.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى الجهات

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢١).

التي كانوا يَصْرِفُونَ نَصِيبَ اللَّهِ إِلَيْهَا.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ إلى ما كانوا

يصرفون نصيبهم إليهم.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يقضون.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ

أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٧).

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات .

﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ﴾ .

قراءة العامة: (زَيْنَ) بفتح الزاء والياء ونصب (قَتَلَ) مفعولاً صريحاً،

وجراً (أَوْلَادَهُمْ) إضافة، ورفع (شُرَكَائُهُمْ) فاعل (زَيْنَ)؛ أي: شياطينهم

حَسَنُوا لَهُمْ وَأَدَّ البناتِ، وهو دَفَنُهُنَّ في حياتهن خيفة العيلة، وقرأ ابنُ

عامرٍ: بضم الزاي وكسر الياء مجهولاً، ورفع (قَتَلَ) ونصب دالِ

(أَوْلَادَهُمْ)، وخفض همزة (شُرَكَائِهِمْ) بإضافة (قتل) إليه^(١)، كأنه قال:

زَيْنَ لكثيرٍ من المشركين قَتَلَ شركائهم أولادهم، فُصِّلَ بين الفعلِ وفاعله

بالمفعول به، وهم الأولادُ، وأُضِيفَ الفعلُ وهو القتلُ إلى الشركاء، وإن لم

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)،

و«تفسير البغوي» (٢/٦٨-٦٩)، و«الكشف» لمكي (١/٤٥٣-٤٥٤)، و«النشر

في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٢/٣٢١-٣٢٢).

يتولّوا ذلك؛ لأنهم الذين زينوا ذلك، ودَعَوْا إليه، فكأنهم فعلوه، وقد اعترض الزمخشري في «كشافه» على ابنِ عامرٍ في قراءته^(١)، فردَّ ابنُ الجزريّ اعتراضه في كتابه «النَّشْر»، وصَوَّبَ قراءةَ ابنِ عامرٍ، وكذلك الكواشي في «تفسيره»، وكلُّ منهما أشبع^(٢) الكلام في ذلك.

﴿لِيَرُدُّوهُمْ﴾ لِيُهْلِكُوهُمْ.

﴿وَلِيَكْلِسُوا﴾ لِيَخْلُطُوا.

﴿عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ﴾ وَيُدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الشُّكَّ فِيهِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بَيِّنَ أَنْ كَفَرَهُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ رَدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ.

﴿فَذَرَّهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ.

﴿وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ مِنَ الْكَذِبِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُم بِالْمُرْصَادِ.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾.

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا﴾ يَعْنِي: الْمَشْرِكِينَ.

﴿هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ﴾ أَي: حَرَامٌ، الْمَعْنَى: إِنَّهُمْ كَانُوا يُعَيِّنُونَ أَشْيَاءَ لِآلِهَتِهِمْ، وَيُحَرِّمُونَهَا، وَيَقُولُونَ:

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/٦٦).

(٢) في «ن»: «شنع».

﴿ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ ﴾ من النساء والرجال .

﴿ يَرْعِيهِمْ ﴾ قرأ الكسائي : بضم الزاي كما تقدم .

﴿ وَأَنْعَمَ حَرَمَتُ ظُهُورُهَا ﴾ وهي البحائر والسوائب والحوامي ، وتقدم تفسيرها في سورة المائدة .

﴿ وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ وهي قربان آلهم .

﴿ أَفْتَرَاءَ عَلَيْهِ ﴾ لأن ما قالوه تقول عليه .

﴿ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾ أي : بسببه .

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣٩) .

[١٣٩] ﴿ وَقَالُوا مَا ﴾ أي : الذي .

﴿ فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ كانوا يقولون في أجنّة البحائر والسوائب : ما وُلد حياً ، هو خالص للذكور ، وأنث (خالصة) للتأكيد كالخاصة والعامة .

﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ أي : نسائنا .

﴿ وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً ﴾ أي : ما وُلد ميتاً ، اشترك فيه الرجال والنساء^(١) الإناث والذكور . قرأ ابن كثير : (يَكُنْ) بالياء على التذكير (مَيْتَةً) بالرفع ؛

(١) «الرجال والنساء» زيادة من «ن» .

لأن المراد بالميتة الميت؛ أي: وإن وقع في البطون ميتاً. وقرأ أبو جعفر، وابنُ عامرٍ: (تَكُنْ) بالتاء على التأنيثِ (مَيْتَةً) بالرفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث؛ لأن الميتة في اللفظ مؤنثة، وأبو جعفر: على أصله في تشديد الياء، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (تَكُنْ) بالتأنيثِ (مَيْتَةً) نصبٌ؛ أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ الباقون: (وإنْ يَكُنْ) بالياء على التذكير (مَيْتَةً) نصبٌ، ردّه إلى (ما) (١)؛ أي: وإنْ يَكُنْ ما في البطون ميتة، يدلُّ عليه أنه قال:

﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ ولم يقل: فيها، وأراد: أن الرجال والنساء فيه شركاء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم للكذب على الله.

﴿إِنَّهُمْ حَكِيمٌ﴾ في عذابهم.

﴿عَلِيمٌ﴾ بأقوالهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠).

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثير، وابنُ عامرٍ:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٥-٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٤-٣٢٥).

(فَقُلُوا) بالتشديد على التكثير، والباقون: بالتخفيف^(١).

﴿سَفَهًا﴾ جهلاً.

﴿يَغَيِّرُ عَلِيمٌ﴾ نزلت فيمن كان يثد^(٢) البنات أحياء مخافة السبي والفقير.

﴿وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

﴿أَفْتَرَاءَ عَلَى اللَّهِ﴾ حيث قالوا: الله أمرنا بذلك.

﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتِ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ
ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١).

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ بساتين^(٣).

﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ كالكرم ونحوه.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ﴾ أي: ثمره وطعمه. قرأ نافع، وابن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٦).

(٢) في «ت» و«ظ»: «بيد».

(٣) بساتين «ساقطة من «ن»».

كثير: (أَكْلُهُ)^(١) بإسكانِ الكاف، والباقون: بتحريكها.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَكِّهًا﴾ في المنظر^(٢).

﴿وَعَيْرَ مُتَشَكِّهٍ﴾ في الطعم؛ مثل الرمانين، ولونهما واحد، وطعمهما مختلف.

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أمرٌ إباحة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ثَمَرِهِ) بضمِّ الثاء والميم، والباقون: بفتحهما^(٣)، وتقدّم تفسير القراءتين في السورة.

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ هي الزكاة المفروضة إن جعلت^(٤) الآية مدينةً، وإن جعلتها مكية، فالمرادُ بحقه ما يُتَصَدَّقُ به على المساكين وقت الحصاد، والقولان منقولان، وكان ذلك واجباً، فنسخ بالزكاة. قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وابنُ عامر، وعاصم: (حَصَادِهِ) بفتح الحاء، والباقون: بكسرهما، ومعناهما واحد^(٥).

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في التصدُّقِ بإخراج جميع المال؛ كقوله: ﴿وَلَا تُبْسِطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

(١) «أكله» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «النظر».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣، ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠، ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٦).

(٤) في «ن»: «جعلنا».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٧).

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ولا يرتضي فعلهم في وجوب الزكاة.

واتفق الأئمة على وجوب الزكاة في الحبوب كلها مما يُقَات به من القمح والشعير والأرز ونحوه، وعند مالك والشافعي تجب من الثمار في التمر والزبيب، وعند أبي حنيفة وأحمد تجب فيهما وفي كل مكيل يُدَّخَر؛ كاللوز والفسطق والبندق ونحوها.

واتفق مالك والشافعي وأحمد على عدم وجوبها في الفواكه والبقول والخضراوات، وقال أبو حنيفة بوجوبها فيها، وافقه^(١) صاحباه في الثمار، وخالفاه في الخضراوات.

واختلفوا في وجوبها في الزيتون، فقال أبو حنيفة ومالك: تجب فيه، وقال الشافعي في الجديد وأحمد: لا تجب.

واختلفوا في قدر النصاب فيها، فقال أبو حنيفة: لا يُعتبر النصاب، وقال^(٢): بل يجب العشر فيما قلَّ أو كثر مما سَقَتْه السماء، أو سُقِيَ بها، وما سُقِيَ بكُفَّة؛ كالدواليب والدلاء وغيرهما نصف العشر، وما سُقِيَ منهما يعتبر فيه أكثر السنة، فإن استويا، يجب نصف العشر، وقال الثلاثة وأبو يوسف ومحمد: يعتبر النصاب وقدره بعد التصفية في الحبوب، والجفاف في الثمار خمسة أَوْسُق، والوسق ستون صاعاً، والصاع: خمسة أرطال وثلاث بالعراقي، فيكون ذلك ألفاً وست مئة رطلٍ عراقي، وألفاً وأربع مئة وثمانية وعشرين رطلاً وأربعة أسباع رطلٍ مصري، وثلاث مئة واثنتين وأربعين رطلاً وستة أسباع رطلٍ دمشقي، ومئتين وخمسة وثمانين

(١) في «ن»: «ووافقه».

(٢) «وقال» زيادة من «ن».

رطلاً وخمسة أسباع رطلٍ حليبيٍّ، ومئتين وسبعة وخمسين رطلاً وسُبْعَ رطلٍ قدسيٍّ، إلا الأرزَ والعلسَ؛ نوع من الحنطة يُدَّخَرُ في قشره، فنصابُ كلِّ واحدٍ منهما عندَ الشافعيٍّ وأحمدَ عشرةَ أوسُقٍ، ومالكٌ لم يستثنِ شيئاً، بل جعل النصابَ في الكلِّ خمسةَ أوسُقٍ.

واتفق القائلونَ باعتبارِ النصابِ على أن الواجبَ فيما^(١) سُقيَ بغيرِ مؤنةِ العشرِ، وفيما سُقيَ بكلفةِ نصفِ العشرِ؛ كقول أبي حنيفةٍ في القليلِ والكثيرِ، وفيما سُقيَ بهما، بحسابه، فإن سُقيَ بأحدهما أكثرَ من الآخرِ، اعتبر أكثرُهما نفعاً ونمواً للزراع^(٢).

واختلفوا في وقتِ وجوبِ الزكاةِ، فقال أبو حنيفةٌ: عندَ ظهورِ الثمرةِ، وقال أبو يوسفٌ: عندَ الإدراكِ، وقال الثلاثةُ: عندَ اشتدادِ الحبِّ وبُدُوِّ الصَّلاحِ في الثمرِ، ويستقرُّ الوجوبُ بجعلِها في الجرينِ والبيدرِ والمسطاحِ ونحوها.

واختلفوا في وجوبِ الزكاةِ في العسلِ، فقال أبو حنيفةٌ: فيه العشرُ، قلَّ أو كثرَ إذا أخذَ من أرضِ العشرِ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا زكاةُ فيه، وقال أحمدٌ: فيه العشرُ إذا بلغَ نصاباً، ونصابُه عندهُ عشرةَ أفراقٍ، كلُّ فرقٍ ستةَ عشرَ رطلاً عراقيةً، سواءً أخذه من أرضِ العشرِ أو غيرها. والعشريةُ: ما أسلمَ أهلُها عليها؛ كالمدينةِ ونحوها، وما اختطَّه المسلمونَ كالبصرةِ ونحوها، وما صولحَ أهلُه على أنه لهم بخراجٍ يُضْرَبُ عليهم؛ كأرضِ

(١) في «ن»: «في».

(٢) في «ن»: «نمو الزرع».

اليمن، وما فُتِحَ عَنَوَةٌ وقُسِمَ، كنصفٍ خير، وما قطعه الخلفاء الراشدون من السوادِ إقطاعَ تملكٍ.

واختلفوا هل تُضَمُّ الحنطةُ إلى الشعيرِ، والقطنياتُ بعضها إلى بعضٍ في تكميلِ النصابِ؟ فأبو حنيفةٌ على أصله في عدمِ اعتبارِ النصابِ، فيوجبُ الزكاةَ في قليله وكثيره، وقال مالكٌ: تُضَمُّ الحنطةُ إلى الشعيرِ، والقطني نوعٌ واحدٌ يَضُمُّ بعضها إلى بعضٍ، ويُخرج من كلِّ واحدٍ منها بحسابه، [وقال الشافعي وأحمدُ: لا يُضَمُّ جنس إلى آخرٍ في تكميلِ النصابِ] ^(١).

واختلفوا في الأرضِ الخراجيةِ، وهي التي فُتحت عَنَوَةٌ، ولم تُقسَمَ، وما جلا عنها أهلها خوفاً منا، وما صُولِحوا على أنها لنا، ونقرُّها معهم بالخراج، هل يجتمعُ فيها العشرُ والخراجُ؟ فقال أبو حنيفةٌ: لا يجتمعُ، وقال الثلاثةُ: يجتمعُ؛ لأنَّ الخراجَ في رقبَتِها، والعشرَ في غَلَّتِها.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ^(١٤٢).

[١٤٢] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ أي: وأنشأ من الأنعام.

﴿حَمُولَةً﴾ وهي ما يُحْمَلُ عليه من الإبلِ الكبارِ.

﴿وَفَرْشًا﴾ وهي الصغارُ من الإبلِ التي لا تحملُ، سميت بذلك للطفةِ

أجسامِها، وقربها من الفرشِ، وهي الأرضُ المستويةُ التي يطؤها الناسُ.

﴿كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: مما أحلَّ لكم منه.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: لا تسلكوا طريقه في تحريم الحرب والأنعام. قرأ ابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وقنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ، وحفصٌ عن وعاصمٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (خُطُوَاتٍ) بضمِّ الطاء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوة.

﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلِّ
ءَالِدَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَحْنُ
بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١١٣).

[١٤٣] ثم بيَّن الحملَةَ والفرش فقال:

﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج؛ أي: أعداد، يريدُ: الذكر والأنثى، والعربُ تسمي الواحدَ: زوجاً، إذا كان لا ينفكُ عن الآخر، أجملها أولاً، ثم فصلها ثانياً، فقال:

﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ الكبشُ والنعجة، وهي ذواتُ الصوفِ من الغنم.
﴿وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾ التيسُ والعنزُ، وهي ذواتُ الشعرِ من الغنم. قرأ أبو عمرو، ويعقوبُ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ (المَعَز) بفتح العين، والباقون: بإسكانها^(٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (٢/ ٢١٦، ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، =

﴿قُلْ﴾ يا محمد.

﴿الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ عليكم، يعني: ذكر الضأن والمعز.

﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: أنثى الضأن والمعز.

﴿أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وما حملت إناث الجنسين، ذكراً

كان أو أنثى.

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ فسروا لي ما حرمتم بتحقيق.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الله حرّم ذلك.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ
وَصَدَّكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ
النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٤٤].

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ والكلام في الإبل والبقر كما سبق
في الضأن والمعز. وأجمع القراء على مدّ (الذَّكَرَيْنِ)؛ لأنها همزة استفهام
دخلت على همزة الوصل؛ لتفرّق بين الاستفهام والخبر، وأجمعوا على
عدم تحقيقها؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداءً،
وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كفيته، فقال كثير منهم: تبدّل ألفاً
خالصة، وقال آخرون: تُسهّل بين بين. معنى الآية: إنكار أن الله حرّم شيئاً

= و«تفسير البغوي» (٧٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٢٨/٢).

من جنسي الغنم والإبل والبقر، وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة، وإنائها تارة، وأولادها تارة، ويقولون: قد حرّمها الله، فأنكر ذلك عليهم.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ الهمزة للإنكار، و(أم) بمعنى (بل)، المعنى: بل أكنتم حضوراً.

﴿إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، وهذا تجهيلٌ لهم، وتقدّم اختلاف القراء في الهمزتين من (شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم.

﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والمراد: عمرو بن لُحَيٍّ ومن تبعه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥).

[١٤٥] ثم بيّن أنّ التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه، فقال:

﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ شيئاً.

﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ﴾ آكلٍ.

﴿يَطْعَمُهُ﴾ يأكله.

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ الحرام والمحرّم: هو الممنوع عنه، وحكمه

ما يَأْتُمُ بفعله، ويثاب على تركه بنية التقربِ إلى الله تعالى، قرأ أبو جعفر، وابنُ عامر (تكون) بالتاء على التأنيث (ميتةٌ) رفع، أي: إلا أن تقع ميتة، وأبو جعفر على أصله في تشديد الياء. وقرأ ابنُ كثير، وحمزة: (تَكُونُ) بالتأنيث (مَيْتَةً) نصبٌ على تقديرِ اسمِ مؤنثٍ؛ أي: إلا أن تكونَ النفسُ أو الجنةُ ميتةً، وقرأ الباقر: بالياء على التذكير (ميتةٌ) نصبٌ؛ يعني: إلا أن يكونَ المطعومُ ميتةً^(١).

﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ مصبوحاً.

﴿أَوْ لَحْمَ خِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرامٌ.

﴿أَوْ فَسَقًا﴾ عطفٌ على ﴿لَحْمَ خِزِيرٍ﴾، وما بينهما اعتراضٌ للتعليل.

﴿أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذُبِحَ على غيرِ اسمِ الله، وسُمي ما ذُبِحَ على غيرِ اسمِ الله فسقاً؛ لتوَعُّله في الفسقِ.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ إلى أكلِ شيءٍ من هذه المحرماتِ، فأكلَ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطرٍّ مثله.

﴿وَلَا عَادٍ﴾ قدرَ الضرورةَ.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يُؤَاخِذه. وتقدّم اختلافُ القراء في قوله:

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ ومذاهبُ الأئمة في حكمِ أكلِ الميتة في سورة البقرة عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [الآية: ١٧٣].

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذمياطي (ص: ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٠).

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ طُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا
اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١٤٦).

[١٤٦] ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾ يعني: اليهود.

﴿ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ وهو ما ليس بمفروق الأصابع؛ كالبط، والإبل، والنعام، وقيل: كل ذي مخلب من الطير، وحافر من الدواب، لما ذكر الله عز وجل ما حرّم على أمة محمد ﷺ، عقبة بذكر ما حرّم على اليهود تكذيباً لهم في قولهم: إن الله لم يحرم علينا شيئاً، وإنما نحن حرّمنا على أنفسنا ما حرّمه إسرائيل على نفسه، وهذا التحريم تكليف بلوى وعقوبة، فأول ما ذكر من المحرمات عليهم: كل ذي ظفر.

﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ وهي الثروب، وشحم الكليتين.

﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ طُهُورُهُمَا ﴾ أي: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وورش، وابن عامر، وخلف: (حَمَلَتْ طُهُورُهُمَا) وشبهه بإدغام التاء في الظاء، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿ أَوِ الْحَوَايَا ﴾ وهي المصارين.

﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ هو شحم الألية؛ لما فيها من العظم، هذا كله

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣١).

دخل في الاستثناء، والتحریم مختص بالشرِّ وشحم الكلية.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ﴾ أي: تحریم الطيبات عقوبة لهم.

﴿بِعَهِتِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم؛ لأنها كانت حلالاً لهم، فلما عصوا بقتلهم الأنبياء، وأخذهم^(١) الربا، واستحلال أموال الناس، حرمت عليهم. ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرنا.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَةٍ وَلَا يُرْدُ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾.

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به.

﴿فَقُلْ﴾ استعطافاً لهم.

﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿وَلَا يُرْدُ بَأْسُهُ﴾ عقابه.

﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ حين ينزل.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا^ط إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾.

(١) في «ن» و«ظ»: «وأخذ».

[١٤٨] ثم أخبر عما هم قائلوه بعد لزوم الحجة لهم ، فقال :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ من قبل .

﴿ وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ ﴾ من البحائر والسوائب وغيرها ، فكانهم جعلوا إقامتهم على الشرك وتحريمهم ذلك بمشيئة الله ، ولم يقولوا هذا القول تعظيماً ، بل سخرية واستهزاء وهم مكذبون .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : كهذا التكذيب الذي كذبوك .

﴿ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم الخالية أنبياءهم .

﴿ حَتَّى دَاوُّوا بِأَسْنَانِهِمْ ﴾ عذابنا المنزل عليهم .

﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ ﴾ حجة أو دليل على صحة دعواكم .

﴿ فَتُخْرِجُوهُ ﴾ فتظهروه .

﴿ لَنَا ﴾ ليثبت ما تدعون من الشرك والتحريم .

﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ من غير علم .

﴿ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ ١٤٩ ﴾ .

[١٤٩] ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ ﴾ التامة على خلقه بالكتاب والرسول .

﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين ، فيه دليل على أنه لم يشأ إيمان الكافر ، ولو شاء ، لهداه .

﴿ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿١٥٠﴾ .

[١٥٠] ﴿ قُلْ هَلُمْ ﴾ كلمة دعوة إلى شيء؛ أي: أحضروا.

﴿ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ ﴾ لكم.

﴿ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ الذي حرَّمتموه.

﴿ فَإِنْ شَهِدُوا ﴾ كاذبين.

﴿ فَلَا تَشْهَدْ ﴾ يا محمد.

﴿ مَعَهُمْ ﴾ لا تصدِّقهم، فهذا أمرٌ له ﷺ، والمراد غيره.

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يشركون.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٥١﴾ .

[١٥١] ولما سألوهم وقالوا: ما الذي حرم الله تعالى؟ فقال تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ من العلو، وأصلها أن يقولها مَنْ هو بمكانٍ عالٍ لمن هو بمكانٍ أخفض منه، فأتسع فيه بالتعميم، المعنى: جيئوا.

﴿ أَتْلُ ﴾ أقرأ .

﴿ مَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾ عليكم يقيناً لا ظناً كما تزعمون .

﴿ أَلَا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ أي : الزموا ترك الإشراك ، وداوموا على الإسلام .

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ أي : وأحسنوا بهم إحساناً .

﴿ وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ فقر .

﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ أي : لا تتدوا بناتكم خشية العيلة ، وكان منهم مَنْ يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ يعني : العلانية .

﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ يعني : السر ، وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ، ولا يرون به بأساً في السر ، فحرّمه الله سراً وعلانية .

﴿ وَلَا تَقْنُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ كقتل ردة وقصاص أو

رجم .

﴿ ذَلِكَمُ ﴾ الذي ذكرت .

﴿ وَصَنَّكُمْ ﴾ أمركم .

﴿ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ترشدون .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥١﴾ .

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بما فيه صلاحه .

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الحلم، والأشدُّ جمعُ شدٍّ، وهو استحكامُ قوةِ شبابه، وفي الكلام حذف؛ أي: فإذا بلغ أشده، وأونسَ رشدَه، فادفعوا إليه ماله، وتقدّم اختلافُ الأئمةِ في حكم^(١) البلوغ والرشدِ في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية: ٦].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل .

﴿لَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها، المعنى: لِمَ نكلّف المعطي أكثر مما وجبَ عليه، ولا نكلّف صاحبَ الحقِّ الرضا بأقلَّ من حقّه .
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ فاصدّقوا في الحكم والشهادة .

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ولو كان المقولُ له أو عليه من ذوي قرابتكم .

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ عامٌّ في جميع ما عهدَه الله إلى عباده .

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون . قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: (تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، والباقون: بالتشديد حيث وقع^(٢) .

(١) «حكم» ساقطة من «ن» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٢) .

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ .

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ الذي وُصِّيتُمْ به .

﴿صِرَاطِي﴾ طريقي .

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ مستويًا، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَإِنَّ هَذَا) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون بفتح الألف، تقديره: ولأن هذا صراطي مستقيماً، وقرأ ابنُ عامرٍ بسكون النون، وفتح الياء من (صِرَاطِي) وافقه يعقوبُ في إسكانِ النون^(١)، واختلف راوياه، فقرأ رويسُ (سِرَاطِي) بالسین^(٢)، وروحٌ: بالصاد .

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الأديان .

﴿فَتَفَرَّقَ﴾ تَشَتَّتَ .

﴿بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه الذي ارتضى . قرأ البرزنجي عن ابن كثير: (فَتَفَرَّقَ) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف^(٣) .

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلال .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٣) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٤) .

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٥) .

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ .

[١٥٤] ﴿ ثُمَّ ﴾ أي : ثم أخبركم أنا .

﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ يعني : التوراة .

﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ أي : إتماماً للنعمة عليه ؛ لإحسانه في الطاعة .
﴿ وَتَفْصِيلًا ﴾ بياناً .

﴿ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاجُ إليه من شرائع الدين .

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ هذا في صفة التوراة .

﴿ لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ كي يؤمنوا بالبعث .

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ .

[١٥٥] ﴿ وَهَذَا ﴾ يعني : القرآن .

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ كثيرُ النفع .

﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ واعملوا بما فيه .

﴿ وَاتَّقُوا ﴾ وأطيعوا .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ باتباعه والعمل به .

﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ

دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

[١٥٦] ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ لِئَلَّا تَقُولُوا:

﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿وَأِنْ﴾ أَي: وَقَدْ.

﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم.

﴿لَغَفْلِينَ﴾ لَا نَعْلَمُ مَا هِيَ.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧).

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ وقد كَانَ جماعةٌ مِنَ الْكُفَّارِ قَالُوا: لو أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَا أُنْزِلَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَكُنَّا خَيْرًا مِنْهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ بِالْغَةِ تَعْرِفُونَهَا.

﴿وَهُدًى﴾ بَيَانٌ.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ نِعْمَةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أَعْرَضَ.

﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بِشِدَّتِهِ.

﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ يُعْرِضُونَ.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ (١٥٨) .

[١٥٨] ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون بعدَ تكذيبهم الرسل، وإنكارهم القرآن.

﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَأْتِيَهُمْ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث^(١).

﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ طلوع الشمس من مغربها.

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان.

﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا ﴾ السابق لظهور الآيات.

﴿ خَيْرًا ﴾ توبة.

﴿ قُلِ انْظُرُوا ﴾ يا أهل مكة.

﴿ إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ وعيدٌ لهم، قال ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ: الدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ»^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه =

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [١٥٩].

[١٥٩] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴾ أي: جعلوا دينَ إبراهيمَ أدياناً مختلفةً، فتهوّدَ قومٌ، وتنصّرَ قومٌ. قرأ حمزة، والكسائي، (فَارَقُوا) بالألف؛ أي: خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الباقر: بغير ألف مشدداً على المعنى الأول^(١).

﴿ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ صاروا فرقاً مختلفةً.

﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ ﴾ أي: لستَ من السؤالِ عنهم.

﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ والآية منسوخة بآية القتال.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ يتولّى جزاءهم.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ إذا وردوا القيامة.

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١٦٠].

[١٦٠] ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي: عشرُ حسناتٍ فضلاً من الله. قرأ يعقوب: (عَشْرُ) منونٌ (أَمْثَالُهَا) رفعٌ على الوصف؛ أي: فله

= الإيمان، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/ ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٨).

حَسَنَاتٌ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا، وقرأ الباقون: بغير تنوين، وخفض (أَمْثَالِهَا) على الإضافة، وحذفت الهاء من (عَشْر) لتأنيث الأمثال في المعنى؛ لأن مثل الحسنة حسنة^(١).

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص الثواب، وزيادة العقاب.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بالوحي والإرشاد. قرأ حمزة، والكسائي: (هَدَانِي) بالإمالة^(٢)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣).

﴿دِينًا قِيمًا﴾ منصوباً بمُضْمَرٍ؛ أي: عَرَفَنِي دِينًا. قرأ الكوفيون، وابن عامر: بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، والباقون: بفتح القاف وكسر الياء مشددة، ومعناها: المستقيم^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٨٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٦-٢٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٣٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٣٩).

(٣) كما تقدم. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٣٩).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، =

﴿مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدلٌ من ديناً. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (أَبْرَاهَامَ) بألف^(١).

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ من إبراهيم.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفْيٌ للنقيصة عنه ﷺ.

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يعني: الذبيحة في الحجِّ والعمرة.

﴿وَمَحْيَايَ﴾ قرأ أبو جعفر، وورشٌ بخلافٍ عن الثاني: (مَحْيَايَ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢)، وقرأ الدوريُّ عن الكسائي: (مَحْيَايَ) بالإمالة^(٣).

﴿وَمَمَاتِي﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفر: بفتح الياء، والباقون بإسكانها^(٤).

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: هو يُحييني ويُميتني.

= و«تفسير البغوي» (٨٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣٩/٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤٠/٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٨٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤٠/٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤١/٢).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤١/٢).

﴿ لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٦٣] .

[١٦٣] ﴿ لَا شَرِيكَ لَّهِ ﴾ خالصة له ، لا أشرك فيها غيره .

﴿ وَبِذَلِكَ ﴾ بالإخلاص .

﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمة ؛ لأن كلَّ نبيٍّ إسلامه يتقدَّم على إسلام أمته . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ : (وَأَنَا أَوَّلُ) بالمدِّ^(١) .

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ [١٦٤] .

[١٦٤] ولما قال المشركون للنبيِّ ﷺ : ارجعْ إلى ديننا ، فنزل :

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وما سواه مربوبٌ مثلي لا يصلحُ للربوبية . ولما قال الوليدُ بنُ المغيرة : اتَّبِعُونِي أَحْمِلْ أَوْزَارَكُمْ ، نزل :

﴿ وَلَا تَكْسِبُ ﴾ لا تجني .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ إلا كان الإثمُ على الجاني .

﴿ وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾ لا تحملُ حاملَةٌ حملَ غيرها ، وأصلُ الوزرِ : الثقلُ .

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ يومَ القيامةِ .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٢٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٢١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١) .

﴿فِيَنشُكُرُ﴾ فَيَعْلَمُكُمْ .

﴿بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ﴾ بتمييز المحقِّ من المبطل .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٦٥] .

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمعُ خَلِيفَةٍ، وهي النيابة عن الغير؛ لأنَّ النبي ﷺ خاتمُ الأنبياء، فخلفت أمتُه سائرَ الأممِ بأنَّ سكنوا الأرضَ بعدهم .

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في الخلقِ والرِّزْقِ والعلمِ والدينِ .

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ لِيختبرَكُمْ .

﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من المالِ وغيره؛ ليظهر لكم منكم المطيعُ من العاصي .

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه، ووصفَ العقابَ بالسرعة؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ .

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تابَ وأطاعه، والله أعلمُ .



مكية غير ثمان آياتٍ من قوله: ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَنْقُضُ الْجَبَلَ﴾، أيها سِتٌّ ومِثْنَا آيةٍ، وحروفها أربعة عشر ألفاً وثلاث مئة وعشرة أحرفٍ، وكلّمها ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمسون وعشرون كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ ١﴾.

[١] ﴿الْمَصَّ﴾ قيل: معناه: أنا الله الملك الصادق. قرأ أبو جعفر: بتقطيع الحروف يسكّط على كلّ حرفٍ سكتةً يسيرةً، وتقدّم الكلام على ذلك في سورة البقرة^(١)، وموضّعه رفعٌ بالابتداء.

﴿كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَيَذَكِّرَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾.

(١) عند تفسير الآية (١) منها، وانظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٤).

[٢] ﴿كِتَبٌ﴾ خبرٌ مبتدأ^(١) محذوف؛ أي: هذا كتابٌ.

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآنُ.

﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: ضيقٌ. المعنى: لا يضيقُ صدركُ بالإبلاغِ مخافةً أنْ تُكَذِّبَ فيه، فإنما عليك البلاغُ.

﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ أي: بالكتابِ المنزلِ، فالكلامُ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: أنزلَ عليك الكتابُ لتنذرَ به، فلا يكنْ في صدركَ حرجٌ منه.

﴿وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ عِظَةٌ لهم.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

[٣] وقل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعمُّ القرآنَ والسنةَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ﴾ أي: دونِ الله.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تطيعونهم في معصيةِ الله.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون قليلاً؛ حيثُ تتركون^(٢) دينَ الله، و(ما) مزيدةٌ لتأكيدِ القِلَّةِ. قرأ ابنُ عامرٍ: (يَتَذَكَّرُونَ) بياءٍ قبلَ التاءِ على أن الخطابَ بعدُ مع النبي ﷺ، وكذا هو في مصاحفِ أهلِ الشام، والباقون: بتاءٍ واحدةٍ

(١) «مبتدأ» زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «تذكرون».

من غير ياءٍ قبلها كما هي في مصاحفهم، وحمزة، والكسائي، وخلف،
وحفص^(١): على أصلهم في تخفيفِ الذال^(٢).

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٤).

[٤] ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثيراً من القرى.

﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: أردنا إهلاك أهلها.

﴿فَجَاءَهَا﴾ أي: فجاء أهلها.

﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا.

﴿بَيِّنًا﴾ ليلاً.

﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ نائمون نصف النهار، والقيلوله: استراحة نصف
النهار وإن لم يكن^(٣) نوم.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

[٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: تضرعهم وقولهم.

﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بفعلنا، اعترفوا حيث لم ينفع

(١) «وحفص» سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٤).

(٣) في «ن»: «يك».

الاعتراف. وقرأ أبو عمرو، وهشام: (إذ جاءهم) وشبهه بإدغام الذال في الجيم، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١).

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: الأمم عمّا بلغوا؛ توبيخاً.

﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ عمّا أُجيبوا؛ تقريراً لذلك.

﴿ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ ﴾ على المسؤولين ما عملوا.

﴿ بَعْلَهُمْ ﴾ عالمين بجميع ما صدر منهم.

﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم.

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ وَالْوَزْنُ ﴾ أي: القضاء.

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم السؤال.

﴿ الْحَقُّ ﴾ العدل، وقيل: المراد: حقيقة الوزن، وقد ورد في الحديث:

(١) انظر: «الغيث» للصفارسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٥).

«أَنَّهُ يُنْصَبُ مِيزَانٌ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، كُلُّ كِفَّةٍ بِقَدَرِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتُوزَنُ فِيهِ صُحُفُ الْأَعْمَالِ»^(١).

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ﴾ رَجَحَتْ.

﴿مَوَازِينُهُ﴾ جمعُ ميزانٍ؛ لأنَّ لكلِّ عبدٍ ميزاناً، وقيلَ: جمعُ موزونٍ، وهو الحسناتُ.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزونَ بالنجاةِ والثوابِ.

﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(٩).

[٩] ﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(١٠).

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ ملَّكناكم.

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٩٠/٢) في معرض شرحه لهذه الآية، فقال: وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب. واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال...

﴿ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ ﴾ أسباباً تعيشون بها، جمعُ مَعِيشَةٍ،
ولا تهمزُ ياؤها؛ لأنها مفاعلٌ من العيش .
﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ فيما صنعتُ لكم .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١١) .
[١١] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أي : آدم .

﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ في ظهره، وذكر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر، ففي
خلقه خلق من يخرج من صلبه .

﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾
لآدم، وتقدم مذهب أبي جعفر في ضمّ التاء من قوله: (لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا)، والكلام عليه، وعلى تفسير السجود مستوفى في سورة البقرة
عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الآية: ٣٤] .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ ﴾ (١٢) .

[١٢] ﴿ قَالَ ﴾ الله: يا إبليس .

﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ (لا) زائدة؛ أي: أي شيء منعه من السجود
وقت أمري؟ فيه دليل على أن مطلق الأمر للوجوب، وأنه على الفور .

﴿ قَالَ ﴾ إبليس مجيباً له :

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لَأَنَّكَ ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهِ مِنْ طِينٍ﴾ وَالنَّارُ خَيْرٌ وَأَنُورُ مِنَ الطِّينِ، وقد أخطأ الخبيثُ بتفضيلِ النارِ على الطينِ، وليس كذلك، وإنما الفضلُ لما فضَّله اللهُ، وقد فضَّلَ الطينَ على النارِ، ولأنَّ الترابَ سببُ الحياةِ للنباتِ والأشجارِ، والنارِ سببُ الهلاكِ.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة؛ لأنها مكانُ المطيعين.

﴿فَمَا يَكُونُ﴾ فما ينبغي.

﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾ بمخالفةِ الأمرِ.

﴿فِيهَا﴾ وفيه تنبيهٌ على أن التَّكَبَّرَ لا يليقُ بأهلِ الجنة.

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الذَّلِيلِينَ.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿قَالَ﴾ إبليسُ عندَ ذلك: ﴿أَنْظِرْنِي﴾ أَخِّرْنِي فلا تُمِتْنِي.

﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم وَقْتَ النفخةِ الآخرةِ عندَ قيامِ الساعةِ، قال ابنُ عباسٍ: أرادَ الخبيثُ ألاَّ يذوقَ الموتَ^(١)؛ لأنه لا موتَ بعدها، فلم يُجِبْ، وإنما أُنْظِرَ إلى الوقتِ المعلومِ، وهي النفخةُ الأولى، فيموتُ مع مَنْ يموتُ.

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧٩/٥).

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ إلى وقتِ النفخةِ الأولى ، وأنظر فتنةً للعبادِ ، ولبيانِ الطائعِ والعاصي ، وَلِيُعْظَمَ الأجرُ والوزرُ .

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي ﴾ والغِي : الضلالُ والخِيبَةُ ، ومعنى الكلامِ القسمُ ؛ أي : فبإغوائِكَ إيايَ بواسطَتِهِمْ .

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ﴾ أي : على صراطِكَ .

﴿ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي : لأجلِسَنَّ لَهُمْ على طرقِ الإسلامِ والخيراتِ ، وأحولُ بينهم وبينها .

﴿ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ ﴾ بِوَسْوَستِي .

﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من جهةِ الآخرةِ ، فَأَشْكُّهُمْ فيها .

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من جهةِ الدنيا ، فَأَرْغَبُهُمْ فيها .

﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ طرقِ الحسناتِ .

﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ جمعِ شمالٍ : طرقِ السيئاتِ ، رُوي أنه يأتي ابنَ آدمَ من

جميعِ الجهاتِ إلّا من فوقُ ؛ لئلاَّ يحولَ بينَ العبدِ والرحمةِ . تلخيصُه : أسعى في إغوائِهِمْ بكلِّ طريقٍ .

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين ، قَالَ الْخَبِيثُ ذَلِكَ ظَنًّا ، فَأَصَابَ ، قَالَ
تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبا: ٢٠].

﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ بالهمز ؛ أي : معيباً .

﴿مَدْحُورًا﴾ مُبْعَدًا .

﴿لَمَنْ﴾ بفتح اللام ؛ لأنها مُوْطَّئَةٌ لقسمٍ محذوفٍ تقديره : والله لَمَنْ .

﴿تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي : من بني آدَمَ ، وجوابُ الْقَسَمِ :

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ﴾ أي : منك ومن أتباعك من الجنِّ والإنس .

﴿أَجْمَعِينَ﴾ تلخيصه : هذا الوعيدُ لمن تبعَكَ .

﴿وَبَنَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿وَبَنَادُمُ﴾ أي : قلنا : يا آدَمُ .

﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ فتصيراً^(١) من الذين ظلموا أنفسهم ، تقدّم اختلافُ القراءِ في قوله
(حَيْثُ شِئْتُمَا) و(حَيْثُ شِئْتُمْ) في سورة البقرة .

(١) في «ن» : «فتصير» .

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ألقى في أنفسهما سراً .

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ بواوين، الأولى مضمومة، المعنى: زَيَّنَ لهما ما نُهيا عنه ليكشف لهما ما سَتَرَ .

﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ عَوْرَاتِهِمَا؛ أي: فعلَ ذلكَ بهما ليريَهما ما يَسوءُهُما، ولذلك سُميت سوءةً، وفي هذا دليلٌ على^(١) أن كشف العورة في غاية القُبْح في كلِّ زمانٍ، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبليسُ لآدمَ وحواءَ .

﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا﴾ أي: إلا كراهةً أن تكونا .
﴿مَلَكَيْنِ﴾ روحانيَّين .

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الباقيين في الجنة لا تموتان، واستدلَّ بعضُ الناسِ بهذه الآية على فضلِ الملائكةِ على الأنبياء، قال ابنُ فُورَك: لا حِجَّةَ في هذه الآية، لأنه يُحتمل أن يريدَ مَلَكَيْنِ في ألا تكون لهما شهوةٌ في طعامٍ^(٢)، وتقدَّمَ ذكرُ مذهبٍ^(٣) أهلِ السنَّةِ في تفضيلِ الأنبياءِ على الملائكةِ في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] .

(١) «على» زيادة من «ن» .

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧٨/٧) .

(٣) «مذهب» ساقطة من «ن» .

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ حلف لهما يمينا موثقةً .

﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ بحلفي ، وإبليس أول من حلف كاذباً .

﴿ فَذَلَّلَهُمَا يَغرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ فَذَلَّلَهُمَا ﴾ حطَّهما عن منزلتهما .

﴿ يَغرُورٍ ﴾ بباطل ؛ أي : خَدَعَهُمَا بحلفه ، والغرورُ : إظهارُ النصح مع إبطانِ الغشِّ .

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾ ليتعرَّفاها .

﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا ﴾ ظهرت لهما عوراتُهما ، وتهافتَ عنهما لباسُهما حتى أبصرَ كُلُّ منهما ما تَوَارَى عنه من عورةِ صاحبه ، وكانا لا يريان ذلك من أنفسِهما ، ولا أحدٌ منهما من صاحبه ، وكانَ لباسُهما نوراً يسترُهما ، فاستحييا .

﴿ وَطَفِقَا ﴾ أَخَذَا ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ يُلْصِقَانِ ورقةً بعدَ ورقةٍ .

﴿ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ وهو ورقُ التينِ حتى صارَ كالثوبِ ؛ ليستترَ به ، وهو يتهافَتُ عنهما ، وأصلُ الخَصْفِ : وَصَلَ الشيءَ بالشيءِ يسيرٍ أو غيره .

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ عتاباً وتوبيخاً .

﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ظاهرُ
العداوةِ بَيِّنُهَا، فيه دلالةٌ أنهما كانا قد عَرَفَا عداوةَ إبليسَ لهما، وحذَّرا منه.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ ٢٣ .

[٢٣] ﴿ قَالَا ﴾ معتردين ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ ضررناها بالمعصية .
﴿ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الهالكين .

﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى
حِينٍ ﴾ ٢٤ .

[٢٤] ﴿ قَالَ أَهْبِطُوا ﴾ يا آدمُ وحواءُ وإبليسُ .
﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ متعادين ، فيُعَادِيَانِ إبليسَ ويُعَادِيهِمَا .
﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ إلى تقضي^(١) آجالكم ، وتقدَّم ذكرُ
هبوطِ آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيةِ في سورةِ البقرة .

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ ٢٥ .

[٢٥] ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ يعني : فيها تعيشون .
﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا ﴾ أي : من الأرض .

(١) في «ن» : «أن تقضي» .

﴿تَخْرُجُونَ﴾ للبعث. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء^(١).

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النَّفَوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

[٢٦] ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي: خلقنا لكم.

﴿لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ﴾ التي قصد الشيطان إبداءها، ونغنيكم عن خصف الورق، روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار، والنساء بالليل عراة، فنزلت^(٢)؛ أمراً بالستر. قرأ الدوري عن الكسائي بخلاف عنه: (يؤاري) بالإمالة^(٣)، وهذه الآية دليل على وجوب ستر العورة، ولا خلاف بين الأئمة في وجوب سترها عن أعين الناس.

واختلفوا في العورة ما هي؟ فقال أبو حنيفة: عورة الرجل ما تحت سترته إلى تحت ركبته، والركبة عورة، ومثله الأئمة، وبالأولى بطنها وظهرها؛ لأنه موضع مشتتهى، والمكاتبه وأُمُّ الولد والمُدْبَرَةُ كالأئمة،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٥).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٠).

وجميع الحرة عورة إلا وجهها وكفّيها، والصحيح عنه أن قدّمها عورة خارج الصلاة لا في الصلاة، وقال مالك: عورة الرجل فرجاه وفخذاه، والأمة مثله، وكذا المدبرة والمعتقة إلى أجل، والحرّة كلّها عورة إلا وجهها ويديها، ويُسْتَحَبُّ عنده لأُمّ الولد أن تَستَر من جسدها ما يجب على الحرة ستره، والمكاتبَةُ مثلهَا. وقال الشافعي وأحمد: عورة الرجل ما بين السُرّة والركبة، وليست الركبة من العورة، وكذا الأمة، والمكاتبَةُ وأُمّ الولد والمدبرة والمعتقُ بعضُها، والحرّة كلّها عورة سوى الوجه والكفّين عند الشافعي، وعند أحمد سوى الوجه فقط على الصحيح، وأما سُرّة الرجل، فليست من العورة بالاتفاق.

﴿وَرِيثًا﴾ لباسَ زينةٍ تتجملون بها، فهي للأناسي كالريش للطائر، المعنى: أنزل لكم لباسين: أحدهما لستر عوراتكم، والآخر لجمالكم. ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾ هو خشية الله والتورّع، وقيل: هو ما يُلبَس من الدروع ويُتَقَى به.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، والكسائي: (وَلِبَاسٍ) بنصب السين عطفًا على قوله: ﴿لِبَاسًا﴾، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء، وخبره (خَيْرٌ)، وجعلوا (ذَلِكَ) صلةً في الكلام^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: إنزال اللباس.

﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيعرفون نعمته.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥١).

﴿ يَنْبَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا ۚ إِنَّهُ يَرَئِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ يَنْبَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ﴾ لا يُضِلُّنَّكُمْ .

﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ بأن يمنعكم دخول الجنة .

﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم ﴾ آدَمَ وَحَوَّاءَ .

﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ بفتنته ، النهي في اللفظ للشيطان ، والمعنى : نهيمهم عن اتباعه .

﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا ﴾ ليري كل واحد سوء الآخر ؛ أي : أخرجهما نازعاً ثيابهما ؛ لكونه سبب النزاع ، ثم حذر منه مُعللاً فقال :

﴿ إِنَّهُ يَرَئِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾ جموعه وأعوانه ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ لأن الله سبحانه خلقهم خلقاً لا يرون فيه ، وإنما يرون إذا نُقلوا عن صورتهم .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ أعواناً ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يزيدون في غيهم .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۚ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً ﴾ عبادة الصنم ، وكشف العورة في الطواف .

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ ولم يكفهم تقليدُهم حتى قالوا مفترين : ﴿ وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ لاستحالتها في حقه ؛ لأن عادته

جرت على الأمر بمحاسن الأفعال .

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إنكارٌ يتضمنُ النهيَ عن الافتراءِ على الله، وتقدّم اختلافُ القراء في الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة^(١) عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنَتْهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وكذلك اختلافهم في قوله: (بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ).

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدلِ والتوحيد.

﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ أي: صَلُّوا.

﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ متوجّهينَ للكعبةِ حيثُما صَلَّيْتُمْ، ولا تُؤَخِّرُوها حتى تعودوا إلى مساجِدِكُمْ.

﴿ وَادْعُوهُ ﴾ اعبدوه.

﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ العبادة، ولما أنكروا البعث، قال محتجاً عليهم:

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ ﴾ أنشأكم خُفَاءَ عُرَاةٍ.

﴿ تَعُودُونَ ﴾ بإعادته، فيجازيكم على أعمالِكُمْ.

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [٣١].

(١) في جميع النسخ «النساء» والصواب ما أثبت.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ أي: هداهم الله بأن وفّقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ بمقتضى القضاء السابق؛ أي: وخذل فريقاً. ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ تعليلٌ لخذلانهم. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ يدلُّ على أن الكافر المخطئ والمعاند سواءً في استحقاق الذنب. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، وأبو جعفرٍ: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها^(١).

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^٢ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤١﴾.

[٣١] قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: كان بنو عامرٍ يطوفونَ بالبيتِ عُرّةً، فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾^(٢) لباسكم.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كُلَّمَا صَلَّيْتُمْ أَوْ طُفْتُمْ، وفيه دليلٌ على وجوبِ سترِ العورةِ في الصلاة، والحكمُ كذلك بالاتفاق. ﴿وَكُلُوا﴾ اللحمَ والدسم.

﴿وَاشْرَبُوا﴾ اللبن؛ لأن طائفةً كانوا في حجّهم لا يأكلون إلا قوتاً. ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في شيءٍ ما.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: لا يرضى فعلهم، وفي معنى قوله

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للذميّاطي (ص: ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٥٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٩٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٤٣٦).

تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ من الأمثال الدائرة على السُنِّ الناس: الحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ هي ما ستر العورة، وكلُّ ما يُتَجَمَّلُ به الإنسان^(١) من الثياب وغيرها حلالاً.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿مِنَ الرِّزْقِ﴾ من المأكِلِ والمشارب.

﴿قُلْ هِيَ﴾ أي: الزينة والطيبات.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيه حذف تقديره: هي للمؤمنين والمشركين في الدنيا، وللمؤمنين.

﴿خَالِصَةً﴾ أي: مختصة بهم.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لا يُشاركهم فيها غيرهم. قرأ نافع: (خَالِصَةً) بالرفع على أنها خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرٌ ابتداءً تقديره: وهي خالصةٌ يومَ القيامة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال و^(٢)القطع؛ لأن الكلام قد تمَّ دونه^(٣).

(١) «الإنسان» زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «أو».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٣).

﴿ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: كتفصيلنا هذا الحكمَ نفصلُ سائرَ الأحكامِ لهم.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [٣٣].

[٣٣] ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾ ما قَبَحَ فحشُهُ، ويعمُّ كلَّ فاحشةٍ، قرأ حمزة: (رَبِّي الْفَوَاحِشَ) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحها^(١).

﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ جهرها وسرّها.

﴿ وَالْإِثْمَ ﴾ الذنب ﴿ وَالْبَغْيَ ﴾ الظلم والكِبَر.

﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿ حُجَّةً وَبِرَهَانًا.

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ من التحريم والتحليل.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٣٤].

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مُدَّةٌ، وهو وعيدٌ لأهل مكة.

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ انقضت مدَّتُهُمْ.

﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ لا يتأخرون، ولا يتقدمون، وقِيْدَ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٤).

بساعة؛ لأنها أقل ما يُستعمل في الإمهال، وذلك حين سألوا العذاب،
فأنزل الله هذه الآية، ويُستدل بهذا على أن المقتول إنما يُقتل بأجله، وأجل
الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه لا محالة، كما أن أجل
الدين هو وقت حلوله، وتقدم اختلاف القراء في حكم الهمزتين من كلمتين
في سورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء:
٥]، وكذلك اختلافهم في قوله: (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ).

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٥].

[٣٥] ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ الخطاب في هذه الآية لجميع
الأمم، و(إن) الشرطية دخلت عليها (ما) لتأكيد معنى الشرط، لذلك جاز
دخول (النون الثقيلة) على الفعل، وإذا لم تكن (ما)، لم يجز دخول (النون
الثقيلة)؛ أي: إن يأتكم، أخبر أنه أرسل إليهم الرسل منهم؛ لتكون إجابتهم
أقرب، وتحصل من هذا الخطاب لحاضري محمد ﷺ أن هذا حكم الله في
العالم منذ أنشأه، و(يَأْتِيَنَّكُمْ) مستقبلٌ وُضع موضع ماضٍ؛ ليفهم أن الإتيان
باقٍ وقت الخطاب؛ لتقوى الإشارة بصحة النبوة إلى محمد ﷺ.

﴿يَقْضُونَ﴾ والقصص: إتيان الحديث بعضه بعضاً.

﴿عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ أحكامي، وجواب الشرط:

﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ الشرك.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إِذَا خَافَ النَّاسُ .

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إِذَا حَزَنُوا .

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا .

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد ، والمسامحة في الوعيد .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيُّنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ جعل له شريكاً .

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن .

﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي : ما قُدِّرَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ .

﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما يصلُ إِلَى الْكُفَّارِ .

﴿إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ عِنْدَ انْقِضَاءِ ذَلِكَ .

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ ؛ يَعْنِي : مَلِكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ .

﴿قَالُوا﴾ يعني: الرسل للكفار: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: أين آلهتكم فيذبثون عنكم؟ سؤال تبكيت وتقريع.

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا فلم نرهم.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ عند معاينة الموت.

﴿أَنْتُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ اعترفوا بالضلال فيما كانوا عليه.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ لِأَوْلِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَاهُمُ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ يعني: يقول الله لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي: مع جماعات ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت.

﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ يعني: كفار الأمم الخالية.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي: المماثلة لها؛ لضلالها بها^(١).

﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾ واجتمعوا في النار.

﴿قَالَتْ أُخْرَيْتُمْ﴾ السفلة والأتباع.

(١) في «ت»: «به».

﴿لَأُولَئِهِمُ الْقَادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ، وَمَعْنَى لَأُولَاهُمْ؛ أَي: لِأَجْلِ أُولَاهُمْ؛
لأنَّ خطابهم مع الله لا معهم.

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ عن الهدى، وتقدّم التنبيه على اختلاف القراء في
الهمزتين عند قوله: (لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ) [الأعراف: ٢٨]، وكذلك
اختلافهم (هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا).

﴿فَقَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضَاعَفًا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ لأنهم ضلُّوا، وأضلُّوا.

﴿قَالَ﴾ اللهُ: ﴿لِكُلِّ﴾ من القادة والأتباع.

﴿ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل واحد من العذاب. قراءة^(١) الجمهور:
(تَعْلَمُونَ) بالخطاب، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالغيب^(٢)؛ أي: لا يعلم
الأتباع ما للقادة، ولا القادة ما للأتباع.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمُ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذَوْقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمُ الْقَادَةُ﴾ لِأُخْرَاهُمْ ﴿لِلْآتِبَاعِ:

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أَي: نحن وأنتم في الكفر سواء، فثمَّ
تعالى يقول لهم جميعاً: ﴿فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

(١) في «ن»: «قرأ».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)،

و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: لا يصعدُ لهم عملٌ صالح. قرأ أبو عمرو (تَفْتَحُ) بالتأنيث والتخفيف، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالتذكير والتخفيف، والباقون: بالتأنيث والتشديد^(١).

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل. ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ثُقب الإبرة، المعنى: هؤلاء لا تجاب أَدْعِيَتُهُمْ، ولا يدخلون الجنة أبداً.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء.

﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (جَهَنَّمَ مِهَادٌ) بإدغام الميم في الأولى في الثانية^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي =

﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ جمعُ غاشية؛ وما يُغَطِّيهم من أنواع العذاب .
 ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الكفار، رُوي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على
 (غواشي).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾
 طاقتها من الخير والعملِ الصالح ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
 وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٢).

[٤٣] عن عليٍّ رضي الله عنه قال: فينا والله أهل بدرٍ نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا
 فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ حقدٌ كان بينهم في الدنيا، وإن كانت نازلةً في الصحابة
 رضي الله عنهم، فهي عامةٌ في جميع أهل الجنة؛ لأنهم لا يتحاسدون
 ولا يتباغضون، وقال علي أيضاً: «إني لأرجو أن أكون أنا وعثمانُ وطلحةُ
 والزبيرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾» (١).

= (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦١).

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (٢/ ٢٢٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم»

(٥/ ١٤٧٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٥٧).

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ زيادة في لذتهم وسرورهم .
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ وَفَقْنَا .

﴿لِهَذَا﴾ لما جزأوه هذا ﴿وَمَا كُنَّا﴾ قرأ ابن عامر: (مَا كُنَّا) بغير واو^(١) .
﴿لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ وجواب (لولا) محذوف؛ أي: فلولا هداية الله، ما كنا نهتدي، فعند معاينة أهل الجنة صدق إخبار الرسل ﷺ، قالوا: سروراً.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فَشَمُّ أَكْرَمُوا ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ أُعْطِيتُمُوهَا .

﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالكم . قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (أُورِثْتُمُوهَا) بإظهار الشاء، والباقون: بالإدغام^(٢) .

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب حَقًّا ﴿صِدْقًا﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٢) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٢) .

﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ من العقاب .

﴿ حَقًّا ﴾ تقديره : وعد ربكم ، فحذف (كم) لدلالة (نا) الأول عليه ؛ لأن وعد يستعمل في الخير والشر .

﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ وأجاب الكفار بنعم دون بلى ؛ لأن (نعم) جواب استفهام دخل على إيجاب ، وهو (وَجَدْتُمْ) ، و(بلى) جواب استفهام دخل على نفي ؛ نحو : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . قرأ الكسائي : (نعم) بكسر العين حيث وقع ، والباقون : بفتحها ، وهما لغتان^(١) .

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾ أي : نادى منادٍ أسمع الفريقين .

﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الكافرين . قرأ ورش عن نافع ، وأبو جعفر : (مُؤَذِّن) بفتح الواو بغير همز^(٢) ، وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وعاصم : (أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ) بإسكان النون مخففة ، ورفع (لَعْنَةُ) ، واختلف عن قبل راوي ابن كثير ، وقرأ الباقر : بتشديد النون ، ونصب (لَعْنَةُ)^(٣) .

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾ يَصْرِفُونَ النَّاسَ ﴿ عَنْ سَبِيلِ ﴾ طاعة .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٠) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣) .

(٢) انظر : «الغيث» للصفارسي (ص : ٢٢٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ٢٢٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣) .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٠) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣) .

﴿اللَّهُ يَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون اعوجاجها، ويذمونها، فلا يؤمنون بها ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الجنة والنار.

﴿حِجَابٌ﴾ مانعٌ ليمنع وصول أثرٍ إحداهما إلى الأخرى، وهو السور المعروف بالأعراف، جمع عُرفٍ؛ سُمِّيَ بذلك؛ لارتفاعه، ومنه عُرفُ الديك؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ أي: أعالي الحجاب، وهو السور الذي ذكره الله في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لِّأَبَابٍ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿رِجَالٌ﴾ هم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء، ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته، وهم آخرٌ من يدخل الجنة.

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم، وهي بياض الوجه للمؤمنين، وسواده للكافرين.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ أي: إذا نظروا إليهم، سلّموا عليهم، وقيل: المعنى: سلّمتم من العقوبة.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة.

﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها، فيدخلونها بعد، قال الحسن: «والله

ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لخير أرادَهُ بهم»^(١).

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ لِقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^[٤٧].

[٤٧] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ﴾ أبصارُ أهلِ الأعرافِ.

﴿لِقَاءَ﴾ ظَرْفٌ ؛ أي : تَجَاهَ.

﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ فعرفوهم ، ﴿قَالُوا﴾ مستعيزين داعين :

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني : الكافرين في النار ، وتقدّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة النساء عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء : ٥] ، وكذلك اختلافهم في ﴿لِقَاءَ أَصْحَابِ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^[٤٨].

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفرة.

﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المالُ والولدُ في الدنيا.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان.

(١) رواه عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٣٠)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٨). وانظر : «الدر المثور» للسيوطي (٣/ ٤٦٦).

﴿ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٤٩).

[٤٩] ثم يقولون للكفار، وهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام ونحوهما؛ تنبيهاً على الأبرار ممن دخل الجنة، وهم سلمان^(١)، وصهيب، وخبّاب، وبلال وأشباههم الذين كانوا يحتقرونهم لفقرهم: ﴿ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ﴾ حلفتُمْ.

﴿ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ أي: لا يدخلون الجنة؛ ثم يقال لأصحاب الأعراف:

﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ لا تخافون على ما يأتي، ولا تحزنون على ما فات. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، والكسائي، وخلف بخلاف عن ابن ذكوان راوي ابن عامر: (بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا) (خَبِيثَةٌ اجْتَنَّتْ) بضم التنوين في الوصل^(٢).

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا ﴾ صُبُّوا.

﴿ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ ﴾ وسَّعُوا علينا.

(١) في «ن»: «سليمان».

(٢) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٢٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣، ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٥).

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من طعام الجنة، وفيه دليلٌ على أَنَّ الجنةَ فوق النار، وتقدّم التنبيه على اختلافِ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وكذلك اختلافهم في ﴿مِنَ الْمَاءِ أَوْ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ يعني: الماء والطعام.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ منعهما عنهم.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [٥١].

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كتحريم البحيرة وأخواتها، والمكاء والتصديّة حول البيت، وغيرها مما كانوا يفعلون^(١) في الجاهلية. ﴿وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾ نفعلُ بهم فعل^(٢) الناسين، فتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يُخْطِروه ببالهم. ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يُنكرون أنها من عند الله.

﴿وَلَقَدْ جَنَّاهُمْ بِكُنْبٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٢].

(١) في «ن»: «يفعلونه».

(٢) في «ن»: «كما فعل».

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني : القرآن .

﴿فَصَلَّنَاهُ﴾ أحكاماً وقصصاً .

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي : عالِمينَ بتفصيله .

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي : جعلناه هادياً وذا رحمة .

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المتفعلون به .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٥٣] .

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي : ينتظرون .

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يؤول إليه من ^(١) أمرهم يوم القيامة من الوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ جزاؤه .

﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ اعترافاً حين لا ينفعُ .

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ حقيقةً .

﴿بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا﴾ اليوم .

﴿مِنْ شُفْعَاءَ﴾ استفهامٌ فيه معنى التمني .

﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا .

﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وجوابُ الاستفهام .

(١) «من» : زيادة من : «ت» .

﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أَهْلَكُوهَا .

﴿وَضَلَّ﴾ بَطَلَ .

﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ .

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي : في مقدارها ؛ لأن اليوم من لَدُنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إلى غروبها ، ولم يكن يومئذِ يومٌ ولا شمسٌ ، وخلقهنَّ فيهنَّ تعليمًا لخلقهنَّ الثَّبُوتَ والثَّانِي ؛ لأنه سبحانه كان قادرًا على خلقهنَّ في لمحَّة^(١) ، وقد جاء في الحديث : «الثَّانِي مِنَ اللَّهِ ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢) .

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءٌ يليقُ بعظمتهِ بِلاَ كَيْفٍ ، وهذا من المشكِـلِ الذي يجبُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ على الإنسانِ الإيمانُ به ، ويَكُلُّ العلمُ فيه إلى الله عز وجل ، وسُئِلَ الإمامُ مالِكٌ رضي الله عنه عن الاستواءِ فقال : «الاستواءُ معلومٌ ؛ يعني : في اللغة ، والكيفُ مجهولٌ ، والإيمانُ به واجبٌ ، والسؤالُ

(١) في «ن» : «كلمحة» .

(٢) رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٣/٣٨٩) ، وأبو يعلى في

«مسنده» (٤٢٥٦) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١٠٤) ، عن أنس بن

مالك - رضي الله عنه - .

عنه بِذَعَةٍ^(١)، وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فَقَالَ: «هُوَ كَمَا أَخْبَرَ، لَا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ»^(٢)، وَالْعَرْشُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ السَّرِيرُ، وَخُصَّ الْعَرْشُ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفاً لَهُ؛ إِذْ هُوَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ.

﴿يُغْشَى أَيْلُ النَّهَارِ﴾ يُغْطِي أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ، وَفِيهِ حَذْفٌ؛ أَي: وَيُغْشَى النَّهَارَ اللَّيْلَ، وَلَمْ يُذَكَّرْ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ، وَخَلَفٌ، وَيَعْقُوبٌ: (يُغْشَى) بِالتَّشْدِيدِ مَعَ فَتْحِ الْغَيْنِ، وَلَهُ قَوْلٌ بِإِسْكَانِ الْغَيْنِ وَالتَّخْفِيفِ^(٣).

﴿يَطْلُبُهُ حَيْثَا﴾ يَعْقُبُهُ سَرِيعاً.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ مُذَلَّلَاتٌ.

﴿بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ بِمَشِئَتِهِ. قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ) كُلُّهَا بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، فَالشَّمْسُ مُبْتَدَأٌ، وَالْبَقِيَّةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهِ، وَخَبَرُهُ (مُسَخَّرَاتٌ)، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالنَّصْبِ وَكَسْرِ التَّاءِ مِنْ (مُسَخَّرَاتٍ) تَاءُ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ عَطْفاً عَلَى قَوْلِهِ: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)، فَتَنْصِبُ (مُسَخَّرَاتٍ) حَالاً^(٤).

(١) رَوَاهُ اللَّالِكَايِيُّ فِي «اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ» (٣/ ٣٩٨)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٢) انْظُرْ: «اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ» لِلَّالِكَايِيِّ (٣/ ٤٠١).

(٣) انْظُرْ: «السَّبْعَةُ» لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٢٨٢)، وَ«التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِيِّ (ص: ١١٠)، وَ«تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ» (٢/ ١٠٩)، وَ«الْكَشْفُ» لِمَكِيِّ (١/ ٤٦٤)، وَ«مَعْجَمُ الْقُرْآنِ» (٢/ ٣٦٨).

(٤) انْظُرْ: «السَّبْعَةُ» لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٢٨٢)، وَ«التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِيِّ (ص: ١١٠)، =

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَمْرُ﴾ بأن يأمرهم ويحكم فيهم ما شاء .
 ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي : دام ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وتعظم بالتفرد في الربوبية .

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ تذلاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً . قرأ أبو بكر عن عاصم : (وَخُفْيَةً) بكسر الخاء ، والباقون : بالضم ^(١) ، وقد أثنى الله على زكرياء بقوله : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خُفْيًا﴾ [مريم : ٣] ، قال الحسن : «بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً» ^(٢) ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يُسمع لهم صوت ، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم .

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين برفع الصوت والتشدق في الدعاء .

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالظلم والشرك .

= و«تفسير البغوي» (١٠٩/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦٩/٢) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٠٣) ،

و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧٠/٢) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (١١٠/٢) .

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بِالْعَدْلِ بِيَعَثِ الْأَنْبِيَاءُ وَشَرَعَ الْأَحْكَامَ .

﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا﴾ مِنَ الرَّدِّ ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي الْإِجَابَةِ .

﴿إِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ذُكِّرَ (قَرِيبٌ) عَلَى تَأْوِيلِ أَنَّهَا الثَّوَابُ ﴿مِنْ﴾
الْمُحْسِنِينَ ﴿وَرَحِمَتِ﴾ رُسِمَتْ بِالتَّاءِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ ، وَقَفَ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ
ابْنُ كَثِيرٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَيَعْقُوبُ^(١) .

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ
سَحَابًا نَفَخَ لَآ سُقْنَتُهُ لِيلَةٍ مَيَّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَحَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ ،
وْخَلَفٌ : (الرِّيْحَ) بِغَيْرِ أَلْفٍ بَعْدَ الْيَاءِ ، وَالْبَاقُونَ : بِالْأَلْفِ^(٢) .

﴿بُشْرًا﴾ قَرَأَ عَاصِمٌ (بُشْرًا) بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ وَضَمُّهَا وَإِسْكَانِ الشَّيْنِ ؛
أَيَ : تَبَشَّرُ بِالْمَطَرِ ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ : بِالنُّونِ وَضَمُّهَا وَإِسْكَانِ الشَّيْنِ ، وَقَرَأَ
حَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَخَلَفٌ : بِفَتْحِ النُّونِ وَإِسْكَانِ الشَّيْنِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ :

(١) انظر: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار» للداني في باب: ذكر ما رسم ف
بالمصاحف من هاءات التأنيث (ص: ٢٤) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان
(٢٤٢/٢) ، والمواضع السبعة هي: في هو و ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي﴾ ، وفي مريم:
﴿ذَكَرَ رَحِمَتَ رَبِّكَ﴾ ، وفي الزخرف: ﴿أَهْمَرِ يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ﴾ ، و﴿رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ﴾ وفي الروم: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحِمَتِ اللَّهِ﴾ وفي هذه الآية .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣) ، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨) ،
و«تفسير البغوي» (٢/ ١١١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٠) .

بضمّ النون والشين، جمعُ نُشور^(١)، والقراءة بالنون معناها على القراءات كلّها متفرقة، وهي الرياحُ التي تهبُّ من كل ناحية.

﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قُدَّامَ ﴿رَحْمَتِهِ﴾ نعمته، وهو المطرُ.

﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملتِ الرياحُ.

﴿سَحَابًا﴾ جمعُ سحابة.

﴿ثِقَالًا﴾ بالماء.

﴿سُقْنَتُهُ﴾ أي: السحاب، وقيل: المطرُ.

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ محتاج إلى الماء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مَيِّتٍ) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف^(٢).

﴿فَأَرْزَأْنَاهُ﴾ أي: بالبلد، وقيل: بالسحاب ﴿أَلْمَاءَ﴾ يعني: المطرَ.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالبلد، وقيل: بالسحاب.

﴿مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ مثل إخراجنا النبات.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من الأجداث ونُحييها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون بالبعث. وتقدّم اختلافُ القراء في تخفيف (تذكرون) في أولِ السورة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (١١١/٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧١-٣٧٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧٣/٢)، ورويت بخلاف عن عاصم.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾.

[٥٨] ثم ضرب مثلاً لمن ينتفع بالوعظ، ولمن لا ينتفع به بعد ذكر
المطر وإخراج النبات والثمرات تشبيهاً له بها فقال:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: الأرض الكريمة التربة.

﴿يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ حسناً.

﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ كالسبخة ونحوها.

﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته.

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً. قرأ أبو جعفر: (نَكِدًا) بفتح الكاف مصدراً؛ أي:

ذو نكد، والباقون: بكسرهما^(١)، وعن أبي جعفر وجه: (لا يُخْرِجُ) بضم
الياء وكسر الراء، وعنه: وجه آخر بضم الياء وفتح الراء، فالأول مثل
المؤمن الذي يسمع القرآن فيعقله وينتفع به، والثاني مثل الكافر الذي
لا يسمع القرآن، فلا يؤثر فيه كالبلد الخبيث.

﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ﴾ نرددها ونوضحها.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٧٤).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ اللام في (لَقَدْ) للتأكيد المنبّه على القسم، أقسم الله تعالى أنه أرسل نوحاً، وتقدّم ذكرُ نوح عليه السلام، ونسبه، وقدرُ عمره، ومحلُّ قبره في سورة آل عمران، بعثه الله إلى قومه وهو ابنُ خمسين سنة، وقيل: ابنُ أربعين، وهو قولُ ابنِ عباس، وقيل: ابنُ مئتين وخمسين، وقيل: ابنُ ثلاث مئة وخمسين، وقال مقاتل: ابنُ مئة سنة، وقال وهبُ بنُ منبه: بُعث نوحٌ وهو ابنُ أربع مئة سنة، وهو أولُ نبي بعثه الله بعدَ إدريس، وكان نجاراً، ومن أولاده سامٌ وحامٌ ويافث، فسامٌ هو أبو العربِ وفارسِ والرومِ وأهلِ الشامِ وأهلِ اليمنِ، وكان هو القيم بعدَ نوح في الأرض، ومن ولده الأنبياءُ كلُّهم، عربُّهم وعجمُّهم، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي اختطَّ مدينةَ القدس، وأسس المسجد الأقصى، وكان ملكاً عليها، وحامُّ أبو السودانِ وأهلِ الهندِ والسندِ والزنجِ والحبشةِ والنوبةِ وكلِّ جلدٍ أسود، ويافثُ أبو التركِ ويأجوجَ ومأجوجَ والفرنج.

﴿فَقَالَ﴾ لقومه، وكانوا أهلُ أوثانٍ: ﴿يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحَدُّوهُ.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي: (غَيْرُهُ) بكسر الراء على نعتِ الإلهِ حيثُ وقع، والباقون: بالرفع على التقديم؛ أي: ما لكم غيره من إلهٍ^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، =

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يومُ القيامة، أو يومُ الطوفان. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿قَالَ أَلَمَّا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّكَ لَنَزَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦٠﴾.

[٦٠] ﴿قَالَ أَلَمَّا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: الأشراف، فإنهم يملئون العيون والنفوس.

﴿إِنَّكَ لَنَزَكَ فِي ضَلَالٍ خَطِئٍ﴾ ﴿مُبِينٍ﴾ واضح.

﴿قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦١﴾.

[٦١] ﴿قَالَ﴾ نوحٌ: ﴿يَقَوْمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ أي: شيءٌ من الضلال، وهي أعمُّ، وفي نفيها نفي جميع الضلال؛ نحو: ألك تمرٌّ؟ ويقول: ولا تمرَّة، ثم استدرَك مؤكِّداً نفي الضلالة فقال:

﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المعنى: ولكنني على هُدًى في الغاية؛ لأنني رسولٌ من الله.

= و«تفسير البغوي» (١١٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧٥/٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص:

١١٥)، و«تفسير البغوي» (١١٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧٧/٢).

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ أُوصلُ إليكم .

﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ بالأحكام، وجمعَ الرسالات؛ لاختلاف أوقاتها؛ أو لتنوع معانيها. قرأ أبو عمرو: (أُبَلِّغُكُمْ) بالتخفيف من الإِبلاغ، والباقون: بالتشديد من التبليغ .

﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ وحقيقة النصح: إرادة الخير لغيره كما يريدُه لنفسه .

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن عقابه لا يُردُّ عن القومِ المجرمين .

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ أَلْفُ استفهامٍ دخلتُ على واوِ العطف لمعنى التقرير والتوبيخ، تقديره: أَكْذَبْتُمْ وَعَجِبْتُمْ .

﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظةٌ .

﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ على لسانه .

﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا .

﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [٦٤]

[٦٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾ من الطوفان .

﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾ السفينة ، وهم من آمن به ، وكانوا أربعين رجلاً ، وأربعين امرأة .

﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بالطوفان .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ غمي القلوب .

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [٦٥]

[٦٥] ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ ﴾ أي : وأرسلنا إلى عادٍ ، وهم ولدُ عادِ بنِ عوصِ بنِ عبدِ الله بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وهي عادُ الأولى .

﴿ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ في النَّسَبِ لا في الدِّينِ ، هو ابنُ عبدِ الله بنِ رباحِ بنِ الخلودِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرمِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، بعثه الله إلى عادِ نبياً ، وكان من أوسطهم نسباً ، وأفضلهم حسباً ، وهو داسم^(١) أعجميٌّ ، وانصرفَ لخفته ؛ لأنه على ثلاثة أحرفٍ ، وبعثه الله بعدَ نوحٍ وقبلَ إبراهيمَ ، وكانت عادُ ثلاثَ عشرةَ قبيلةً ينزلون الرمالَ رملَ عالِجٍ ، وكانوا أهلَ بساتينَ وزروعٍ وعمارةٍ ، بنوا حيَ حضرموتَ باليمنِ ، فسخطَ الله عليهم ، فجعلهم مفاوزَ ، وكانوا يعبدون الأصنامَ ، وهم جبارونَ ، طوالُ القاماتِ ، فبعثَ إليهم

(١) «اسم» ساقطة من «ن» .

بالتوحيد وترك الظلم، ولم يأمرهم بغير ذلك .

﴿ قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ تقدم اختلاف^(١) القراء في (إِلَهٍ غَيْرُهُ) في الحرف المتقدم ﴿ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ نعمته .

﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ ﴾ يا هود .

﴿ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ جهالة وخفة عقل حيث تركت دين قومك .

﴿ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ في رسالتك .

﴿ قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ قَالَ ﴾ هود: ﴿ يَنْقُومِ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ ﴾ أدعوكم إلى التوبة .

﴿ أَمِينٌ ﴾ على الرسالة .

وتقدم اختلاف القراء في (أُبَلِّغُكُمْ) في الحرف المتقدم .

(١) في «ش»: «خلاف» .

﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٦٩]

[٦٩] ﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ ﴾ يعني : نفسه .
﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أي : سكان الأرض من بعد إهلاكهم .

﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ قوة وطولاً ، وكان طول الطويل منهم مئة ذراع ، والقصير ستين ذراعاً . قرأ خلف لنفسه ، وعن حمزة ، والدوري عن أبي عمرو ، وهشام عن ابن عامر ، ورويس عن يعقوب : (بَسْطَةً) بالسين ؛ لأنها الأصل ، وقرأ نافع ، وأبو جعفر ، والكسائي ، والبزّي عن ابن كثير ، وأبو بكر عن عاصم ، وروح عن يعقوب : بالصاد بدلاً من السين ، واختلف عن قبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاّد ، ورسمها بالصاد^(١) .
﴿ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تدركون البغية والآمال .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّهُ وُزْدَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [٧٠]

[٧٠] ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّهُ ﴾ أي : مفرداً موحداً .

﴿ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ من الأصنام ؟

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٢٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٧٨ / ٢) ، وقد ذكرت القراءة بالصاد عن نافع والكسائي والبزّي وابن ذكوان .

﴿ فَأَنبَأْنِي مَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب .

﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ قالوا ذلك له استهزاء .

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظِبٌ ۖ أَتُجَدِلُونَنِي فِي
أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ ۖ فَانظُرُوا إِنِّي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾ هُوَ ﴿ قَدْ وَقَعَ ﴾ وَجَبَ ﴿ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾
عذابٌ ﴿ وَعَظِبٌ ﴾ سخطٌ .

﴿ أَتُجَدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ أو وضعتموها .

﴿ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ ﴾ حجة وبرهان ؛ أي في أشياء
سميتموها آلهة ، وليس فيها معنى الإلهية ، وكانت الأصنام يعبدونها
ويسمونها بأسماء مختلفة ، وهي : صُدَاءُ ، وَصُمُودٌ ، وَالْهُبَاءُ ، وكانوا قد
فَشَوْا في الأرض ، وقهروا أهلها بقوتهم .

﴿ فَانظُرُوا ﴾ نزول العذاب .

﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ فأرسلت الريح العقيم عليهم ، فدخلوا
بيوتهم ، فأخرجتهم الريح منها ، وأهالت عليهم الرمال سبع ليالٍ وثمانية
أيام ، ثم رمت بهم في البحر .

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ يعني: هوداً ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين.

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بَأَنْ جُعِلُوا فِي حَظِيرَةٍ مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ إِلَّا مَا يُلَيْنُ عَلَيْهِمْ جُلُودُهُمْ.

﴿وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: استأصلناهم عن آخرهم.

﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: هلك الكفار، ونجا المؤمنون.

ويُروى أنه كان من عادٍ شخصٌ اسمه لقمان، وهو غيرُ لقمان الحكيم الذي كان على عهدِ داودَ النبي عليه السلام، ولحقَ هودٌ حين أهلك قومه بمن آمنَ معه بمكة، فلم يزلوا فيها حتى ماتوا فيها، وقيل إن قبره بحضرموت، وروى^(١) أن النبي من الأنبياء كان إذا هلك قومه، أقام بصالحه بمكة يعبدون الله حتى يموتون^(٢).

﴿وَالِإِثْمُودَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَنْقُورُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثِيرُهُ بَيْنَكُمْ بَيْنَهُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾

[٧٣] ﴿وَالِإِثْمُودَ﴾ هو ثمودُ بنُ عابر بنِ إرم بنِ سام بنِ نوح، والمراد

هنا: القبيلة، وقيل: سُميت ثمود؛ لقلة ماؤها، والْتَمَدُ: الماء القليل،

(١) في «ن»: «ويروى».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١١٦/٢-١١٧).

وكانت مساكنهم الحِجْرَ بينَ المدينةِ الشريفةِ والشامِ، وكانوا عرباً يعبدون الأصنامَ.

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: أرسلنا إلى ثمودَ أخاهم في النسبِ لا في الدينِ.

﴿أَخَاهُمْ صَلَاحًا﴾ هو ابنُ عبيدِ بنِ أسفِ بنِ ماسحِ بنِ عبيدِ بنِ حاذرِ بنِ ثمودَ.

﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وبالغَ صالحٍ في الإنذارِ، وادَّعى^(١) النبوةَ وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿حِجَّةٌ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صِدْقِي، فقالَ سيدهم جُندَعُ بنُ عمرو: تُخْرِجُ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةً مُخْتَرِجَةً وَبَرَاءَ عُسْرَاءَ، والمُخْتَرِجَةُ: مَا شَاكَلَتِ الْبَحْتَ مِنَ الْإِبِلِ، فقال: إِنْ فَعَلْتُ تَوَمَّنُوا؟ قالوا: نَعَمْ، فَأَخَذَ مَوَاتِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَتَمَخَّضَتِ الصَّخْرَةُ عَنْ نَاقَةٍ كَمَا أَرَادُوا، ثُمَّ نَبَجَتْ مِثْلَهَا فِي الْعِظَمِ.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ عَلَى التَّفْضِيلِ؛ لِأَنَّهَا جَاءَتْ مِنْ عِنْدِهِ بِلا وَسَائِطَ^(٢) وَأَسْبَابٍ مَعْهُودَةٍ.

﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ مِنَ الْمَرْعَى ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾، فَالْأَرْضُ لَهُ، وَالنَّاقَةُ نَاقَتُهُ، لَا اعْتِرَاضَ لَكُمْ عَلَيْهَا.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ﴾ بِعَقْرِ وَلَا ضَرْبٍ.

﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فَأَمَّنَ جُندَعُ وَرَهْطُهُ.

(١) فِي «ن»: «وَادْعَاءَ».

(٢) فِي «ن»: «بِلا وَسَائِطَ».

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آلَاءَ
اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٤﴾.

[٧٤] ولما هلكت عادٌ، خلفتها ثمودٌ في الأرض، وعمَّروا القصور،
ونحتوا البيوتَ في الجبال، فقال:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أنزلكم.

﴿فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون من سهولها بما
تعملون من اللَّيْنِ وَالْآجُرِّ.

﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ كانوا ينقبون في الجبال البيوتَ، ففي الصَّيْفِ
يسكنون بيوتَ الطين، وفي الشتاء بيوتَ الجبل.

﴿فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ نعمه.

﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والعَيْثُ: أَشَدُّ الفسادِ.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ
ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ
بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٥﴾.

[٧٥] قَالَ الْمَلَأُ. قرأ ابنُ عامرٍ (وَقَالَ الْمَلَأُ) بواو، وقرأ الباقون:

بغير واو^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)،
و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٩).

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ يعني : الأشراف والعامة الذين تعظموا
عن الإيمان بصالح .

﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ يعني : الأتباع .

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ يعني : قال الكفار للمؤمنين :

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مَرَّ سَلُّ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم .

﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ لا شك عندنا فيه .

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ (٧٦)

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾
جاحدون .

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَا بِمَا
تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧)

[٧٧] فلما أضرت الناقة بمواشيهم ، كمن لها قدار بن سالف بطريقها
بجماعة تسعة ، وكن لها مصدع بن مہرج بطريق آخر ، فمرت بمصدع
فرماها بسهم ، فانتظم ساقها ، وشد قدار عليها ، فعزقها بالسيف ، فخرت
ورغت تحذر سقبها ، ثم طعن في لبتها فنحرها ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عزقوها
فقتلوها ، واقتسموا لحمها ، فجاء صالح فرأه الفصيل فبكى ، ثم رغا ثلاثاً ،
فانفجرت الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها ، وكان يوم الأربعاء .

﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن امتثالِهِ، فقال صالحٌ: انتهكتُم حرمةَ اللهِ، فأبشِروا بعذابه ونقمته، وقالوا وهم يستهزئون: ومتى ذلك يا صالح؟ قال: تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفروُ وجوهكم أولَ يومٍ، وتحمرُّ في الثاني، وتسودُّ في الثالث، ويُصَبِّحُكم العذابُ في الرابع، وكان كذلك، فاستهزؤوا ﴿وَقَالُوا يَنْصَلِحُ اتِّتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ (٧٨).

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلةُ الشديدة، وجاءتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتٌ كلُّ صاعقةٍ، فتقطعتْ قلوبُهم فماتوا. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ بعضُهم على بعضٍ.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَتَلَفْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ.

﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَتَلَفْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ أي: لم تقبلوا نصحي، ناداهم بذلك توجُّعاً على ما فاتَهُ من إسلامهم، وتوبيخاً لهم، كما خاطبَ رسولُ الله ﷺ أهلَ قَلِيبٍ بَذَرٍ وقال: «إِنَّا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا»^(١)، وسارَ

(١) رواه البخاري (٣٧٥٧)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، ومسلم (٢٨٧٤)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من =

صالح إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز يعبدُ الله إلى أن مات بمكة،
وقيل: بحضرموت، وهو ابنُ ثمانٍ وخمسينَ سنةً، وأقامَ في قومه عشرينَ
سنةً، وقيل: إنه أقامَ بعدَ مهلكِ قومه بفلسطين، وأن قبره بالمغارة التي
بالجامع الأبيض بالرملة، وهوذٌ وصالحٌ عرييان، وكذلك شعيبٌ
وإسماعيلُ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ
الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿وَلُوطًا﴾ أي: وأرسلنا لوطاً، وتقدّم ذكره في سورة الأنعام،
ولوطُ اسمٌ أعجميٌّ صُرِفَ لُحْفَتِهِ، لأنه على ثلاثة أحرفٍ وهو ساكنُ
الوَسَطِ.

﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: وقتَ قوله.

﴿لِقَوْمِهِ﴾ وهم أهلُ سدومَ وقراها، وهي^(١): عَمُوراء، وأذم،
وأصْبُونين، ولُوشع، وكان لوطٌ قد هاجرَ مع عمِّه إبراهيمَ عليه السلام إلى
الشام، فنزل إبراهيمُ فلسطينَ، وأنزلَ لوطاً الأردنَّ، وهو نهرُ الشريعةِ شرقيَّ
بيت المقدس، فأرسله الله إلى أهل سدومَ، فقالَ لهم مستفهماً على جهةِ
التوبيخ:

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي: السيئة القبيحة، وهي إتيانُ الذكور^(٢).

= الجنة أو النار عليه، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

(١) في «ن»: «وهم».

(٢) في «ن»: «الرجال».

﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ رُوي أنه لم تكن هذه المعصية في أمة قبله، عَلَّمَهُمْ إِيَّاهَا الْخَبِيثُ إِبْلِيسُ .

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة على الخبر، والباقون: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم تسهياً وتحقيقاً وفصلاً^(١)، كما تقدّم في سورة الأنعام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٩] .

﴿ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ في أدبارهم .

﴿ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ يعني: أدبارُ الرجالِ أشهى عندكم من فروج^(٢) النساءِ .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ مجاوزونَ الحلالَ إلى الحرام؛ وتقدّم حكمُ الزّنا واللواطِ ومذاهب الأئمة فيه في سورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَحِشَةُ ﴾ [الآية: ١٥] .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢،

١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٠) .

(٢) في باقي النسخ: «دون» .

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾
 ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بعد مواعظته إياهم .

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي : قال بعضهم لبعض :

﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي : لوطاً وأتباعه .

﴿مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ ثم قالوا استهزاءً : ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾ يَتَزَهَوْنَ
 عن أدبار الرجال .

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ المؤمنين .

﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ﴾ الماضين ؛ لأنها كانت موالية لهم ،
 فهلكَتْ معهم .

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
 الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ .

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ حجارة ، وقيل : الكبريت ، قال
 أبو عبيدة : يقال في العذاب : (أَمْطَرَ) ، وفي الرحمة (مَطَرٌ) ^(١) ﴿فَانْظُرْ
 كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٨) .

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ .

[٨٥] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ هو ابنُ إبراهيمَ الخليل عليه الصلاة والسلام، سميت المدينةُ باسمه، وهي ^(١) على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ستِّ مراحل، وهي البئر التي استقى منها ^(٢) موسى لسائمة شعيب، وهي في عصرنا منزلةٌ للحجاج المتوجِّهين من مصرَ وبيت المقدسِ إلى مكة المشرفة، وتسمَّى في هذه الأزمنة مغارة شعيب، والمغارة في لحفِ الجبل، وفيها شجرٌ عظيمٌ من الجانب الغربي، وقومٌ شعيب هم أصحابُ الأيكة، وكانت الأيكة من شجرٍ مُلتَفٍّ .

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: أرسلنا إليهم أخاهم في النسبِ لا في الدين .

﴿شُعَيْبًا﴾ واختلَفَ في نسبه، فقليل: هو ابنُ ثوبة ^(٣) بن مدينَ بن إبراهيم، وقيل: ابنُ ميكيك بن يشجر بن مدينَ بن إبراهيم، وأمُّ ميكيك بنتُ لوط، وكان شعيبٌ أعمى، وكان يقال له: خطيبُ الأنبياء؛ لحسنِ مراجعته قومه، وكانوا أهلَ كفرٍ وبخسٍ للمكيال والميزان، وكانوا يظلمون الناس .

(١) في «ن»: «وهو» .

(٢) في «ن»: «به»، وفي «ظ» و«ت» و«ش»: «بها» .

(٣) في «ن»: «ذوبة» .

﴿قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي، ولم تُذكر معجزاته في القرآن كما يذكرُ جميعُ معجزاتِ محمدٍ ﷺ، ومن معجزاته تَغْصُنُ الْعَصَا، وحملُها أي ثمره شاءَ موسى، وحملُها متاعَ موسى في رعاية الغنم، ومحاربةُ عدوٍّ إن عرضَ له، وأن تصيرَ كالذَّلْوِ يسقي بها غنمه إن احتاج، فإنَّ ذلكَ كانَ معجزةً لشُعيب؛ لأن موسى لم يكن بعد نبياً.

وكان الغريب إذا دخلَ إلى قومِهِ، أخذوا دراهمه، وقالوا: هي زُيُوفٌ، فيقطعونها ثم يشترونها بنقُصانٍ، وربما أعطوه بدلها زُيُوفاً، فقال:

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَالْمِيزَانَ وَلَا يَبْخُسُوا﴾ تنقصوا ﴿الْأَنفُسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ حقوقهم.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ببعثِ الرسل وتوضيحِ الشرائع.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: العدل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والدين.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدِّقين قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨٦﴾.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ طريقٍ من طرقِ الحقِّ ﴿تُوعِدُونَ﴾

مَنْ آمَنَ بِشُعَيْبٍ الْعَقُوبَةَ.

﴿ وَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عن دينه ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبِعُونَهَا
عَوَجًا ﴾ تطلبون اغوجاجها بإلقاء الشبه للناس نهيهم عن الإسلام .
﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ﴾ بعد قلة العدد والعدد
بالبركة في النسل والمال^(١) .

﴿ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي : آخر أمر قوم لوط .

﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ
يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

[٨٧] ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ
يُؤْمِنُوا ﴾ فصبرتم فريقين : مُصَدِّقِينَ ومُكَذِّبِينَ .

﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ فانظروا ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ بإنجاء المؤمنين ، وإهلاك
الكافرين .

﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ لأن الحكم العدل ، وليس هذا أمراً بالمقام على
الكفر ، ولكنه وعيد وتهديد .

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴾ .

[٨٨] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ يعني : الرؤساء الذين
تعظموا عن الإيمان لشعيب وأتباعه :

(١) في «ن» : «والولد» .

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ لترجعنَّ .

﴿ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ديننا، ولم يكن شعيب قط على دينهم، وإنما تناوله الخطاب تغليياً للجمع على الواحد؛ لأن من تبعه كان منهم .
﴿ قَالَ ﴾ شعيب ﴿ أُولَؤُ كُنَّا كَرِهِينَ ﴾ أي : وإن كنا كاريهن فتجبرونا على الخروج عليه^(١) ؟

﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَلَّاحِينَ ﴾ [٨٩] .

[٨٩] ثم استأنف قائلاً : ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي : ما أكذبتنا على الله .

﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ ثم قال مشيراً إلى أن لا حكم له :

﴿ وَمَا يَكُونُ ﴾ وما يصح ﴿ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ خذلاننا فنعود، وفيه دليل على أن^(٢) الكفر بمشيئته .

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أحاط علمه بكل شيء .

﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ فيما توعدونا به، ثم دعا شعيب بعدما ما آيس من صلاحهم فقال :

(١) «على الخروج عليه» زيادة من «ن» .

(٢) «أن» ساقطة من «ن» .

﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ ﴾ اقض ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ والفتاحُ : القاضي ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ﴾ القاضين .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ وتركتم دينكم .

﴿ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ مغبونون .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴾ ﴿٩١﴾ .

[٩١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة ، وأهلكهم الله بسحابة أمطرت عليهم ناراً يوم الظلّة ، وذلك أنهم رأوا حرّاً شديداً ، فدخلوا الأسراب ، فوجدوها أشدَّ حرّاً ، فخرجوا منها ، فرأوا سحابة ، فاستظلّوا بها ، فأمطرت عليهم ناراً ، فاحترقوا ، وصاروا رماداً .

﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴾ سبق تفسيره في قصة صالح . ولما نزل بهم العذاب ، نجّينا شعيباً بمن آمن معه إلى الموضع المعروفِ بأيلة ، ويأتي ذكره في السورة إن شاء الله تعالى . قال أبو عبد الله البجلي : كان أبو جاد ، وهُوَز ، وحُطَيْن ، وكَلْمُن ، وسَعْفَص ، وقُرِشْت ، مُلُوكٌ مَدْيَن ، وكان ملكهم في زمنِ شعيبٍ يومَ الظلّة كَلْمُن ، فلما هلك قالت ابنته تبكيه :

كَلْمُنَ قَدْ هَدَّ رُكْنِي هُلُكُهُ وَسَطَ الْمَحِلَّةِ

سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَتْفُ نَاراً تَحْتَ ظِلِّهِ
جُعِلَتْ نَاراً عَلَيْهِمْ دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّةِ^(١)

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ
الْخَاسِرِينَ﴾^(٩٢).

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ، خبره ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يُقِيمُوا
فِيهَا﴾ والمغاني: المنازل، واحدُها مَغْنَى.
﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ ديناً ودنيا، لا الذين اتَّبَعُوهُ
كما زعم الكفار.

﴿فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
فَكَيْفَ عَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(٩٣).

[٩٣] ﴿فَنَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أعرضَ شُعَيْبٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ حِينَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ.
﴿وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ قاله تأسفاً لشدّة
حزنه عليهم، ثم أنكرَ على نفسه فقال:

﴿فَكَيْفَ عَاسَى﴾ أَحْزَنُ ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ بعد إنذارِ لهم،
ومبالغتي في نُصْحِهِمْ، وقبرُ شُعَيْبٍ بقرية حِطِّينَ مِنْ أَعْمَالِ مَدِينَةِ صَفَدَ،
مَسَافَتُهَا عَنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/٥٦٨)، و«تفسير البغوي» (٢/١٣٠-١٣١).

مُحتَوَى المجلد الثاني

٥	تتمة تفسير سورة آل عمران
٨١	تفسير سورة النساء
٢٤٢	تفسير سورة المائدة
٣٦٩	تفسير سورة الأنعام
٤٩٧	تفسير سورة الأعراف
٥٥٧	محتوى المجلد الثاني



